

ISSN: 2708-3659



مَجَلَّةُ الرِّيَّانِ

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

علمية محكمة - نصف سنوية

المجلد الخامس
العدد الأول
الرقم التسلسلي 8

يونيو 2022

الجمهورية اليمنية

جامعة الريان



مجلة الريان للعلوم الإنسانية والتطبيقية

ISSN: 2708-3659

علمية محكمة – نصف سنوية

العدد الأول

المجلد الخامس

يونيو 2022

المشرف العام

د. سالم محمد بافقير

رئيس التحرير

أ. د. عبدالله صالح بابعير

مدير التحرير

د. سالم عبود غانم

سكرتير التحرير

د. عيسى مبارك عجرة

الهيئة الاستشارية

أ. د. يسري أمين سامي	جامعة قناة السويس	مصر
أ. د. أسعد حمدي الدوري	جامعة تكريت	العراق
أ. د. محمد عبد العزيز خليفة	جامعة عين شمس	مصر
أ. د. محمد عبد الفتاح محمد	جامعة عين شمس	مصر
أ. د. محمود صبح	جامعة عين شمس	مصر
أ. د. عبد الله بن محمد القرني	جامعة أم القرى	السعودية
أ. د. خالد محمد عيسى	جامعة فلسطين	فلسطين
أ. د. عصام البحيصي	جامعة فلسطين	فلسطين
أ. د. عبد الرزاق أبو البصل	جامعة أم القرى	السعودية
أ. د. خالد عمر باسليم	جامعة عدن	اليمن
أ. د. عبد الله حسين البار	جامعة حضرموت	اليمن
أ. د. عبد الله سعيد الجعدي	جامعة حضرموت	اليمن
أ. د. عبد الله محمد الخولاني	جامعة حضرموت	اليمن
أ. د. نجاة أحمد بو سبعة	جامعة حضرموت	اليمن
أ. م. د. سعيد محمد بانعيمون	جامعة حضرموت	اليمن

المدقق اللغوي

أ. م. عبدالله عامر الكثيري

د. جمال رمضان حديجان

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:

الجمهورية اليمنية - حضرموت - المكلا - فوة - الإنشاءات،

أمام قاعة أ. د. علي هود بأعياد للمؤتمرات

هاتف: 009675362940 - فاكس: 009675362942

alrayan-journal@alrayan-university.edu.ye

http://alrayan-university.edu.ye/journal

الآراء الواردة في المقالات والأوراق المنشورة في هذه المجلة لا تمثل بالضرورة وجهات نظر المجلة

رؤية ورسالة وأهداف المجلة

رؤية المجلة:

الريادة في نشر الدراسات والبحوث المحكّمة، على وفق معايير النشر الدولية.

رسالة المجلة:

تسعى المجلة لنشر الدراسات والبحوث المحكّمة في العلوم الإنسانية والتطبيقية المختلفة،
واتباع المنهجية الأصيلة في التحكيم والنشر العلمي؛ إثراءً للمعرفة، وخدمةً للإنسانية.

أهداف المجلة:

- توفير وعاء بحثي لخدمة الباحثين في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والتطبيقية.
- إثراء المعرفة العلمية، من خلال نشر البحوث الرصينة المحكّمة.
- إتاحة الفرصة للباحثين والدارسين؛ لنشر البحوث والدراسات في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والتطبيقية.
- نشر البحوث والدراسات التي تُسهم في خدمة المجتمع، وحل مشكلاته، والمحافظة على قيمه الأصيلة.

أولاً: القواعد العامة للنشر:

- يُقبل للنشر البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، في العلوم الإنسانية والتطبيقية على أن تتوفر فيها الشروط الآتية:
- 1- أن يكون البحث أصيلاً وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على المنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
 - 2- ألا يكون البحث قد سبق نشره أو مقدماً للنشر في أي جهة نشر أخرى، كاملاً أو موجزاً. وإذا قُبِل للنشر لا يُسمح بنشره في أي جهة أخرى ولو بلغة أخرى إلا بموافقة خطية من رئيس هيئة التحرير.
 - 3- أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة مراعية دقة الحروف ووضوح الأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على الحاسب الآلي على برنامج (Microsoft word)، اللغة العربية: بنوع خط (Traditional Arabic) بحجم (16) بمسافة (1,15) بين الأسطر. واللغة الإنجليزية: بنوع خط (Times New Roman) بحجم (12) بمسافة (1,15) بين الأسطر، على وجه واحد، على ورق مقاس (A4) مع ترك هامش بنحو (3 سم) على جانبي الورقة، وألا يزيد عدد صفحات البحث عن (30) صفحة متضمنة الهوامش والمراجع، على أن ترقم جميع صفحات البحث ترقياً تسلسلياً بما في ذلك الأشكال والجداول والصور والملاحق وقائمة المراجع. ويحق لهيئة التحرير النظر في بعض البحوث الواردة متجاوزة هذا الحد بحسب طبيعة البحث وآلياته.
 - 4- أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق وحسن استخدام المصادر والمراجع وتثبيتها كالاتي:
 - أ- تُوضع الهوامش في نهاية البحث بنوع خط (Traditional Arabic) بحجم (13) بمسافة (1,15) بين الأسطر، مرقمة ترقياً آلياً متسلسلاً، تُعتمد فيها الأصول المتعارف عليها بحيث تتضمن: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، جهة النشر، مكان النشر، سنة النشر، الجزء والصفحة. وفي حالة الرجوع إلى الدوريات يكون التوثيق على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم الدورية، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
 - ب- تُوضع قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث بعد الهوامش، مصوغة بحسب المتعارف عليه في البحث العلمي، وفي حالة وجود مصادر بلغة أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، يُراعى في إعدادها الترتيب الأبجدي.

ثانياً: إجراءات النشر:

- 1- يقدم الباحث للمجلة إقراراً خطياً يفيد بأن بحثه عمل أصيل له ولم يسبق نشره ولن يقدم لغرض النشر في أي جهة علمية أخرى (وفق النموذج المُعد لذلك).
- 2- يُسلم البحث المقدم للنشر من أصل وثلاث نسخ ورقية، ونسخة إلكترونية على قرص مدمج (CD) وذلك إلى عنوان المجلة بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث، ولقبه العلمي، والعنوان، وجهة العمل، ورقم هاتفه، وعنوان بريده الإلكتروني. ويرفق به إشعار التسديد لمبلغ رسوم النشر.
- 3- يرفق الباحث نسخة مختصرة من سيرته الذاتية إذا تعامل مع المجلة للمرة الأولى.

4- يرفق بالبحث ملخصان باللغتين العربية والإنجليزية في نحو (100- 150 كلمة) لكل ملخص؛ مع مراعاة كتابة عنوان البحث بلغة كل ملخص.

5- لهيئة تحرير المجلة الحق أن تطلب إجراء تعديلات يسيرة أو شاملة على البحث قبل إجازته للنشر.

6- يخطر الباحث بتاريخ تسلم بحثه، وتقوم هيئة التحرير باستكمال إجراءات التحكيم.

7- يخطر الباحث بقرار قبول البحث أو عدم قبوله للنشر بعد عرضه على محكمين من ذوي الكفاءة والاختصاص خلال ثلاثة أشهر في الأكثر من تاريخ تسلم البحث.

8- في حالة ورود إضافات أو تعديلات من المحكمين ترسل الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة قبل النشر، على أن يعاد البحث بعد إجراء التعديلات المطلوبة خلال مدة أقصاها أسبوعان منذ تسلم الباحث ملاحظات المحكمين.

ثالثاً: أحكام عامة:

1- البحوث التي تخالف قواعد النشر وشروطه لا يُنظر فيها ولا تعاد إلى أصحابها.

2- المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

3- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشر جزء منها دون الحصول على موافقة خطية من رئيس هيئة تحرير المجلة.

4- تعبر البحوث المقدمة للنشر بالمجلة عن آراء أصحابها فقط، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.

5- يدفع الباحث من غير الهيئة التدريسية بجامعة الريان مقابل النشر في المجلة مبلغاً نقدياً قدره (20,000) عشرون ألف ريال يمني، تُودع لدى شركة العمقي للصرافة في حساب رقم (254038674). ويدفع الباحث من خارج الجمهورية (150) مائة وخمسين دولاراً أمريكياً.

6- عند الاعتذار عن عدم النشر لا تعاد الرسوم المذكورة في الفقرة (5) من البند (ثالثاً) المذكورة آنفاً.

7- توجّه المراسلات والبحوث باسم رئيس تحرير مجلة الريان للعلوم الإنسانية والتطبيقية على عنوان المجلة:

الجمهورية اليمنية - محافظة حضرموت - المكلا - فوة - الإنشاءات، أمام قاعة أ. د. علي هود باعاب للمؤتمرات.

هاتف رقم: (009675362940). ويمكن أن ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة:

alrayan-journal@alrayan-university.edu.ye

المحتويات

الصفحة	البحوث باللغة العربية:
	- تأملات قرآنية لما ورد فيه إنزال أو تنزيل.
29 - 1	د. نبيل مبارك عجرة
	- الآراء الفقهية للإمام أبي الفياض البصري الشافعي المتعلقة بالطهارة (جمعاً ودراسة فقهية مقارنة).
62 - 31	د. صالح مبارك دعكيك
	- أثر سدّ الذرائع في صحة الفتوى.
87 - 63	د. صادق محمد الأبيض
	- الأحكام الفقهية في باب البيع لمستخدمي الهاتف (دراسة مقارنة).
103 - 89	د. عبدالله عبيد سعيد مؤمن
	- فن الأرجوزة في الشعر الأندلسي.
150 - 105	د. خالد عمر محمد باوزير
	- تفشي ظاهرة الفساد الإداري والمالي في ظل وجود أجهزة رقابية للدولة، (دراسة استكشافية).
172 - 151	محمد أبوبكر محمد باعباد
	- مستوى معرفة معلمي الثانوية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات.
	(دراسة استكشافية بثانويات المكلا النموذجية بمحافظة حضرموت/ الساحل).
198 - 173	د. سالم أحمد باوادي، لينا جعفر بونغي، نوال محفوظ باني
	البحوث باللغة الإنجليزية:

- Investigating the Common Errors in Pronunciation Pertaining to Consonants among Yemeni EFL Undergraduates.

Dr. Mohammed S. Masroor, Mohammed H. Abdulsamad, Abdulrahman S. Ja'wal . 199 - 208

- A Review of Effects of Oil-Well Parameters in Estimating Annular Pressure Losses.

Mazen Ahmed Muherei , Amer Badr Bin Merdhaah , Salim O. Baarimah 209 - 228

تأملات قرآنية لما ورد فيه إنزال أو تنزيل

د. نبيل مبارك عجرة

أستاذ القرآن وعلومه المشارك، قسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة، جامعة الريان

الملخص:

من القواعد المفيدة لفهم التنزيل الحكيم، قاعدة: لا ترادف في كتاب الله، فتُظهر هذه القاعدة دقة كلام الله المنزل على محمد ﷺ، وأنه مختلف عن كلام العرب الذي لا يعييه الترادف ولا الحشو، ومن الدقة التي اتصف بها التنزيل نستطيع أن نصل إلى معان دقيقة نُفرّق بها بين الألفاظ التي يُظن أنها مترادفة، وإن كان أصلها واحدًا ومبانيها مختلفة، فالزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، ومن هذه الألفاظ لفظًا: الإنزال والتنزيل، وقد أوضحنا المفهوم المراد منهما في كلام الله، ثم طبقت هذا المفهوم على ما ورد فيه إنزال فقط أو تنزيل، وقد تكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد أوضحت فيه معنى اللفظتين لغة واصطلاحًا، ثم المبحث الأول وفيه تطبيق المفهوم على ما ورد فيه إنزال فقط، ثم المبحث الثاني وفيه تطبيق على ما ورد فيه تنزيل فقط، وخاتمة اشتملت على خلاصة ما جاء في هذا البحث.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا. أما بعد؛

فلقد أودع الله عز وجل مفاتيح العلوم في كتابه المنزل، فنهل منه العلماء والراغبون، كلٌّ على قدر سقفه المعرفي، فقد تظهر منه معارف وحكم لناظر وتخفى على آخر، فهناك الفقيه الذي يستنبط الأحكام ويستخرج حكم التشريع وعلمه، والنحوي الذي يستشهد به على قواعده الإعرابية، وصاحب الفصاحة يهتدي لحسن النظم، وعوالي الفصاحة، وفيه من القصص والأخبار ما فيه عظات وعبر، ومن الأمثال ما فيه حسن صياغة وصحة اتعاظ، وإلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، من الذين أنار الله بصائرهم للوصول إلى ما كمن في كتاب الله، فهو كلام من حي إلى أحياء.

وقد يظهر من بعض ألفاظ القرآن التكرار، والزيادة حتى يظن الظان؛ أنها تكرار تأكيد، أو زيادة، أو تشابه ألفاظ من غير وجود فائدة، والصحيح أن كتاب الله ليس فيه ألفاظ زائدة بلا معنى أو بلا فائدة، بل وليس فيه ألفاظ مترادفة ترادفًا تامًا، بل هناك ما تشترك فيه الألفاظ المترادفة، وهناك ما تختلف فيه من المعاني، وهذا البحث عنوانه: (تأملات قرآنية لما ورد فيه إنزال أو تنزيل)، سنبين فيه بإذن الله الفرق بين اللفظتين في الأماكن التي وردتا فيه، وسنقتصر على ذكر ما ورد فيها الإنزال فقط أو التنزيل. ومن الله نطلب العون والفتح والإلهام.

أولاً- أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب البحث في الاختلاف الحاصل - خصوصاً بين المفسرين - ومن ثم أهل العقائد في التفريق بين معنى الإنزال والتنزيل، وعدم الاستقرار على معنى محدد، نتيجة لعدم استقرار معاني الإنزال والتنزيل من التنزيل نفسه، وكذلك لأخذهم بالحكم على أن المفردة لها مرادف .

ثانياً- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع بالغاية المنشودة منه، فغايتنا التفكير في التنزيل والاسترشاد به، كما أن معرفة الفرق بين التنزيل والإنزال يعد أحد المفاتيح الرئيسة لفهم التنزيل الحكيم، وله علاقة بمبادئ التأويل، حيث توضح وترجح الاختلاف في المعنى، وبيان كثير من المفاهيم التي لا تتضح إلا بتطبيق المفهوم الوارد في التفريق بين اللفظتين.

ثالثاً- الدراسات السابقة:

سبق أن نشرنا بحث الفرق بين الإنزال والتنزيل، دراسة نظرية، في مجلة جرش، المجلد الثاني والعشرين، العدد الأول (حزيران 2021م/ شوال 1442هـ)، والفرق بين البحث المنشور وهذا البحث، أن البحث المنشور دراسة نظرية للفرق بين الإنزال والتنزيل، والتطبيق على المواضع التي ورد فيها الإنزال والتنزيل مجتمعة، أما هذا البحث فهو تطبيق لجميع ما ورد فيه إنزال فقط أو تنزيل فقط في التنزيل الحكيم.

رابعاً- أهداف البحث:

بالوصول إلى معرفة الفرق بين الإنزال والتنزيل نصل إلى معرفة كنه كثير من الأشياء وماهيتها، التي ورد فيها إنزال فقط أو تنزيل فقط، كذلك فض بعض الخلاف الوارد في ذلك.

خامساً- منهج البحث:

سنستخدم بإذن الله المنهج الاستقرائي التطبيقي على جميع الآيات الوارد فيها إنزال فقط أو تنزيل فقط وبيان معناها كل في موضعه من كتاب الله. وقد كان عملنا في البحث على النحو الآتي:

- 1- إيراد الآيات من مصحف المدينة، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية أمامها.
- 2- الاستشهاد بقول علماء التفسير واللغة، للوصول إلى تطبيق المفهوم للفظتين.
- 3- تخريج الأحاديث، أو الآثار من كتب الحديث والأثر.
- 4- ذكر توثيق المرجع عند ذكره من أول مرة.
- 5- إيضاح بعض الألفاظ الغريبة الواردة في الاقتباسات.

سادساً- خطة البحث:

أتى هذا البحث على؛ مقدمة، وفيها أسباب البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه وخطته، والدراسات السابقة.

التمهيد: بيان معنى الإنزال والتنزيل.

المبحث الأول: تطبيق المفهوم على ما ورد فيه إنزال فقط.

المبحث الثاني: تطبيق على ما ورد فيه تنزيل فقط.

خاتمة: وفيها أهم النتائج.

مصادر البحث.

التمهيد: بيان معنى الإنزال والتنزيل.

أولاً- الإنزال والتنزيل في اللغة:

أساس الكلمتين من مادة (ن ز ل) قال ابن فارس: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. يقولون: نزل المطر من السماء، وما إلى ذلك، وتقول: نزل فلان عن الدابة، أو من علو إلى سفلى"،⁽¹⁾ ينزل نزولاً، ويقال: نزلت به وأنزلته ونزلته واستنزلته بمعنى. قال سيبويه: وكان أبو عمرو يفرق بين نزلت وأنزلت، ولم يذكر وجه الفرق. قال أبو الحسن: لا فرق عندي بين نزلت وأنزلت إلا صيغة التكرار في نَزَلْتُ، وفي قراءة ابن مسعود: {وأنزل الملائكة تنزيلاً}؛ لأن أنزل كنزل، وقول ابن جني: المضاف والمضاف إليه عندهم، وفي كثير من تنزيلاتهم كالأسم الواحد، إنما جمع تنزيلاً هنا لأنه أراد للمضاف والمضاف إليه تنزيلات في وجوه كثيرة منزلة الاسم الواحد، فكفى بالتنزيلات عن الوجوه المختلفة، ألا ترى أن المصدر لا وجه له إلا تشعب الأنواع وكثرها؟⁽²⁾

"وَفَرَّقَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَرْبَابِ التَّحْقِيقِ، فَقَالُوا: التَّنْزِيلُ: تَدْرِيجِيٌّ، وَالْإِنْزَالُ: دَفْعِيٌّ". وقيل: "التنزيل: يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله متفرقاً منجماً، ومرة بعد أخرى، والإنزال: عام"⁽³⁾.

يتضح من أقوال أهل اللغة؛ أن الأكثر على أن الإنزال والتنزيل بمعنى واحد، مع أنهم يقرون أن زيادة المبنى تعني غالباً زيادة في المعنى، وهذا راجع إلى أخذهم القول بالترادف نتيجة لقول سيبويه،⁽⁴⁾ ولكن هناك من نفى الترادف في اللغة وعلى رأسهم؛ ابن فارس والجرجاني من المتقدمين، وابن تيمية والزركشي من المتأخرين⁽⁵⁾.

ثانياً- في الاصطلاح:

لقد ذهب كثير من العلماء إلى أن الإنزال والتنزيل بمعنى واحد كما ذكرنا ذلك في معناهما لغة، إلا أن هناك من يفرق بينهما⁽⁶⁾. وباستقراء التعريفات الواردة في مادتي الإنزال والتنزيل نجد أن كل رأي من آراء العلماء قد اتخذ حداً لتطبيقه على معنى محدود من التنزيل الحكيم، وأهم الأماكن الأخرى مما أوقعهم في الاضطراب، وهذه الأقوال كالاتي:

الرأي الأول: التنزيل: هو تنزيل الحيثية من ساحة إلى ساحة دون تغيير في ماهية المنزل.

الإنزال: تحول من ساحة إلى ساحة مع تغير في ماهية المنزل وحيثياته⁽⁷⁾.

الرأي الثاني: الإنزال: إظهار ما كان في عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

وأصحاب هذا القول يقولون إن الإنزال قد يكون إنزالاً لنفس الشيء كالقرآن، وقد يكون بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس⁽⁸⁾.

الرأي الثالث: أن المقصود بالإنزال النزول المقامي، أي: نزول من مقام أسمى إلى مقام أدنى⁽⁹⁾.

الرأي الرابع: أنزل: تعني الإنزال مرة واحدة أو جملة واحدة.

نزل: تعني الإنزال على مراحل أو أجزاء متفرقة.

وقد رددنا على كل هذه الأقوال في بحثنا الفرق بين الإنزال والتنزيل، فلذا يمكن لنا أن نجتمع بين تعريفات العلماء بتعريف قد يكون حلاً في معرفة التفريق بين معاني الإنزال والتنزيل في جميع الأماكن الواردة في الكتاب العزيز.

التنزيل: هو عملية نقل موضوعي (مادي) خارج الوعي الإنساني.

الإنزال: هو عملية نقل المادة من غير المدرك إلى المدرك. أي دخلت مجال المعرفة الإنسانية.

ومن العلماء الذين أشاروا إلى هذا المفهوم؛ الإمام الماتريدي عند تفسيره لإنزال اللباس، والمهايمي في مقدمة تفسيره، والشعراوي عند تفسيره لإنزال الرزق، وسيد قطب عند تفسيره لإنزال الأنعام.

المبحث الأول: تطبيق المفهوم على ما ورد فيه إنزال فقط.

المطلب الأول: ما أنزل على الملكين.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابٍ هَرْوَتْ وَامْرُوتٌ﴾ البقرة: ١٠٢.

وما أنزل على الملكين، أي من العلوم التي لم تكن ضمن مدركاتهم، فجعلت ضمن مدركات هذين الملكين، ويمكن أن يكون الملكان غير مهيين لتعلم هذا العلم فتهيئ لهما أو تهيئ له، بأن دخل في متناولهما، فاستطاعا بالعلم الذي تكون في كيانهما أن يعلما الناس كيفية التعامل بالسحر⁽¹⁰⁾، وإظهار الأوهام كحقائق، فالعلم الذي سخر لهما، امتحان لغيرهما، فلذا كانا لا يعلمان أحداً حتى يبيننا وينصحا له أن ذلك العلم غير مرضي عنه، وأن علم السحر علم غير مرضي عنه فإن أبي وأصر إلا تعلمه علماه إياه، فيكون ذلك العلم ضرراً على صاحبه أكثر من ضرره على غيره، لذا قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ البقرة: ١٠٢، أي طالبوا علم السحر. هذا على قراءة الفتح، وعلى الآثار التي جاءت في بيان ماهية هذين الملكين، وأخما "ملكاً أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر، أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس، أو لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبواباً غريبة من السحر، وكانوا يدعون النبوة، فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلمنا الناس أبواب السحر؛ حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين، وإظهار أمرهم على الناس"⁽¹¹⁾.

وأما على قراءة (الملكين) بكسر اللام¹²، وهي "قراءة ابن عباس والحسن وأبي الأسود والضحاك ... ويؤيده ما قيل إن المراد بهما (داود وسليمان - عليهما السلام -) ... وقيل: بل هما رجلان صاحباً وقار وسمت فشبهها بالملائكة، وكان يؤمهما الناس بالحوائح الأهلية ويجلّونهما أشد الإجلال فشبهها بالملوك، وتلك

عادة الناس فيمن ينفرد بالصفات الحمودة، يقولون: هذا ملك وليس بإنسان، كما يقولون فيمن كان سيِّداً عزيزاً يظهر الغنى عن الناس من حيث يحتاجون إليه: هذا سلطان زمانه، ... فإن كلمة (أنزل) تستعمل في مواضع لا صلة بينها وبين وحي الأنبياء⁽¹³⁾. فهذه القراءة (بكسر اللام) يتضح فيها معنى الإنزال جلياً.

"وقد اختلف المتكلمون والمفسرون والفقهاء في حقيقة السحر وفي أحكامه، وعده بعضهم من خوارق العادات، وفرقوا بينه وبين المعجزة، ولم يذكروا في فروقهم أن السحر يتلقى بالتعليم، ويتكرر بالعمل، فهو أمر عادي قطعاً بخلاف المعجزة"⁽¹⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ البقرة: ١٠٢ دليل على تأثير السحر على الإنسان وعلى "أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله"⁽¹⁵⁾.

المطلب الثاني: إنزال الأمانة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ...﴾ آل عمران: ١٥٤

وذلك أن المشركين بعد غزوة أحد تواعدوا مع المسلمين على النزال بعد سنة في بدر، ولكن المسلمين لم يطمئنوا لأت قريشاً عادت إلى مكة، بل لعل ذلك الوعد باللقاء في بدر بعد سنة تلاعب منهم ليؤمن جانبهم ثم يباغتون المدينة على حين انشغال المسلمين بتليم الجراح التي أصابتهم في تلك الغزوة، فإنزال الأمانة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾، الأمانة هذه هي: عبارة عن الخبرات الحربية التي دخلت مدارك النبي ﷺ وأصحابه واستقراء الأحداث لاستنباط الآتي، وهذا يكون بالتمرس على أخذ الخبرات من ممارستها ومن المشاركة في تلك الأحداث. فمن تلك الخبرات الحربية والعسكرية ما ذكره أهل السير أن النبي ﷺ أمر رجلين من أصحابه بأن يستكشفوا جيش قريش، فإن أخرجوا الأحمال على الإبل وركبوا الخيل فهم عازمون على دخول المدينة، وإن ركبوا الأحمال على الإبل وأخرجوا الخيل فهم عائدون لمكة، فلما جاءه ﷺ الخبر بأن قريشاً ركبوا الإبل وأخرجوا الخيل، هناك أعلن الخبر في المسلمين ليطمئنهم وليذهب عنهم الغم الذي أصابهم لما كانوا في شك من رحيل قريش، فأمن المسلمون واستسلموا للنعاس، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان⁽¹⁶⁾. "ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة إخوانهم المسلمين"⁽¹⁷⁾. وهم "الذين كانوا جازمين بأن محمداً ﷺ نبي حق من عند الله وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وكانوا قد سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى ينصر هذا الدين ويظهره على سائر الأديان، فكانوا قاطعين بأن هذه الواقعة لا تؤدي إلى الاستئصال، فلا جرم كانوا آمنين"⁽¹⁸⁾.

وأما الطائفة الأخرى فقد اختلف أهل التأويل في تعيينها على قولين:

الأول: أنهم الذين أثقلتهم الجراح، واستبعدوا النصر "واتفق الرواة أيضًا على أن كثيرًا منهم كانوا مثقلين بالجراح، فلم يقدروا على اقتفاء أثر المشركين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْعَلُ قَدَّ أَهْمَتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّوْنَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ آل عمران: 154 فهذه الطائفة من المؤمنين الضعفاء ولا حاجة إلى جعلها من المنافقين كما قيل: فإن هؤلاء سيأتي الكلام فيهم، وما من أمة إلا وفيها الضعفاء والأقوياء في الإيمان وغيره⁽¹⁹⁾. و"كانت الطائفتان جميعًا من المؤمنين، لكن إحداها قد أتاها النعاس؛ لما أمنوا من العدو، والأخرى لا؛ بعصيانهم رسول الله ﷺ وتركهم أمره منع ذلك النوم عنهم؛ إذ كيف يلقون رسول الله ﷺ، وكيف يعتذرون إليه؟ والله أعلم"⁽²⁰⁾.

الثاني: وهم المنافقون، وهم "الطائفة التي قد أهتمتهم أنفسهم، فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف، فلم ينعسوا"⁽²¹⁾؛ ﴿هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ آل عمران: ١٥٤ "وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر - أي: النصر والظهور - شيء، فأساءوا الظن برهم وبدينه ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: ﴿قُلْ إِنْ أَلَأَمْرُ كُلُّهُ لِلّٰهِ﴾ آل عمران: ١٥٤ الأمر يشمل الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى. وذلك كقوله - عز وجل - ﴿يَحْسِبُونَ الْآخِرَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ الأحزاب: ٢٠ الآية⁽²²⁾.

المطلب الثالث: إنزال الأنعام.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ آفَاقٍ﴾ الزمر: ٦.

الناظر المتفكر في كتاب الله يجد أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان الأنعام كما قال تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ يس: ٧٢، وهذا يدل على أن الأنعام ذلت بعد أن لم تكن مُذَلَّلَة، ونلاحظ أن لفظ الأنعام رغم وروده في اثنين وثلاثين موضعًا من التنزيل الحكيم، ورغم وجود سورة فيه تحمل هذا الاسم هي سورة الأنعام، فإنه لم يرد ذكرها مطلقًا قبل الحديث عن هود عليه السلام، وهذا لا يعني أنها لم تكن موجودة. بل يعني أنها لم تكن قد ذُلت. فالسؤال ما المقصود بالأنعام ومتى ذُلت؟

في الجواب عن الشطر الأول من السؤال نقول: النعم: جمع لا مفرد له يشمل الإبل والبقر والماعز والضأن. ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ المائدة: ٩٥، فإذا أفردناه إلى نعمة أو نعمة صارت شيئًا آخر من حيث الدلالة.

والأنعام جمعٌ للنعم، فهو مثله في الدلالة يشمل الإبل والبقر والماعز والضأن، والأنعام من نعم الله على خلقه كحلقة في سلسلة الدورة الغذائية للبشر والإنسان.

والانتفاع بها لا يقتصر على أكل لحومها، بل يتعداه إلى وجوه قررها سبحانه في كتابه العزيز. كقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ هـ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حَيْثُ تَرِيحُونَ وَحِينَ

شَرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا نَجِئَ آلَافُفُسٍ ﴿٧﴾ النحل: ٥ - ٧، إضافة إلى جعل جلودها بيوتاً خفيفة في الترحال، وإلى الانتفاع من أصوافها وأوبارها وأشعارها في صنع الملابس والأثاث والمتاع، كما مر في الآية.

والأنعام - بالأصل - هي الحيوانات المستأنسة من آكلات العشب في قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَرْعَا لَكُمْ وَلَافُفُفُكُمْ ﴿٣٣﴾ النازعات: ٣١ - ٣٣، أي: الماء والمرعى متاعاً لكم ولأنعامكم، وإنما قلنا المستأنسة لنخرج منها الغزلان والزرافة والسناجب والثيران الوحشية، وقلنا من آكلات العشب لنخرج منها القطط والكلاب وكل ما له مخالب وأنياب - حسب الحديث النبوي - وإن كان أليفاً، التي لم يحل أكلها ولم تدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الحج: ٣٠. وقد يسأل سائل: وهل كانت الأنعام محرمة حتى يقال: (وأحلت) بقصد تحليلها؟ نقول: التحليل والتحريم في التنزيل الحكيم يتناول الأفعال ولا يضاف إلى ذوات الأشياء، وهذه واحدة. والحلال هو الأصل في الأشياء والحرام هو الاستثناء، بدلالة قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ آل عمران: ٩٣، إلا في مسألة قتل النفس، إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً، فالحرام هو الأصل والحلال هو الاستثناء. وهذه واحدة ثانية. وفي ضوء هاتين يصبح معنى الآية: أحل لكم ذبح الأنعام لأكلها والانتفاع بها، بعد أن كان ذلك محرماً بالأصل، عدا ما ذكر التنزيل الحكيم من أنواع بقيت على تحريمها كلحم الخنزير، ورغم أنه من الحيوانات المستأنسة آكلات العشب لذا فإننا نذكر اسم الله عند ذبح الأنعام لتذكركم بأن الله أحل لنا قتلها، وأن التحريم هو الأساس في الدماء⁽²³⁾.

والجواب عن الشطر الثاني من السؤال وهو متى ذلّل الإنسان الأنعام؟ فباستقراء آيات التنزيل نلاحظ أنها لم تذكر في الحديث في قصة نوح ولا قبله، وهذا يدل على أن انتفاع الإنسان من الأنعام كان بالصيد لعدم استئناسها، وثم جاءت آيات تذكر أن من نعم الله على الإنسان نعمة تذليل الأنعام، وذلك كان في قصة هود عليه السلام، مما يدل على أنها صارت مستأنسة في زمن نوح وهود عليهما السلام.

فما المقصود بإنزال الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ الزمر: ٦ أولاً: نذكر تأويلات العلماء لهذه الآية ثم نطبق المفهوم الذي اقتنعنا به لمفهوم الإنزال في التنزيل الحكيم: الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها، فيكون الإنزال على سبيل الحقيقة⁽²⁴⁾. الثاني: أن معنى أنزل خلق وقضى وقسم؛ إذ كتب في اللوح: كل كائن يكون، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه⁽²⁵⁾.

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات الذي تعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها⁽²⁶⁾.

الرابع: وهو الذي نرتضيه في كل موضع ذكر فيه الإنزال أن "التعبير يعبر عن تسخيرها للإنسان بأنه إنزال لها من عند الله. فهذا التسخير منزل من عنده. منزل من عليائه إلى عالم البشر. ومأذون لهم فيه من عنده تعالى" (27).

أي أن معنى إنزال الأنعام إدخال أساليب ترويض الأنعام وترويضها في مفاهيم ومدرجات الإنسان، وفي ذلك دليل على أن الأنعام كانت غير مستأنسة، أي غير مروضة، وبعد ذلك مروضة إما بطول التجربة للإنسان مع هذه الأنعام، أو بإعلام الله للإنسان عن طريق نبوة، استطاع الإنسان خلالها أن يجعل من الحيوانات المستوحشة حيوانات مستأنسة، وهكذا حتى دخلت في مدارك الإنسانية باقي التسخيرات التي جعلها الله للإنسان من الحيوان.

وقد "يُسمى كل ما خلق من الدواب: أنعامًا، إلا أنه لم يحل لنا منها إلا الثمانية الأزواج التي ذكر، فإن كان هذا فيكون حرف (من) حرف تبعيض وتجزئة" (28).

ومما يدل على أن الأنعام منها ما يؤكل ومنها لا يؤكل، وأنها ليست سواء في المنافع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۖ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۖ﴾ (٧٢) ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 71 - 73]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِيَةَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿ [النحل: 5، 6] فذكر تعالى المنافع المشتركة من الأنعام تجاه الإنسان، ثم بين أن منها ما يؤكل تنبيهًا لأن يظن أنها سواء في المنافع لذا عاد لسرد باقي المنافع المشتركة.

المطلب الرابع: إنزال آية.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ﴾ الرعد: ٧
الآية تأتي في كتاب الله على معانٍ منها:

- 1- طائفة ذات مطلع ومقطع، مندرجة في سورة من القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النحل: ١٠١ .
- 2- العلامة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨ أي: علامة ملكه.
- 3- العبرة. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ البقرة: ٢٤٨ أي عبرة لمن يعتبر (29).
- 4- المعجزة المحسنة الكونية أو المعقولة المشهوددة المناسبة لمن شهدها. ومنه قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَ آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ البقرة: ٢١١، أي: معجزة واضحة. وهو المقصود في بحثنا هذا، فجاء في ثلاثة مواضع من كتاب الله، طلب الكافرين من النبي ﷺ أن يريهم آية قال تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ

رَبِّهِ ﴿٣٠﴾ أي: "هلاً أنزل على محمد آية من ربه: عَلَّمَ ودليل نعلم به أن محمداً محق فيما يقول؟" (٣١).
 "كأنهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البيّنات النازلة عليه صلى الله عليه وسلم من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع أنه قد أنزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم إلى الانقياد والقبول لو كانوا من أرياب العقول" (٣٢). فحكى الله تعالى عنهم اقتراح آية أو آيات مبهمة في بعض المواضع، واقتراح آيات معينة حددها في سور أخرى، كما قال تعالى:
 ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَفُجِّرَ ۖ وَالْآنْهَرَ خَلَّلَهَا فَفُجِّرًا...﴾ الإسراء: ٩٠ - ٩١ ، فجاءت الأجوبة الثلاثة للرد على المشركين في المواضع الثلاث:

1- ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ يونس: ٢٠ ، أي: الأمر كله لله، وهو يعلم العواقب في الأمور، والآيات من عالم الغيب عند الله تعالى وبيده وحده ؛ لأنها خوارق فوق قدرة البشر، وإنما أنا بشر والغيب لله لا يعلمه غيره، فإن كان قدر إنزال آية علي فهو يعلم وقتها وينزلها فيه، وأنا لا أعلم إلا ما أوحاه إلي فانظروا إلي معكم من المنتظرين لما يفعله بي وبكم إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتهم فانظروا حكم الله فيّ وفيكم (٣٣).

2- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ الرعد: ٧ ، المراد أن الرسول ﷺ منذر لقومه مبين لهم، ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع، وأنه تعالى سوى بين الكل في إظهار المعجزة إلا أنه كان لكل قوم طريق مخصوص لأجله استحق التخصيص بتلك المعجزة المخصوصة، فلما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام هو السحر جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقتهم، ولما كان الغالب في أيام عيسى عليه السلام الطب، جعل معجزته ما كان من جنس تلك الطريقة وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ولما كان الغالب في أيام الرسول ﷺ الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ما كان لائفاً بذلك الزمان، وهو فصاحة القرآن، فلما كان العرب لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها أليق بطباعهم، فبأن لا يؤمنوا عند إظهار سائر المعجزات أولى (٣٤).

3- ﴿قُلْ إِنْكَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ الرعد: ٢٧ : "هو المضل والهادي، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا، أو لم يجبههم إلى سؤالهم؛ فإن الهداية والإضلال ليس منوطاً بذلك ولا عدمه، كما قال: ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس: ١٠١ (٣٥)" ، "وإن الله أنزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة، ولكن الإضلال والهداية من الله، فأضلكم عن تلك الآيات القاهرة الباهرة، وهدى أقواما آخرين إليها، حتى عرفوا بما صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوة، وإذا كان كذلك فلا فائدة في تكثير الآيات والمعجزات" (٣٦).

وأما تطبيق مفهوم الإنزال على إنزال الآية فنقول:

إن أهل العناد من كفار العرب في زمن النبوة طلبوا من النبي ﷺ أن يظهر لهم معجزة: آية كونية حسية مشاهدة، تكون معضده له في دعوى النبوة، وأن تكون تلك المعجزة من جنس المعجزات التي حدثت للأنبياء قبله، أي أن تدخل ضمن معارفهم وحدود إدراكهم، بقدرتهم على فهم كنه هذه الآية وعدم إخراجهم عن اختيارهم في التصديق وعدمه، "كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن يزيل عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً"⁽³⁷⁾، لذا بين الله أن من أسباب إمساك الله عن إرسال مثل هذه الآيات أن التكذيب بها مدعاة للعذاب⁽³⁸⁾، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا نَمُودُ النَّاقَةَ مُبْصَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ الإسراء: ٥٩.

لأجل ذلك عبر الله عن طلبهم هنا بلفظ (أنزل) لدخول تلك الآية ضمن سقفهم المعرفي، وأن تكون داخلية ضمن إدراكهم كما دخلت الناقة لقوم صالح، وإتيان المن والسلوى، ونبع الماء لقوم موسى، قال تعالى: ﴿فَلْيَايُنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء: ٥. أما إن كان التعبير بلفظ: (نزل) فلا يكون هناك خيار في قبولها وردّها كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٣٧، والمعنى هنا أن للإنسان خيارين إما نعم أو لا، لكن ثمة قوة قاهرة خارجية تجبره على اختيار واحد وتعطيل الآخر، كما هو واضح في هذه الآية وفي قوله: ﴿إِنْ شَاءَ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء: ٤، لاحظ هنا كيف استعمل لفظ التنزيل لا الإنزال، أي تنزيل آية مادية من خارج إدراكهم ووعيمهم، تخضع لها أعناقهم، فيؤمنوا جميعاً خوفاً وقهراً دون أن يكون لهم خيار للامتناع⁽³⁹⁾.

المطلب الخامس: إنزال السكينة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ الفتح: ٤

السكينة⁽⁴⁰⁾ في اللغة: من السكون وهو ثبوت الشيء بعد التحرك، أو من السكن - بالتحريك - وهو كل شيء سكنت إليه النفس وهدأت. والوداعة والوقار⁽⁴¹⁾.

واصطلاحاً: السكينة: "ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبدي عين اليقين"⁽⁴²⁾. "وما يسكن إليه القلب والنفس، ويوجب الأمانة والطمأنينة"⁽⁴³⁾ و"سكنت قلوبهم واطمأننت بعد شدة الخوف والحزن بأي وجه ما، تسكن بالملائكة أو غيرها"⁽⁴⁴⁾. "قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى "السكينة"، ما قاله عطاء بن أبي رباح: من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها"⁽⁴⁵⁾. "والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفطعات، مما يشبها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد"⁽⁴⁶⁾.

وإنزال السكينة يأتي بمعان، منها: نصرته، ووقاره، ورحمته، وطمأنينته.

وعلى المفهوم الذي ترجح لدينا في مفهوم الإنزال نقول إن السكينة: شيء لا يكون ضمن مدركات الإنسان ثم تنهياً الظروف المعينة ليدخل ذلك الشيء ضمن مداركه، فلا يستطيع على استجلابها أو نبذها متى

شئنا لأنها غير مدركة، "وإنزالها: إيقاعها في العقل والنفس وخلق أسبابها الجوهرية والعارضة، وأطلق على ذلك الإيقاع فعل الإنزال تشريقاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو مكان مرتفع فوق الناس فألقي إلى قلوب الناس، وتلك رفعة تخيلية مراد بها شرف ما أثبتت له على طريقة التخيلية"⁽⁴⁷⁾، فلذا تجد هناك من يعترك مع نفسه ليستجلب السكينة فيستطيع، وهناك من لا يقدر لعدم توفر الاستجلاب لديه، وتذكرها حواسه بحيث يتهياً لها المناخ المناسب فيشعر بها، وكأنها شيء محسوس، فتثبت بعد ذلك الأعضاء، ويذهب التوتر والخوف؛ ليحل محله الشجاعة والإقدام، وهذا الذي حصل لبني إسرائيل بعد تأييد الله لهم بالتأبوت الذي يشعرون معه بتلك السكينة⁽⁴⁸⁾، والنبى ﷺ في حنين بعد زعزعة قلوبهم ورهبتهم من الهزيمة حل محله الثبات والإقدام، ثم عقب ذلك النصر.

"فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ التوبة: ٢٦.. (49) أي أفرغ الله طمأنينته وثباته على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا معه"⁽⁵⁰⁾ فأحسوا بها وامتألت قلوبهم بها وثبتت جوارحهم فعادوا أشد مما كانوا. "واعلم أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ على رسوله وعلى المؤمنين يدل على أن الفعل موقوف على حصول الداعي، ويدل على أن حصول الداعي ليس إلا من قبل الله تعالى"⁽⁵¹⁾ لرسوله ومن رسوله للمؤمنين، "وإنما ذكر الرسول لأن السكينة إنما نزلت على المنهزمين ببركة وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسطه نزلت على غيره"⁽⁵²⁾، فلذا كان ﷺ ضمن الأسباب التي جعلت السكينة تدخل مدركات المؤمنين، وساعدهم رؤيته ثابتاً على الاتزان ومراجعة ما توهموه من عدم القدرة.

وفي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ الفتح: ٤، السكينة هنا غير السكينة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨ في قول أكثر المفسرين، ويحتمل هي تلك المقصود منها على جميع الوجوه: اليقين وثبات القلوب، فهي سبب ذكرهم الله كثيراً ومراقبته كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨، وفيه معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الفتح: ١٧، فجعل طاعة الله والرسول علامة لإدخال الله الجنة في تلك الآية، وفي هذه الآية بين أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان⁽⁵³⁾، "فعلم ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم. وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم. وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين مسلمين صابرين"⁽⁵⁴⁾ وعلم ما في قلوبهم تجاهه ﷺ سواء في ذلك من صدق ومن تردد أثناء البيعة على الموت، فلما دخلت السكينة مداركهم اطمأنوا فأيقنوا فشرفهم الله بالرضوان.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، "هذا هو الجو الذي نزلت فيه السورة. الجو الذي اطمأنت فيه نفس الرسول ﷺ إلى إلهام ربه، فتجرد من كل إرادة إلا ما يوحيه هذا الإلهام العلوي الصادق، ومضى يستلهم هذا الإيحاء في كل خطوة وفي كل حركة، لا يستغفزه عنه مستغف، سواء من المشركين أو من أصحابه الذين لم تطمئن نفوسهم في أول الأمر لقبول استفزاز المشركين وحميتهم الجاهلية. ثم أنزل الله السكينة في قلوبهم، ففأوا إلى الرضا واليقين والقبول الخالص العميق كإخوانهم الذين كانوا على هذه الحال منذ أول الأمر، شأن الصديق أبي بكر رضي الله عنه الذي لم تفقد روحه لحظة واحدة صلتها الداخلية المباشرة بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم" (55).
 "قال في حق الكافر (جعل)، وقال في حق المؤمن (أنزل)، ولم يقل خلق ولا جعل سكينة إشارة إلى أن الحمية كانت مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى، وأما السكينة فكانت كالمحفوظة في خزانة الرحمة، معدة لعباده فأنزلها" (56)، وإنزالها بتهيئة أسبابها لهم، فغرس في نفوسهم الوقار في مقابلة العنجهية التي يقابلهم بها أهل الجاهلية، فأنزل بالفاء لا بالواو إشارة إلى أن ذلك كالمقابلة.

المطلب السادس: إنزال الرزق.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]

أرزاق الناس لا تأتي إلا من خيرات الطبيعة ومن كسب الإنسان، لقوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥]، وقد ذكرنا في إنزال الأنعام أن الله خلق كثيرًا من الحيوانات لأجل خدمة الإنسان وتسيير معاشه، ومنها الأنعام إذ إنها وجدت على هذه الأرض مع الإنسان أو قبله، إلا أن الإنسان استطاع أن يروض كثيرًا منها، فقدرته على ترويض الأنعام لحمل الأثقال أو للحرث أو للغذاء هو المقصود من لفظ الإنزال، وهذه الأنعام ضمن الرزق الذي هيأه الله للإنسان، ولكن ذلك الرزق يحتاج منا إلى اكتساب مهارات لاستطاعتنا إدخاله ضمن معارفنا ومكتسباتنا التي تعيننا على الاستمرار في الحياة، وما في الكون هو رزق، ولكنه ينقسم على رزق مباشر، تستفيد منه فورًا، وهناك رزق غير مباشر، ومثال ذلك: النار، فأنت لا تأكل النار، لكنها تُنضج لك الطعام، إذن فهناك شيء مخلوق لمهمة تساعد على إنتاج ما يفيدك، والوصول إلى ذلك هو الذي سماه الله الإنزال. "إذن فالمراد هنا بالإنزال، أي: الإيجاد ممن هو أعلى منك لصالحك أيها الإنسان" (57)، باكتساب معارف تعينك للوصول إلى كيفية الانتفاع بهذا الرزق.

فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يس: ٣٥]، يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: (قل) يا محمد هؤلاء المشركين: (أرايتم) أيها الناس، ما خلق الله لكم من الرزق (58) فخولكموه، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة رِزْقٍ ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ ، يقول: فحللتهم بعض ذلك لأنفسكم، وحرمتهم بعضه عليها، وذلك كتحریمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التي كانوا يجعلونها لأوثانهم، كما وصفهم

الله به فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ الأنعام: ١٣٦⁽⁵⁹⁾. فبعد دخول تلك المطعومات مداركنا بمعرفة الوسائل التي تجعل ذلك الرزق مهيتاً لنا متى شئنا، تعدى أهل الجاهلية تلك المعرفة إلى التحليل والتحریم وهي من خصوصيات الله تعالى، فلذا أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم: هل عندكم إذن من الله بالتصرف بهذه الخصوصية، هل أعطاكم الله سبحانه تفويضاً في جعل الحلال حراماً، والحرام حلالاً؟ أم أنكم تفترون عليه بهذا التعدي، و"هاتان الآيتان في إقامة الحجة على منكري الوحي من المشركين بفعل من أفعالهم لا ينكرونه ولا يجادلون فيه، تعزيزاً لما تقدم من أنواع الحجج العقلية على إثباته، ودفع شبهاتهم عليه، وهذه الحجة مبنية على قاعدة كون التشريع العملي في التحريم والتحليل هو حق الله تعالى وحده، وقاعدة كون الأصل في الأرزاق وسائر الأشياء التي ينتفع بها الخلق الإباحة، وقاعدة كون انتحال العبيد حق التشريع الخاص برهم افتراء عليه وكفرًا به، يستحق فاعله أشد عقابه، وهو يتضمن الشهادة على صدق رسول الله ﷺ في كونه مبلغاً لهذا القرآن عنه تعالى، مؤكداً لما تقدم من الحجج على صدقه، وعلى كون القرآن كلام الله المعجز لجميع خلقه"⁽⁶⁰⁾.

فقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ رِزْقٍ﴾ أي هذا الذي أفاضه الله عليكم من سماء فضله وإحسانه من رزق تعيشون به من نبات وحيوان، وكل عطاء منه تعالى يعبر عنه بالإنزال كقوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ الزمر: ٦، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥⁽⁶¹⁾ "أضاف إنزاله إلى السماء، وإن كانت الأرزاق إنما تخرج من الأرض لما كانت أسبابها متعلقة بالسماء، يكون نضج الإنزال وينع الأعتاب وإصلاح الأشياء كلها أعني أسباب الأرزاق من نحو المطر الذي به تنبت الأرض النبات، وبه يخرج جميع أنواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر والدواب، ومن نحو الشمس التي ينضج بها الإنزال وبها تينع الأعتاب وجميع الفواكه ونحوه أضاف ذلك إلى السماء لما ذكرنا، وكذلك قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات: ٢٢، أي: أسباب ذلك في السماء؛ لا أن عين ذلك في السماء⁽⁶²⁾". وبعد معرفة الإنسان لتلك الأسباب ودراستها، دخلت ضمن سقفه المعرفي، فعمر الأرض، بالزراعة، وتربية الحيوان، "ومن طعام الأرض نباتها وطيرها وأسماكها وحيوانها، ثم سائر ما كانوا يحصلون عليه من الأرض لهم ولأنعامهم. وذلك بطبيعة الحال ما كانوا يدركونه حينذاك من رزق السماء والأرض. وهو أوسع من ذلك بكثير. وما يزال البشر يكشفون كلما اهتموا إلى نوااميس الكون عن رزق بعد رزق في السماء والأرض، يستخدمونه أحياناً في الخير ويستخدمونه أحياناً في الشر حسبما تسلم عقائدهم أو تعتل. وكله من رزق الله المسخر للإنسان؛ فمن سطح الأرض أرزاق، ومن جوفها أرزاق، ومن سطح الماء أرزاق، ومن أعماقه أرزاق، ومن أشعة الشمس أرزاق، ومن ضوء القمر أرزاق. حتى غفن الأرض كشف فيه عن دواء وترياق! ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ يونس: ٣١⁽⁶³⁾"، واليوم استخراج كنوز الأرض التي يقوم عليها رزق الإنسان الأساسي من مشتقات نفطية

ومعادن، و"إن تمتع الإنسان في الحياة بالملك والملك، فكل ذلك يحتاج إلى استبقاء الحياة بالرزق الذي يهبنا الحق سبحانه وإياه، وكذلك استبقاء النوع بالتزاوج بين الذكر والأنثى"⁽⁶⁴⁾.

المطلب السابع: إنزال الرجز.

قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩

الرجز: القدر، مثل الرجز... وأما قوله تعالى: ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ فهو العذاب.⁽⁶⁵⁾

فمن الألفاظ التي استخدمها القرآن لبيان ما يصيب الكافرين والمعرضين عن حكمه لفظة (الرجز)، وقد ذكر الله عن بني إسرائيل "أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى، وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجداً، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة، أي: احطط عنا ذنوبنا، فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعرة. وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة: ٥٩⁽⁶⁶⁾، ويدل قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ على أن هذا العصيان لم يكن من كل بني إسرائيل، وأن هذا الرجز كان خاصاً بالظالمين منهم، الذين فسقوا عن الأمر ولم يمثلوه، وقد أكد هذا المعنى أشد التأكيد بوضع المظهر موضع المضمّر، فقال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾، ولم يقل: فأنزّلنا عليهم؛ ولعل وجه الحاجة إلى التأكيد الاحتراس من إبهام كون الرجز كان عاماً، كما هو الغالب فيه، ثم أكد بتأكيد آخر، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وفي هذا الضرب من المقابلة من تعظيم شأن المحسنين ما فيه⁽⁶⁷⁾. رجزاً عذاباً من السماء، ومن المعلوم أن العذاب نوعان: نوع يمكن دفعه: وهو عذاب المخلوقات كالهدم والغرق، ونوع لا يمكن دفعه: كالطاعون والصاعقة والموت، والمراد به هذا النوع الثاني⁽⁶⁸⁾.

من استقراء الآيات التي تدل على إنزال العذاب على بني إسرائيل بمسمى (الرجز) دلالة على أنه كان وباء يعرفه أهل ذلك الزمن، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رَجَزٌ وَبَقِيَّةُ عَذَابٍ عَذِبَ بِهِ أَنَاسٌ مِنْ قَبْلِكُمْ)⁽⁶⁹⁾، فَإِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا وَإِذَا بَلَغَكُمْ أَنَّهُ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَلَرَبَّمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ لِبَعْضِهِمْ دَوَاءً وَلَكِنْ هَذَا الرِّجْزُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجِدُوا لَهُ عِلَاجًا حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ الْكَثِيرَ، ويدل على ذلك وصفه تعالى لهذا الرجز بالإرسال في موضع آخر، "والفارق بين «الإِنزال» وبين «الإِرسال» أن الإِنزال يكون مرة واحدة. أما الإِرسال فهو مستمرّ ومتواصل" كذلك لأن الإِنزال لا يشعر بالكثرة، والإِرسال يشعر بها، فكأنه تعالى بدأ بإِنزال العذاب القليل، ثم جعله كثيراً⁽⁷⁰⁾. كذلك من الروايات التي ساقها المفسرون أنه قد مات في يوم واحد منهم ألف على خلاف في تحديد العدد، قال ابن

زيد ومقاتل وغيرها: "إن الله تعالى بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير ما أمروا الطاعون فأذهب منهم سبعين ألفاً"، وقال ابن عباس: "أمات الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين ألفاً"⁽⁷¹⁾. إذن لماذا قال الله تعالى من السماء مع أنه وباء معروف؟
الجواب عن ذلك كما يأتي:

أولاً: أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ لَا تَبْدَلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْأَقْوَامِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، وَأَنَّهُ يَرْسِلُ آيَاتِهِ الْكُونِيَّةَ فَيَأْخُذُ اللَّهُ بِهَا الْمَكْدُبِينَ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ؛ لَعَلَّ قُلُوبَهُمْ تَرِقُّ وَتَلِينُ وَتَتَّجِهَ إِلَى اللَّهِ، وَتَعْرِفَ حَقِيقَةَ أُلُوهِيَّتِهِ. فَإِذَا هُمْ تَكَبَّرُوا وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا؛ ابْتَلَاهُمْ بِالنِّعَمَاءِ وَالسَّرَّاءِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِهِمُ الْيُسْرُ وَالْعَافِيَةُ إِلَى الْاسْتِهْتَارِ وَقَلَّةِ الْمُبَالَاةِ وَالْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَسِيطِرُونَ عَلَى أَقْدَارِهِمْ وَأَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى التَّحَكُّمِ فِي مَصَائِرِهِمْ، وَتَوَهَّوْا أَنَّ الدُّنْيَا سَائِرَةٌ بِلَا قَصْدٍ وَلَا غَايَةٍ، أَرْسَلَ لَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى ضَعْفِهِمْ وَهَوَانِهِمْ، فَحَلَّتْ بِهِمُ الضَّرَاءُ وَالْبَأْسَاءُ لَعَلَّهُمْ يَدْرِكُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ، وَيَتَذَكَّرُونَ حِكْمَتَهُ فِي تَقَلُّبِ الْأُمُورِ بِالْعِبَادِ، فَإِنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ غِيَّتِهِمْ وَيَتَّقُوا غَضَبَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالْأُوبَةِ، وَعَاشُوا كَالْأَنْعَامِ بِلَا أَضْلٍ، جَاءَهُمْ بِأُسُّ اللَّهِ الْأَكْبَرِ بَيْنَ يَدَيْ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ غَضَبِهِ وَسَخَطِهِ.

ثانياً: أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَجُودُ الْأُوبَةِ فِي الْكُونِ، وَمَتَى مَا أَذِنَ سُبْحَانَهُ بِظَهْوَرِهَا ظَهَرَتْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَدَخَّلَ ضَمْنَ مَدَارِكِ النَّاسِ وَذَلِكَ بِدِرَاسَتِهَا وَوُجُودِ عِلَاجٍ لَهَا، وَهَذَا يَتَطَابَقُ تَمَامًا مَعَ الْمَفْهُومِ الَّذِي وَصَلْنَا إِلَيْهِ لِبَيَانِ لَفْظَةِ الْإِنْزَالِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَخِلَاصَةُ الْآيَاتِ تَتِمَّتْ فِي تَعَرُّضِ قَوْمِ مُوسَى لِلرَّجْزِ بِاعْتِبَارِهِ طَاعُونًَا وَعَذَابًا اضْطَرَّتْ لَهُ النُّفُوسُ وَالْأَبْدَانُ، وَذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُمْ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ وَذَلِكَ لِإِشْعَارِ بَأْنِهِ عَذَابٍ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ حَتَّى حِينٍ.

المطلب الثامن: إنزال اللباس.

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمَلُ وَرَيْشًا﴾ الأعراف: ٢٦، "بعد أن أمر الله تعالى آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض، وجعل الأرض مستقرًا لهما، أبان أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في شؤون الدين والدنيا، ومن جملة اللباس الذي يحتاج إليه في الدين والدنيا. وذلك يقتضي شكر الله على نعمه العظيمة وعبادته بحق"⁽⁷²⁾. و"اللباس للإنسان مظهر تحضر وتمدن وعنوان احترام للآخرين، أما العري وإظهار الأعضاء فهو مظهر من مظاهر البدائية والتخلف، يتفق مع حالة الإنسان البدائي وطريقة عيشه في الصحاري والوديان، لذا امتن الله تعالى بإنعامه على البشرية، إذ أوجد لهم أنواع الألبسة لستر العورات والعيوب، ومختلف الرياش والأصواف للتنعم والراحة"⁽⁷³⁾.

من أجل ذلك نجد أن علماء التفسير يذكرون أن المقصود بإنزال اللباس إنزال أسبابه⁽⁷⁴⁾، قال الزمخشري: "جعل ما في الأرض منزلًا من السماء، لأنه قضى ثمة وكتب، أي قضى وقسم لكم، وقضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء، حيث كتب في اللوح المحفوظ"⁽⁷⁵⁾.

وذكر ابن تيمية في فتوى له في معنى النزول أنه: لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة، فإن اللباس ينزل من ظهور الأنعام، فامتد سبحانه بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث، وهذا - والله أعلم - معنى إنزاله، فإنه ينزله من ظهور الأنعام، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار، وينتفع به بنو آدم في اللباس والرياش، فقد أنزلها عليهم، وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب، فهي لدفع الحر والبرد، وأعظم مما يصنع من القطن والكتان⁽⁷⁶⁾. أي أنزل الماء والأسباب التي بها يتخذ اللباس والأطعمة والأشربة، والعلم في ذلك الماء والأسباب، والعلم بذلك، وإلا ما عرف الخلق أن كيف يتخذ ذلك لباساً والأطعمة والأشربة، وأنشأ لكم ما تتخذون منه اللباس والطعام والشراب⁽⁷⁷⁾، كذلك تجد أن جميع بركات الأرض تنسب إلى السماء وإلى الإنزال، "والتعبير بأنزلنا يفيد خصوصية البشر باللباس الذي يستر العورة، وبالرياش التي يزينون بها، أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يوارى سوءاتكم، ولباساً يزينكم، لأن الزينة غرض صحيح وحُبها من طبيعة البشر"⁽⁷⁸⁾. فما المقصود بالإنزال للباس والريش في هذه الآية الكريمة؟

الجواب على ذلك يستنبط من عبارات المفسرين لهذه الآية، الموافق لتطبيق معنى الإنزال في القرآن الكريم وهو: أن الإنزال هو عملية وعي وإدراك ومعرفة بشيء من المقدرات التي قدرها الله لبني آدم في الأرض. يقول المراغي: "ومعنى إنزال ما ذكر من السماء - إنزال مادته من القطن والصوف والوبر والحريز وريش الطير وغيرها مما ولدته الحاجة وتفنن الناس في استعماله، بعد أن تعلموا وسائل صنعه بما أوجد فيهم من الغرائز والصفات التي بها غزلوا ونسجوا وحاكوا ذلك على ضروب شتى وخاطوه على أشكال لا حصر لها ولا عد، ولا سيما في هذا العهد الذي رقيت فيه الصناعات إلى أقصى مدى وأبعد غاية"⁽⁷⁹⁾.

أما قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سُوءَ تِكُمْ﴾ الأعراف: ٢٦، فهذا يعني أن الإنسان كان عارياً لا يعرف اللباس، ثم عرف بعد ذلك الغطاء "السرايل"، وقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ النحل: ٨١، إنها القمص تقي الحر والبرد، فاكتمى بذكر الحر؛ لأن ما وقى الحر وقى البرد⁽⁸⁰⁾. والسرايل هو اللباس غير المحيط، ولعله أول ما وصل إليه الإنسان البدائي؛ لقلة الوسائل التي لديه، وذلك بعد ما كان يستخدم الأوراق لتغطية عورته، كما بينه علماء الحفريات، ويُذكر أن نبي الله إدريس - عليه السلام - هو أول من خاط الثياب ولبسها؛ إذ كانوا في ذلك الوقت قبيلة يلبسون الجلود، ويجدر بالذكر هنا أن الخياطة اليدوية تعود إلى (20,000 عام)؛ إذ كانت إبر الخياطة الأولى مصنوعة من عظام، أو قرون الحيوانات، وكانت أول الخيوط المستخدمة مصنوعة من أوتار الحيوانات، وفي القرن الرابع عشر تم ابتكار الإبر الحديدية، وفي القرن الخامس عشر ظهرت إبر العين الواحدة.

فَمَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ رِطْقَ قِطْعَةٍ جِلْدٍ بِقِطْعَةٍ جِلْدٍ أُخْرَى عَنْ طَرِيقِ الْخِيطِ⁽⁸¹⁾؟! الجواب: إن الله أعطى قفزة للناس بأن علمهم هذه الظاهرة عن طريق النبوات، "لأنهم لم يعرفوا ذلك إلا بوحي من السماء"⁽⁸²⁾.

وأما الريش فهو: "لباس الزينة، استعير من ريش الطير، لأنه لباسه وزينته، أي: أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يوارى سوءاتكم، ولباساً يزينكم، لأن الزينة غرض صحيح"⁽⁸³⁾. وقال الجوهري: الريش والرياش بمعنى، كاللبس

واللباس، وهو اللباس الفاخر. وقيل من فعل "رَبَشَ" وهي كثرة المال والخصب والمعاش أي: النقد. وهذا يدل على أن "الرياش قد يطلق على ما يستر الجسم كله ويتجمل به، وهو ظاهر الثياب. كما قد يطلق الرياش على العيش الرغد والنعمة والمال.. وهي كلها معان متداخلة ومتلازمة"⁽⁸⁴⁾.

فهنا نقول: من علم الإنسان ظاهرة التجريد الاقتصادي في تبادل السلع؟ لقد قام الاقتصاد على تبادل السلع على مبدأ المقايضة أولاً، فلكي تنقل هذه العملية من الشخص إلى الجرد وجب أن يكون هناك وحدة قياس للسلعة، وهذا ما يسمى بالنقد، وهي عملية تجريد بحتة لتبادل السلع. فهنا نقول إن الله سبحانه وتعالى علمهم إياها عن طريق النبوت، وأعطى الناس دفعة إلى الأمام.

المطلب التاسع: إنزال الحديد.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد: ٢٥.

الحديد من المعادن التي عرفها الإنسان قديماً، وكانت معرفة الإنسان للحديد نقلة نوعية كبيرة في حياة الإنسانية، وقبل أن نؤول الآية الكريمة وفق ما توصلنا له من معان للإنزال والتنزيل، نشير إلى مسألة مهمة، وهي: أقوال العلماء في تكون عنصر الحديد على الكرة الأرضية، من العلماء من يؤكد أن الحديد معدن تم إنزاله من السماء ولم يكن موجوداً في الأرض، إذ إن انفجار النجوم العملاقة ساعد على تشكل الحديد الذي تم قذفه على شكل نيازك اصطدمت بالأرض واستقرت في باطنها⁽⁸⁵⁾، فتكوين الحديد يستلزم طاقة غير موجودة على الأرض ولا حتى في المجموعة الشمسية⁽⁸⁶⁾، والقول الآخر أن كل المواد الموجودة على الأرض كانت موجودة قبل وجود الأرض على شكل غبار في الحيز الذي تكونت منها الأرض، تجمعت هذه الجزيئات والصخور صخرة فوق صخرة وحجراً فوق حجر، وأن المواد التي تأتي للأرض مع النيازك والشهب وغيرها لا تصل إلى واحد من عشرة بالمائة من المواد الأصلية للأرض.

كذلك نجد علماء التفسير اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، فمنهم من ذهب إلى أن الحديد نزل من السماء نزولاً حقيقياً بعد تكون الأرض بواسطة الشهب التي ترجم نحوها، ومنهم من ذهب إلى أن قوله تعالى: {أنزل} معناها جعل وخلق وقدر، أي: أن الله خلق الحديد على الأرض كما خلق باقي المعادن، فلا يوجد أي معدن نزل على الأرض بعد تكوينها.

وعلى مفهومنا لكلمة (أنزل) في القرآن فإننا نميل إلى القول الثاني من أقول المفسرين، في وجوده ضمن المعادن الأخرى المكونة للأرض، ولذلك يكون إنزال الحديد معناه دخول معلومة كانت غير مدركة ثم صارت مدركة للعقل الإنساني، وهي إمكانية استخراج الحديد وتشكيله.

فالحديد موجود في الطبيعة ولكنه موجود بشكل فلزات وغير موجود حر، واستخراجه من الأمور الصعبة بخلاف الذهب والفضة، ولكن كيف اكتشف الإنسان الحديد؟ هناك علامات تدل على أن الإنسان اكتشف الحديد مبكراً، وذلك بعد أن كان يستخدم أدوات من الحجارة كسلاح للصيد وكأنية للأكل والشرب، فالحديد من المعادن التي عرفها الإنسان القديم، وقد كان اكتشاف الإنسان للحديد طفرة في حياته مما يدلنا

على أن الإنسان اكتشف الحديد ودخل مداركه عبر نبوة من النبوات، فعندما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ فهذا يعني إعلام الله الإنسان بعنصر الحديد وفوائده، ولا يكون ذلك إلا عن طريق نبوة، فلم يكتشف الحديد صدفةً، لأن الله عرفنا بمنافعه التي علم من نزل عليهم القرآن، ما يشكله الحديد في وقتهم، وزدنا نحن معرفة بما زاده استخدام هذا العنصر المهم في حياتنا، لأجل ذلك قال تعالى: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾، وهذا هو سر معرفة الإنسان للحديد في مرحلة مبكرة، فهنا تدخل سبحانه ليعطي طفرة معرفية في استخدام الحديد لذا قال ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، وأنه لم يقل: وأنزلنا النحاس أو الذهب أو النار؛ لأن الإنسان اكتشف النحاس والذهب والنار دون نبوة بل بالملاحظة الزمنية الطويلة.

كذلك إذا كانت الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ لكان المعنى أن الحديد مادة موضوعة خارج نطاق الأرض، وأن الله نقله إلى الأرض، أي أن الحديد انتقل موضوعياً إلى الأرض من مكان ما، كقوله: ﴿وَيَنْزِلُ الْغَيْثُ﴾ لقمان: ٣٤، لذا قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا...﴾ ليدل على أن الحديد موجود ضمن مكونات الأرض ولم يأت من خارجها، وهذا إعجاز لغوي وعلمي، فمن أين لحمد ﷺ هذه المعلومة التي لم تظهر سوى في القرن العشرين. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

المبحث الثاني: ما جاء فيه تنزيل دون إنزال.

المطلب الأول: تنزيل جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٩٧ جبريل: "اسم أعجمي عربته العرب فلها فيه لغات، فبعضها موجودة في أبنية العرب، كجبريل الذي هو كقنديل، وبعضها خارجة عن أبنية العرب فذلك كمثل ما عربته العرب ولم تدخله في بناء كإبريسم وفرند وآجر ونحوه.

وذكر ابن عباس رضي الله عنه وغيره أن (جبر وميكو وسراف) هي كلها بالأعجمية، بمعنى عبد ومملوك، (وإيل) اسم الله تعالى، ويقال فيه إلّ، ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سمع سجع مسيلمة: هذا كلام لم يخرج من إلّ" (٨٧).

لقد تحدثنا في بحث الفرق بين الإنزال والتنزيل بأن القرآن الكريم ذكر للملائكة إنزال وتنزيل، فإنزال الملائكة دخولهم ضمن مداركنا، كرؤيتهم يقاتلون مع المسلمين، أو إنزالهم نذراً مع الأنبياء، وجاء ذكرهم بالتنزيل، وذلك أنهم مادة موضوعية خارج الوعي الإنساني وعدم استطاعة مداركنا تفسير ما يحدثونه من أوامر الله، واستيعابه، وذلك كزعزعة قلوب المشركين، وبث الرعب في قلوبهم، وقد حدث الإنزال لجبريل عندما يأتي كهيئة إنسان، والتنزيل له عندما يأتي النبي ﷺ له ستمائة جناح قد سدت الأفق. وقد تنزل جبريل بالقرآن

الكريم على النبي ﷺ بعد أن تم جعله وإنزاله من صيغة غير مدركة إلى صيغة مدركة، فلذا قال تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٥.

فذكر الحق سبحانه تنزيل جبريل عليه السلام في آيتين، في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ البقرة: ٩٧، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤. ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ قال أبو جعفر: "أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم^(٨٨)، وأن ميكائيل ولي لهم"^(٨٩). وفيها بيان سبب الجحود الذي وصل إليه اليهود في زمن النبي ﷺ بعدم الإيمان به بحجة واهية، وهي أن الذي تنزل عليك بالقرآن هو من ينزل بالعذاب والعقاب، وما ذلك إلا لأنهم استعظموا أن يكون ذلك لغير ذرية إسرائيل، على القول الموافق لسياق الآيات. "فأكذبهم الله - تعالى - بزعمهم، فقال: ﴿نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾، لا كما تقول اليهود. وما ينزل من العذاب والشدائد، إنما ينزل بأمره، لا من تلقاء نفسه وذاته"^(٩٠). وهذه حماقة وجهالة منهم، لأن جبريل - عليه السلام - نزل بالخير لهم في دينهم وفي دنياهم. ولكن الحقد والحسد إذا استوليا على النفوس جعلاهما لا تفرق بين الخير والشر.

فقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يدل على أن جبريل عليه السلام غير مُدرك للنبي ﷺ حين تنزله بالقرآن، وتلك الطريقة التي ينزل بها على قلب النبي ﷺ أشد طرق الوحي التي أخبر عنها النبي ﷺ كما في الأثر. وسواءً كان الضمير في قوله: ﴿نزله﴾ على القرآن باعتبار أنه حاضر للذهن، أو على جبريل لأنه سبب الحديث القرآني، فالتنزيل بالمعنى الذي ارتضيناه حاصل فيهما، ويدل عليه تأويل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، فقراءة التشديد لقوله: ﴿نزل﴾ ونصب ﴿الروح﴾ فيكون التنزيل هنا لجبريل بحيث أنه مخلوق غير مدرك لبني آدم وليس في متناول عقولنا، وأما قراءة التخفيف: ﴿نزل﴾ ورفع ﴿الروح﴾ فيكون القرآن هو التنزيل لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا نُنَزِّلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: ١٩٢، ويتناول جبريل لأنه الأداة التي يتوصل بها إلى قلب النبي ﷺ، ويرفع توهم "أن يكون تنزيلاً من الله تعالى إلى محمد ﷺ بلا واسطة، فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ الشعراء: ١٩٣"^(٩١). ف"جعل الله الروح نازلاً به على قلبك أي: حفظكه وفهمك إياه، وأثبتته في قلبك إثبات ما لا ينسى، كقوله تعالى: ﴿سُقُرَّتُكَ فَلَا تَنسَى﴾ الأعلى: ٦"^(٩٢).

والمقصود بـ"الروح الأمين جبريل عليه السلام، وسماه روحاً من حيث خلق من الروح، وقيل: لأنه نحة الخلق في باب الدين فهو كالروح الذي تثبت معه الحياة، وقيل: لأنه روح كله لا كالناس الذين في أبدانهم روح، وسماه أميناً لأنه مؤتمن على ما يؤديه إلى الأنبياء عليهم السلام، وإلى غيرهم"^(٩٣).

والتنزيل على القلب "للإشارة إلى أن القرآن ينزل على القلب ليحفظ في الصدور، لا أن يكتفى فيه بالسطور؛ لأن السطور يجري فيها التصحيف والتحريف، أما ما يحفظ في القلب فإنه في أمان لا يجري فيه تغيير ولا تبديل"^(٩٤).

المطلب الثاني: تنزيل الشياطين.

قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الشعراء: ٢١٠

"الشياطين جمع شيطان، والشيطان: فيعال من شطن، أي: بعد. وهو: كلُّ عاتٍ من الإنس والجنِّ والدوابِّ"⁽⁹⁵⁾. والمقصود به هنا مردة الجن من ذرية إبليس. فالشياطين مخلوقات سيئة الطباع؛ لأن من سجايهم الفساد وإضلال العباد، ابتلى الله بهم بني آدم وأعطاهم من القدرة على التشكل وتحمل المشاق في سبيل إضلال الخلق.

فبعد أن أبان الحق سبحانه الملك الموكل بنزول القرآن بقوله: ﴿وَاللَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣ ، بين الرد على الشبهة التي تقول إن محمداً ﷺ معه شيطان يملي عليه، شأنه شأن الشعراء⁽⁹⁶⁾ والكهنة، فأبان تعالى أن الشياطين ليسوا أداة لنقل القرآن، لأن طبيعتهم غير قادرة على ذلك، فمع إثبات تنزيلهم، نفى مقدرتهم على تحمل كلام الله تعالى.

وقد جاء في الآثار أن الشيطان أملى على النبي ﷺ كلاماً باطلاً وهو يقرأ على قریش سورة النجم بعد قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ الشعراء: ١٩ - ٢٠ (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) بصوت يشبه صوته ﷺ حتى لا يتغير عليه الإلهام ولا يتوحش من الاستحلاب. ومع احتمال صحة الخبر فإن ذلك ينجلي عنه ﷺ بنسخ الله ما يمليه عليه الشيطان⁽⁹⁷⁾، قال تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ الحج: ٥٢، فالأمر في تنزيل القرآن ليس إلا لمن اصطفاه الله من ملائكته، وأما الشياطين فهم عن سماعه معزولون فكيف بتحملة؟! وإن الله جعل القرآن مُعْجَزاً ومنهجاً، والمعجزة لا يتسلط عليها إنس ولا جن فيفسدها، قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ "يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد، لكن، كيف والكتاب نزل على محمد عدو للشياطين، يلعنهم في كل مناسبة، ويحذر أتباعه منهم: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ البقرة: ٢٦٨، ويقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: ٦. فكيف إذن يمدد الشيطان ويمليه عليه، وهو عدوه؟⁽⁹⁸⁾ ولكنه ينزل به الروح الأمين. وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك، وما يستطيعون أن ينزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ الشعراء: ٢١٢ فالشياطين عن سماع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن ينزلوا به"⁽⁹⁹⁾. "لَمَعْزُولُونَ" لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والاتقاش بالصور الملكوتية، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة"⁽¹⁰⁰⁾. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "لا يستطيعون أن يحملوا القرآن، ولو فعلوا ذلك لاحترقوا"⁽¹⁰¹⁾. وكذلك تجد أنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم، وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة؛

ولهذا قال الله: ﴿هَلْ أُتَيْتُكُمْ﴾ أي: أخبركم. ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٣٣) نَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢، أي: كذوب في قوله، وهو الأفَّاك الأثيم، أي: الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين أيضًا كذبة فسقة⁽¹⁰²⁾. "فمن لا ينزل إلا بكذب وباطل لا ينزل إلا على كذاب أفَّاك، وكان معلومًا عندهم أن محمدًا لم يكذب قط ولا أفَّاك أبدًا؛ إذ لم يأخذوه يكذب فيما بينهم قط، فيقول - والله أعلم - كيف يتنزل عليه الشياطين وهو معروف عندكم أنه ليس بكذاب ولا أفَّاك، وقد تعلمون أن الشياطين لا ينزلون إلا بكذب وباطل؟!"⁽¹⁰³⁾.

أي أن تنزل الشياطين المقصود به أنهم مخلوقات موجودة تعيش على الأرض و"إنما قال: (تنزل) لأنها أكثر ما تكون في الهواء، وأنها تمر في الريح"⁽¹⁰⁴⁾، غير مدركة لنا بني البشر قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرْتَكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَوْيَ لَهُمْ﴾ الأعراف: ٢٧، فشأنهم شأن الملائكة بالنسبة لذكرهم بمصطلح (التنزيل)، أي: أنهم مادة موضوعية خارجة عن الإدراك الإنساني. ولأجل ذلك نجد من ينكر وجودهم، لعدم القدرة على إثباتهم ماديًا، والعالم مليء بالمكتشفات، فعل عدم القدرة على رؤيتنا لهم يرجع إلى الأبعاد التي خلقها الله، وهي غير مدركة لأجهزتنا المحدودة. والعلم عاجز حتى اليوم عن اقتحام تلك المنطقة الغيبية التي لا تزال خارج نطاق اختصاصه.

الخاتمة:

لقد فرق جماعة من أرباب التحقيق بين لفظي الإنزال والتنزيل، ولكن لم يصلوا إلى معنى مضطرب يصلح لتطبيقه في جميع المواضع التي ورد فيها الإنزال والتنزيل، إلا إشارات يسيرة، وقد جمعنا أقوال العلماء ورأينا أنها لا تخرج عن المفهوم الآتي: التنزيل: هو عملية نقل موضوعي خارج الوعي الإنساني. والإنزال: هو عملية نقل المادة من غير المدرك إلى المدرك.

وقد طبقنا هذا المفهوم على الأماكن التي ورد فيها إنزال فقط وظهرت النتائج الآتية:

1. أن ما أنزل على الملكين، هو العلوم التي لم تكن ضمن مدركاتهم، فجعلت ضمن مدركات هذين الملكين.
2. أن إنزال الأمانة المقصود بها الخبرات الحربية التي دخلت مدارك النبي ﷺ وأصحابه واستقراء الأحداث لاستنباط الأحداث.
3. أن إنزال الأنعام هو: إدخال أساليب وطرق ترويض الأنعام في مفاهيم ومدركات الإنسان، إما عن طريق طول الممارسة، أو عن طريق نبوة.
4. وأن إنزال الآية وهو معجزة كونية حسية مشاهدة، تكون معصدة له ﷺ في دعوى النبوة، وأن تكون تلك المعجزة من جنس المعجزات التي حدثت للأنبياء قبله، أي: أن تدخل ضمن معارفهم وحدود إدراكهم.

5. وأن إنزال السكينة وهي: أفرغ الله طمأنينته وثباته على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا معه فأحسوا بها وامتألت قلوبهم بها وثبتت جوارحهم فعادوا أشد مما كانوا، فلذا كان ﷺ ضمن الأسباب التي جعلت السكينة تدخل مدركات المؤمنين وساعدهم رؤيته ثابتاً على الاتزان ومراجعة ما توهموه من عدم القدرة.
 6. وأن إنزال الرزق هو: اكتساب المعارف والوسائل التي تجعل ذلك الرزق مهيباً لنا متى شئنا، وتعينك للوصول إلى كيقية الانتفاع بهذا الرزق.
 7. وإنزال الرجز وهو أنه كان وباء يعرفه أهل ذلك الزمن، ولربما أنهم كانوا يجدون لبعضهم دواء، ولكن هذا الرجز الذي أنزله الله عليهم لم يستطيعوا أن يجدوا له علاجاً حتى أهلك منهم الكثير، ويدل على ذلك وصفه تعالى لهذا الرجز بالإرسال في موضع آخر.
 8. وأن إنزال اللباس يعني أن الإنسان كان عارياً لا يعرف اللباس، ثم عرف بعد ذلك الغطاء، مما ولدته الحاجة وتفنن الناس في استعماله، ونسجوا وحاكوا ذلك على ضروب شتى وخاطوه على أشكال لا حصر لها ولا عد.
 9. وأن إنزال الحديد يقصد به إعلام الله الإنسان بعنصر الحديد وفوائده، ولا يكون ذلك إلا عن طريق نبوة، فلم يكتشف الحديد صدفة؛ لأن الله عرفنا بمنافعه التي علم من نزل عليهم القرآن، ما يشكله الحديد في وقتهم، وزدنا نحن معرفة بما زاده استخدام هذا العنصر المهم في حياتنا، وهذا هو سر معرفة الإنسان للحديد في مرحلة مبكرة، فهنا تدخل سبحانه ليعطي طفرة معرفية في استخدام الحديد.
 10. تم التطبيق على الأماكن التي ورد فيها تنزيل فقط وهي: تنزيل جبريل عليه السلام مما يدل على أن جبريل ع غير مُدرك للنبي ﷺ حين تنزله بالقرآن وتلك الطريقة التي ينزل بها على قلب النبي ﷺ أشد طرق الوحي التي أخبر بها النبي ﷺ كما في الأثر.
 11. وأن تنزيل الشياطين المقصود به أنهم مخلوقات موجودة تعيش على الأرض وإنما قال: (تنزل) لأنها أكثر ما تكون في الهواء، وأنها تمر في الريح، غير مُدركة لنا بني البشر، فشأنهم شأن الملائكة بالنسبة لذكرهم بمصطلح (التنزيل)، أي: أنهم مادة موضوعية خارجة عن الإدراك الإنساني.
- فهذا جهد المقل في معرفة شيء من بحر العلوم المكنونة في كتاب الله المجيد، وما نريد بما توصلنا إليه تمييزاً أو رفعة، إن نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، وما التوفيق إلا بالله، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى نور الحق والفهم، وامن علينا بمعرفة العلم، وسهل أخلاقنا بالحلم، و{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ}.

الهوامش:

- (1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: (5/ 417)، وينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد: (367/7).
- (2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: (11/ 656).
- (3) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي: (30/ 479). بتصرف.
- (4) قياساً منه على استخدام العرب للكلمة في بادية واستخدام مرادفها في بادية أخرى، وعلى الشعر الذي لا يعيبه الحشو ولا الترادف.
- (5) وقد بينا أقوال العلماء في بحث الفرق بين الإنزال والتنزيل دراسة نظرية، مجلة جرش، المجلد الثاني والعشرون، العدد الأول.
- (6) ذهب إلى القول بالفرق بين اللفظتين جمع من اللغويين والمفسرين، فالفرق بين اللفظتين قول الواحد، والزخشي، والراغب الأصفهاني، وابن فارس، والسمين الحلبي، وابن الزبير الغرناطي، وغيرهم.
- (7) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: (2/ 16 - 19)، ومعبد، محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، (القاهرة: دار السلام، ط2، 1426 هـ / 2005 م)، ص53-54.
- (8) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ص799، و بيان المعاني ملا حويش: (2/ 295).
- (9) الأمثل في التفسير، الشيرازي: (1/ 197).
- (10) "بيننا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بمجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار، لأجل الموعظة والاعتبار، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية، ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح". تفسير المنار، رشيد رضا: (1/ 330).
- (11) تفسير أبي السعود: (1/ 138).
- (12) ينظر: إعراب القراءات الشاذة، العكبري: (1/ 96).
- (13) تفسير المنار: (1/ 332).
- (14) المصدر نفسه: (1/ 331).
- (15) "والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي كما في قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشيئة، فأخرجوها عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين". تفسير السعدي: (ص: 61).
- (16) ينظر: تفسير الطبري: (7/ 317)، وتفسير ابن كثير: (2/ 144)، والسيرة النبوية ابن هشام: (4/ 64).
- (17) تفسير السعدي: (ص: 153).
- (18) تفسير الرازي: (9/ 393).
- (19) تفسير المنار: (4/ 153).
- (20) تفسير الماتريدي: (2/ 510).
- (21) المصدر نفسه.
- (22) تفسير السعدي: (ص: 153).
- (23) ينظر: قصص الأنبياء: (ص62 - 68) بتصرف.
- (24) ينظر: تفسير ابن عطية: (4/ 520)، التفسير الوسيط، لطنطاوي: (12/ 198)، التفسير القرآني للقرآن: (12/ 1120).

- (25) ينظر: الكشف الزخشي: (4/ 114)، تفسير أبي السعود: (7/ 243)، تفسير الثعلبي: (8/ 222)، تفسير البيضاوي: (5/ 37).
- (26) تفسير ابن جزى: (2/ 217)، تفسير الرازي: (26/ 424).
- (27) في ظلال القرآن: (5/ 3039).
- (28) تفسير الماتريدي: (8/ 659).
- (29) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (1/ 339).
- (30) إن دخلت «لولا» على جملة اسمية، فالمقصود بها عدم شيء لوجود شيء، كقول إنسان لآخر: لولا زيد عندك لأنتيك، وبذلك ينعدم ذهابه إلى فلان لوجود زيد عنده. وهكذا تكون «لولا» حرف امتناع لوجود، وإن دخلت «لولا» على جملة فعلية فاعلم أنها حثٌ وتحضيض. تفسير الشعراوي: (10/ 5832).
- (31) تفسير الطبري: (15/ 48). وينظر لمعاني الآية في القرآن: الوجوه والظواهر لأبي هلال العسكري: (ص91).
- (32) تفسير أبي السعود: (4/ 133).
- (33) ينظر: تفسير ابن كثير: (4/ 257)، وتفسير المنار: (11/ 270).
- (34) تفسير الرازي: (19/ 13).
- (35) تفسير ابن كثير: (4/ 454).
- (36) تفسير الرازي: (19/ 39).
- (37) تفسير ابن كثير: (4/ 434).
- (38) وفيه إنذار لهم بالعذاب وهو قسمان: عذاب الاستئصال لمن أوتوا ما اقترحوا على رسلهم من الآيات فأصروا على الجحود والعناد، وعذاب من لم يؤتوا ذلك وهو خذلانهم ونصر الرسل عليهم في الدنيا وما وراءه من عذاب الآخرة. تفسير المنار: (11/ 270).
- (39) إنزال وتنزيل (آية) مما فاتنا في بحث الفرق بين الإنزال والتنزيل، دراسة نظرية.
- (40) وزعموا أن السكينة معربة عن (شكينة) في اللغة العبرانية. كما في سفر صموئيل من سفر الملوك الأول في الأصحاح الرابع وما بعده. تفسير القاسمي: (2/ 182).
- (41) ينظر: كتاب العين (5/ 313)، والصحاح: (5/ 2136).
- (42) التعريفات (ص159).
- (43) تفسير الرازي: (16/ 19). وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف: (ص411).
- (44) تفسير الماتريدي: (5/ 326).
- (45) تفسير الطبري: (5/ 329).
- (46) تفسير السعدي: (ص: 332).
- (47) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (26/ 149).
- (48) والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى. تفسير ابن عطية: (1/ 333).
- (49) وفي قوله: (لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) دلالة نقض قول المعتزلة؛ لأنه سماهم مؤمنين بعد ما كان منهم التولي، والتولي لم يخرجهم من الإيمان على ما قالوا. المرجع السابق.
- (50) التفسير الوسيط للرحيلي: (1/ 849).
- (51) تفسير الرازي: (16/ 19).

- (52) التفسير المظهرى: (4/ 163).
- (53) تفسير الرازي: (28/ 79).
- (54) في ظلال القرآن: (6/ 3326).
- (55) في ظلال القرآن: (6/ 3312).
- (56) تفسير الرازي: (28/ 84).
- (57) تفسير الشعراوي: (10/ 6007).
- (58) ذكر أبو السعود: أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلًا لأنه مقدّر في السماء محصل هو أو ما يتوقف عليه وجودًا أو بقاءً بأسباب سماوية من المطر والكواكب في الإنضاج والتلوين. تفسير أبي السعود: (4/ 156).
- (59) تفسير الطبري: (15/ 111).
- (60) تفسير المنار: (11/ 335).
- (61) تفسير المنار: (11/ 335).
- (62) تفسير الماتريدي: (6/ 56).
- (63) في ظلال القرآن: (3/ 1781).
- (64) تفسير الشعراوي: (10/ 6005).
- (65) الصحاح: (3/ 878).
- (66) تفسير ابن كثير: (1/ 277).
- (67) تفسير المنار: (1/ 269).
- (68) التفسير المنير للزحيلي: (1/ 166).
- (69) مسند أحمد: ح (1491)، وقد جاء في حديث: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (الطّاعون رجزٌ أرسل على طائفةٍ من بني إسرائيل). الموطأ: ح (1588).
- (70) تفسير الرازي: (15/ 390)، تفسير الشعراوي: (7/ 4403).
- (71) تفسير ابن عطية: (1/ 151).
- (72) التفسير المنير للزحيلي: (8/ 168).
- (73) التفسير الوسيط للزحيلي: (1/ 645).
- (74) ينظر: تفسير السمرقندي: (1/ 509)، تفسير الرازي: (14/ 221)، التفسير المظهرى: (3/ 338)، تفسير الألوسي: (343/4)، تفسير الثعلبي: (4/ 225)، وغيرها.
- (75) الكشف: (2/ 97).
- (76) ينظر فتاوى ابن تيمية: (12/ 255) وتفسير القاسمي: (5/ 27).
- (77) تفسير الماتريدي: (4/ 393).
- (78) التفسير الوسيط لطنطاوي: (5/ 260).
- (79) تفسير المراغي: (8/ 125)، ثم أكمل بكلام جميل قال فيه: "ولا شك أن امتنانه علينا بلباس الزينة دليل على إباحتها والرغبة في استعمالها، فالإسلام دين الفطرة وليس فيه ما يخالف ما تدعو إليه الحاجة. وحب الزينة من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة" اهـ. فالتفاح يسقط كل يوم والناس يرون هذه الظاهرة متكررة وعندما توصلوا إلى سبب سقوطها صار ذلك (إنزال) وهو اكتشاف الجاذبية.
- (80) ينظر: كتاب العين: (7/ 344)، وتاج العروس: (29/ 196).

- (81) أحدث اختراع ماكينة الخياطة من قبل (إلياس هاو) من كونيتيكت عام 1846م ثورةً تكنولوجيةً، وصناعيةً، واجتماعيةً، إذ أصبحت صناعة الملابس من الأمور الرخيصة والسريعة، وساهمت أيضًا في إنشاء أكبر وأحدث مصانع الغزل والنسيج، وغيّرت الطريقة التي يتم فيها تصنيع الملابس، وساعدت نساء الطبقات الوسطى على إثبات قدرتهنّ في إتقان العمل بالآلات المعقدة، وبالتالي أصبحت ماكينة الخياطة ذات قدر مقارنةً مع أي آلة أخرى، وفي العصر الحديث أصبحت الخياطة رمزًا إلى عمل المرأة.
- (82) تأويلات أهل السنة: (4/ 393).
- (83) تفسير الكشاف: (2/ 97).
- (84) ينظر: مجاز القرآن: (1/ 213)، وفي ظلال القرآن: (3/ 1278).
- (85) لذا وجد في الآثار أن معظم استخدامات الحديد اعتمدت على الحديد النيزكي من قبل الإنسان القديم، حتى الحديد الذي كان يعثر عليه بالتنقيب كان يظن أنه من الحديد النيزكي نزل من السماء فكانوا يسمونه (معدن السماء)، لعدم وجود الوسائل التي تميز لهم النازل من غيره.
- (86) شبكة بيان الإسلام: <https://xwww.mutah.edu.jo/eijaz/ironarabic.htm>
- (87) تفسير ابن عطية: (1/ 183).
- (88) "من الناس من استبعد أن يقول قوم من اليهود: إن جبريل عدوهم قالوا: لأننا نرى اليهود في زماننا هذا مطبقين على إنكار ذلك مصرين على أن أحدا من سلفهم لم يقل بذلك، واعلم أن هذا باطل لأن حكاية الله أصدق، ولأن جهلهم كان شديدا وهم الذين قالوا، اجعل لنا إلهًا كما لهم إلهة [الأعراف: 138]". تفسير الرازي: (3/ 611).
- (89) تفسير الطبري: (2/ 377).
- (90) تفسير الماتريدي: (1/ 517).
- (91) تفسير الرازي: (24/ 530).
- (92) تفسير الكشاف: (3/ 334).
- (93) مفاتيح الغيب: (24/ 530).
- (94) زهرة التفاسير: (1/ 328).
- (95) كتاب العين: (6/ 237)، والصاحح تاج اللغة وصحاح العربية: (5/ 2144).
- (96) فلكل شاعر شيطان يُملِّيه الشَّعر، وعندهم وادٍ يُسمَّى وادي «عبر» هو وادي الجن، فيقولون: فلان عبقرى أي: موصول بالجن في هذا الوادي. تفسير الشعراوي: (17/ 10701).
- (97) وقد حكم الألباني على جميع طرق الأثر بالضعف. ينظر نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق: (ص35).
- (98) تفسير الشعراوي: (17/ 10701).
- (99) تفسير الطبري: (19/ 403).
- (100) تفسير البيضاوي: (4/ 151).
- (101) تفسير السمرقندي: (2/ 569).
- (102) تفسير ابن كثير: (6/ 172).
- (103) تفسير الماتريدي: (8/ 92).
- (104) تفسير القرطبي: (13/ 145).

مصادر البحث:

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
2. الأمثل في التفسير، الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، قم: سليمان زادة، ط1، 1384هـ.
3. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبدالله بن عمر الشيرازي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418هـ.
4. بيان المعاني، ملا حويش آل غازی عبد القادر، دمشق: مطبعة الترقى، د ط، 1382هـ.
5. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، د. ت.
6. تأويلات أهل السنة، الماتريدي، محمد بن محمود، أبو منصور، تحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.
7. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ/2000م.
8. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط1، 1416هـ.
9. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م.
10. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
11. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.
12. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت.
13. تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
14. التفسير المظهر، المظهر، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - باكستان، ط1، 1412هـ.
15. التفسير الوسيط لطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، دار نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، 1997م.
16. التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ.
17. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
18. جامع البيان في تأويل أي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
19. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ/2003م.

20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
21. زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي، ط1، د. ت.
22. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
23. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط17، 1412هـ.
24. كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
25. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
26. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.
27. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت، ط3، سنة: 1414هـ.
28. مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، د. ت.
29. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 1426هـ / 2005م.
30. محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ.
31. المحرر الوجيز، بن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
32. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مصر، ط1، 1399هـ - 1979م.
33. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر التميمي، ار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1421هـ - 2000م.
34. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دمشق دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.
35. مناهل العرفان، الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د. ت.
36. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، القاهرة: دار السلام، ط2، 1426هـ / 2005م.

Quranic reflections of what is "Inzaal" or "Tanzeel,.

Dr. Nabil Mubarak Ajrah.

Associate Professor of the Qur'an and its Sciences, College of Sharia, Al-Rayyan University.

Abstract:

One of the rules useful for understanding the wise revelation is the rule: There is no synonym in the Book of God (Qur'an). This rule shows the accuracy of God's words revealed to Muhammad , and that it is different from the speech of the Arabs, which is neither defective nor visceral, and from the accuracy with which the revelation was characterized, we can reach precise meanings. We differentiate between the words that are thought to be synonymous, even if their origin is the same and their premises are different. The increase in the building indicates the increase in meaning among these words are my words; "Inzaal" or "Tanzeel,., and I have clarified the concept that is intended from them in the words of God, then I applied this concept to the things in which there is only, "Inzaal" or "Tanzeel,. This research includes; an introduction, and a preface in which the meaning of the two terms was clarified, both linguistically and idiomatically, then the first topic, in which the concept is applied to what is mentioned in it , then the second topic, in which it is applied to what is contained in, and a conclusion that includes the core of what came in this research.

الآراء الفقهية للإمام أبي الفياض البصري الشافعي المتعلقة بالطهارة (جمعاً ودراسة فقهية مقارنة)

د. صالح مبارك دعكيك

أستاذ الفقه المشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب،

جامعة حضرموت

الملخص:

تستهدف هذه الدراسة جمع آراء الإمام أبي الفياض البصري الشافعي الفقهية المتعلقة بالطهارة، المفرقة في بطون الكتب الفقهية، ودراستها دراسة مقارنة بآراء فقهاء المذاهب الفقهية الأربعة، ومناقشتها بإيراد الدليل والتعليل، والنظر فيما تقول إليه المناقشة من الرجحان، وذلك من خلال منهجية الاستقراء والاستدلال والتحليل.

وتطلب البحث أن يقسم على تمهيد ومبحثين، يُخصص التمهيد للتعريف بالإمام أبي الفياض البصري، والمبحث الأول للآراء الفقهية المتعلقة بالوضوء ونواقضه والغسل، ويُخصص الثاني للآراء الفقهية المتعلقة بالنجاسات والتيمم والاستمتاع بالحائض.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج منها: أن الإمام أبا الفياض البصري درس ودرّس بالبصرة وعنه أخذ جماعة من فقهاءها، ويُعد من كبار فقهاء الشافعية الذين اشتهرت وذاعت أقوالهم في مصنفات المذهب وغيرها، وجمعت الدراسة ثمانية آراء فقهية له فيما يتعلق بالطهارة، منها: أنه يرى التفصيل فيما يجب غسله من شعر الصُّدغ، فما استعلى على الأذنين منه، فهو من الرأس، وما انحدر عنهما فمن الوجه. وأن النائم المحتجب إن كان نحيف البدن معروق الأليتين انتقض وضوؤه، وإن كان لحيم البدن، تنطبق أليته على الأرض لم ينتقض وضوؤه، وأن البيض الكائن في جوف الطائر الميت؛ إن كان قوياً فهو طاهر مأكول، وإن كان ضعيفاً رخواً فهو نجس، وأن الحيات والوزغ ليست ذات نفس سائلة. وأن الرجل - إذا كانت زوجته حائضاً - إن كان يضبط نفسه عن إصابة الفرج؛ إما لضعف شهوته أو شدة ورع جاز له الاستمتاع بما بين السرة والركبة، وإلا فلا يجوز له.

وهذه الآراء منها ما هو موافق للأصح عند الشافعية، وأخرى صححها واستحسنها بعض متأخري الشافعية، وهناك آراء موافقة للمذاهب الفقهية الأخرى.

الكلمات المفتاحية: آراء، فقهية، فقه الطهارة، أبو الفياض البصري.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أنجبت الإمامة الإسلامية على مر الأزمنة والعصور الكثير من الفقهاء من مختلف المذاهب الفقهية، قدموا ثروة فقهية عظيمة يُفخر بها على مر العصور.

ومن هؤلاء الأئمة، الإمام أبو الفياض البصري الشافعي، أحد أئمة المذهب الشافعي، الذي له الكثير من الآراء والأقوال الفقهية المتناثرة في بطون الكتب، أراد الباحث جمع هذه الأقوال وإبرازها للمهتمين بالعلم الشرعي عمومًا والفقهاء خصوصًا.

وقد جمع الباحث هذه الآراء من أمهات كتب الفقه الشافعي، مع صياغة المسائل صياغة فقهية، وبيان رأي الإمام أبي الفياض البصري، وذكر أقوال من وافقه وخالفه من أصحاب المذاهب الفقهية، وإيراد أهم أدلتهم وتعليقاتهم، والنظر فيما تؤول إليه المناقشة من الرجحان إن ظهر ذلك.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره إلى الآتي:

- 1- إبراز الآراء الفقهية لإمام من الأئمة الفقهاء، وهو أبو الفياض البصري، ليكون بين أيدي الباحثين.
- 2- تناثر أقواله وآرائه - رحمه الله - في بطون الكتب، مع عدم وجود كتاب يجمع متفرق أقواله.
- 3- إثراء الفقه الإسلامي بوجود فقهية مأثورة، ومعرفة مستمسكاتها الدليلية والتعليلية.
- 4- مكانة الإمام أبي الفياض البصري بين العلماء؛ وبالتالي أهمية آرائه واستنباطاته الفقهية.

الدراسات السابقة:

لا توجد - حسب علم الباحث - دراسة سابقة تجمع الآراء الفقهية للإمام أبي الفياض البصري.

حدود البحث:

حدود الدراسة لهذا البحث هو جمع الآراء الفقهية المتعلقة بمسائل الطهارة المذكورة عن الإمام أبي الفياض البصري من كتب الفقه الشافعي واستعراضها، ومقارنتها بأقوال العلماء.

خطة البحث:

احتوت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين:

- المقدمة: وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة وحدوده وخطته ومنهجه.
- التمهيد: وفيه التعريف بالإمام أبي الفياض البصري.
- المبحث الأول: الآراء الفقهية المتعلقة بالوضوء ونواقضه والغسل، وفيه أربع مسائل فقهية.
- المبحث الثاني: الآراء الفقهية المتعلقة بالنجاسات والتيمم والاستمتاع بالحائض، وفيه أربع مسائل فقهية.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- المصادر والمراجع.

منهج البحث وخطواته:

يقوم منهج البحث على المنهج الاستقرائي والاستدلالي والتحليلي، وسار البحث على الخطوات الآتية:

- 1- مطالعة كتب تراجم أعلام الفقهاء لمعرفة السيرة الشخصية والمكانة العلمية للإمام أبي الفياض البصري.
- 2- جمع آراء الإمام أبي الفياض البصري الفقهية المختصة بالطهارة من كتب الفقه الشافعي.
- 3- دراسة تلك المسائل دراسة مقارنة بآراء فقهاء المذاهب الفقهية الأربعة، ومناقشتها بإيراد الدليل والتعليل.
- 4- بيان ما توصل إليه الباحث من نتائج مقارنة الأقوال الفقهية المختلفة، وذلك ببيان ما يظهر رجحانه منها، مع ذكر وجوه الترجيح غالبًا.
- 5- إثبات النصوص القرآنية وفق مصحف المدينة.
- 6- تخریج الأحاديث النبوية، وبيان درجتها بنقل حكم أهل الاختصاص فيها.
- 7- عزو الأقوال والآثار إلى مظانها.

تمهيد: التعريف بالإمام أبي الفياض البصري:

أولاً: اسمه ونسبه ونسبته وكنيته:

هو محمد بن الحسن بن المنتصر أبو الفياض البصري الشافعي نزيل بغداد⁽¹⁾.
وسمى البعض اسم أبيه: الحسين⁽²⁾.

ثانياً: مولده ووفاته:

لا يعرف تاريخ مولده، كما لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، لهذا قال ابن قاضي شعبة في طبقاته: ((لا نعرف وقت وفاته وذكرته هنا تقريباً - أي في الذين كانوا في العشرين الخامسة من المائة الرابعة - فإن تلميذه الصيمري في الطبقة الآتية))⁽³⁾.
وأرخ البعض وفاته في حدود سنة 385 هـ⁽⁴⁾.

ثالثاً: شيوخه:

دَرَسَ الإمام أبو الفياض البصري بالبصرة، ولم تذكر كتب التراجم ممن تتلمذ عليهم سوى الإمام أبي حامد المروزي.

وهو أبو حامد أحمد بن بشر بن عامر، العلامة، شيخ الشافعية، مفتي البصرة، وصاحب التصانيف. تفقه بأبي إسحاق المروزي، وصنف كتاب (الجامع) في المذهب، وألف شرحاً لـ (مختصر) المزني، وألف في الأصول، وكان إماماً لا يشق له غبار، وكتابه الموسوم بالجامع أمدح له من كل لسان ناطق، وأخذ عنه فقهاء البصرة، ومن أعيان تلامذته وأبو الفياض البصري، أبو إسحاق المهراني، وأبو القاسم الصيمري، توفي في سنة اثنتين وستين وثلاث مائة⁽⁵⁾.

رابعاً: تلاميذه:

ذكر كل من ترجم للإمام أبي الفياض رحمه الله أنه قد تفقه عليه وأخذ عنه فقهاء البصرة؛ لكن لم يذكروا منهم إلا الصيمري، ولعل ذلك لاختصاصه به، وشهرته بعد ذلك خاصة حينما تولى القضاء، وهو عبد

الواحد بن الحسين بن محمد، القاضي الإمام أبو القاسم الصيمري، نزيل البصرة، أحد الأئمة أصحاب الوجوه، أخذ عنه جماعة من أهل الفضل، منهم: أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي.

وكان حافظاً للمذهب، حسن العبارة، حسن التصانيف، ارتحل الناس إليه من البلاد للأخذ عنه. من تصانيفه: كتاب (الإيضاح في المذهب)، و(القياس والعلل)، و(أدب المفتي والمستفتي)، وكتاب في الشروط. وكانت وفاته بعد سنة ست وثمانين وثلاث مئة⁽⁶⁾.

خامساً: مكانته العلمية:

يعد الإمام أبو الفياض البصري رحمه الله من كبار فقهاء الشافعية الذين اشتهرت أقوالهم وذاعت في مصنفات المذهب، ومما يدل على مكانته العلمية ما يأتي:

- ثناء العلماء عليه، فذكروا أنه من الأئمة المصنفين، قال الإمام ابن الصلاح: ((كان من الأئمة البصريين المصنفين، من تصانيفه: اللاحق بالجامع الذي صنّفه شيخه⁽⁷⁾))، ووصفه الحافظ الذهبي بالفقيه⁽⁸⁾.
- أن له في المذهب وجوهاً واختيارات مسطورة في كتب الأصحاب.
- اختيار الأئمة وتصحيحهم واستحسانهم لبعض أقواله.
- تكرر ذكره والنقل عنه في معتمد كتب المذهب، وأعلاها كتابا الشيخين؛ وهما العزيز شرح الوجيز للرافعي، وروضة الطالبين للنووي.

سادساً: تصانيفه:

- 1- اللاحق بالجامع: وهو تنمة لكتاب الجامع في الفروع الذي ألفه شيخه أبو حامد المروزي⁽⁹⁾.
- 2- المهذب: وهو مشهور بمذهب أبي الفياض البصري⁽¹⁰⁾.

المبحث الأول

الآراء الفقهية المتعلقة بالوضوء ونواقضه والغسل

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: حكم شعر الصّدغ:

الصّدغ: بضم الصاد وسكون الدال، هو ما بين لحظ العين إلى أصل الأذن، أو ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحين، ثم سموا الشعر الذي تدلى على هذا الموضع صدغاً⁽¹¹⁾.

ويعرفه الفقهاء بأنه: الشعر المحاذي لرأس الأذن نازلاً إلى أول العذار⁽¹²⁾، فعلى ما تقدم فالصدغ هو القدر المحاذي للنصف الأعلى للأذن، يبتدئ من أعلى الأذن بقليل إلى عظم الفك الفاصل بين الصدغ والوجنة.

يرى الإمام أبو الفياض البصري رحمه الله التفصيل فيما يجب غسله من شعر الصّدغ، فما استعلى على الأذنين منه، فهو من الرأس، وما انحدر عنهما فمن الوجه⁽¹³⁾.

واتفق الفقهاء - رحمهم الله - في الجملة على وجوب غسل الشعر الواقع في حد الوجه⁽¹⁴⁾، واختلفوا في بعض الشعر، ومنه شعر الصُّدغ، هل هو من الوجه أم من الرأس؟
ويكاد متأخرو فقهاء المذاهب الأربعة يتفقون على أن الصُّدغ داخل في حدود الرأس، فيُمسح معه عند الاستيعاب⁽¹⁵⁾.

ومن أدلة ما ذهبوا إليه حديث الربيع بنت معوذ: «أنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، قالت: مسح رأسه، ومسح ما أقبل منه، وما أدبر، وصدغيه، وأذنيه مرة واحدة»⁽¹⁶⁾، فمسحه صلى الله عليه وسلم مع الرأس دليل أنه منه، ولأنه شعر متصل به، ولم ينقل أنه غسله مع الوجه⁽¹⁷⁾.
والحرم حينما يخلق الرأس يخلق معه موضع الصدغ؛ لأنه منه، ولا ينبغي تركه له⁽¹⁸⁾، وكان ابن عمر يقول للحالق: بالغ العظمين افصل اللحية من الرأس⁽¹⁹⁾، وما فوق العظمين هما الصدغان، فهما من الرأس.
وهناك رواية عند الحنابلة أن الصدغ من الوجه، وهي أيضاً رواية عن الشافعي⁽²⁰⁾.

ففي الإنصاف⁽²¹⁾: أن الصدغ من الرأس على الصحيح من المذهب، وأنه هو ظاهر كلام أحمد، وحكى أبو الحسين في الصدغ روايتين، واختار أنه من الوجه ابن حامد وابن عقيل. قال ابن قدامة: "وذكر بعض أصحابنا في الصدغ وجهًا آخر أنه من الوجه؛ لأنه متصل بالعذار أشبه العارض، وليس بصحيح"⁽²²⁾.
وذكر النووي - رحمه الله - خلاف الشافعية في الصدغ، هل هو من الرأس أم من الوجه؟ فقال: "واختلف أصحابنا فيه، فقطع المصنف والأكثر بأن الصدغ من الرأس، ومن قطع بذلك الشيخ أبو حامد والبندنجي والمحاملي وسليم الرازي في الكفاية والقاضي حسين وابن الصباغ والشيخ نصر والبغوي وآخرون، وحكى الماوردي فيه ثلاثة أوجه: أحدها من الرأس، والثاني: من الوجه، والثالث: وهو قول أبي الفياض وجمهور البصريين أن ما استعلى على الأذنين منه فهو من الرأس، وما انحدر عنهما فمن الوجه، قال الروياني: هذا الثالث هو الصحيح، وقال صاحب المستظهري: هذا الثالث ظاهر الفساد"⁽²³⁾.

وتصحیح الروياني لقول أبي الفياض يعتمد على أمور منها:

الأول: أن الصُّدغ ينقسم على قسمين: الأعلى منه من الرأس، وما انخفض منه من الوجه.
والثاني: أن الوجه محدود بالأذنين، فما علا منهما لا يدخل في حده، فهو من الرأس⁽²⁴⁾.
الثالث: أن الصُّدغ في موقعه سعة، فمنه ما يدخل في حدود الرأس لالتصاقه بتدوير الرأس، ومنه ما يقع في حدود الوجه؛ لكونه بين الأذنين، فاقضى ذلك التفريق في حده عند الوضوء.

واختار هذا جمهور البصريين وغيرهم، بل نسب الروياني للجمهور مطلقاً⁽²⁵⁾، على أن بعض الفقهاء يُعرِّف الصدغ بأنه ما يحاذي رأس الأذن فقط، كما ذكره المرداوي عن بعض الحنابلة كصاحب الحاوي الكبير، ومجمع البحرين، وابن عبيدان والمجد في شرحه⁽²⁶⁾.

وعلى هذا لا يظهر ما ذكره صاحب المستظهري وهو القفال الشاشي في كتابه حلية العلماء⁽²⁷⁾ من ظهور فساد هذا القول، بل ربما كان الأظهر ظهوره، والله أعلم.

المسألة الثانية: انتقاض وضوء النائم المحتجب:

إذا نام المتوضئ حال كونه محتجباً فهل ينتقض وضوؤه؟ والاحتباء: أن يقعد الإنسان على أليتيه وينصب ساقيه، ويحتجب عليها بثوب أو نحوه أو بيده⁽²⁸⁾.

يرى الإمام أبو الفياض البصري التفصيل فيمن جلس على أليتيه رافعاً لركبتيه محتجباً عليهما فقال: إن كان النائم على هذه الحال نخيف البدن معروق الألية انتقض وضوؤه؛ لأن السبيل لا يكون محفوظاً، وإن كان لحيم البدن تنطبق أليته على الأرض في هذا الحال لم ينتقض وضوؤه؛ لأن السبيل يصير محفوظاً، فلو نام متربعا فغلبه النوم حتى مال عن جلوسه؛ فإن ارتفعت أليته عن الأرض في ميله انتقض وضوؤه، وإن لم ترتفع فهو على وضوئه كما لو لم يمل⁽²⁹⁾.

والمسألة مبنية على نقض الوضوء بالنوم، والقول به محل اتفاق بين المذاهب في الجملة، سواء قيل بأن عين النوم ناقض أو لمظنة الحدث منه⁽³⁰⁾.

والأدلة على ذلك متعددة، منها: حديث علي بن أبي طالب مرفوعاً: «وَكَاءُ السَّهِّ الْعَيْنَانِ، فَمَنْ نَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ»⁽³¹⁾، وحديث عن صفوان بن عسال، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا، أَنْ لَا نَنَزَعَ خِفَافَنَا، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ، وَبَوْلٍ، وَنَوْمٍ»⁽³²⁾، وغيرها من أحاديث الباب.

واختلف الفقهاء في صور هيئات النوم وتفصيلاتها التي تنقض الوضوء، والتي لا تنقضه. فذكر الحنفية⁽³³⁾: أن النوم لا ينقض الوضوء ما دام قائماً، أو راکعاً، أو ساجداً، أو قاعداً، وينقضه مضطجعاً، أو متكئاً، أو على إحدى أليتيه، وقرروا أن القاعد والمحتجب لا ينتقض وضوؤه، ويعللون بأن مقعده مستقر على الأرض فيأمن خروج شيء منه⁽³⁴⁾.

وذهب المالكية: إلى أن النوم ينقض الوضوء إذا كان ثقیلاً، قصيراً، أو طويلاً، سواء كان النائم مضطجعاً، أو جالساً، أو ساجداً، ولا ينتقض بالنوم الخفيف طويلاً كان أو قصيراً، إلا أنه يندب الوضوء من الخفيف إن طال، والثقل ما لا يشعر صاحبه بالأصوات، أو بانحلال جبوته إن كان جالساً محتجباً، أو بسقوط شيء من يده، وقرروا أن المحتجب لا وضوء عليه؛ لأنه لا يثبت له نزول ولو استثقل⁽³⁵⁾.

وقسم الحنابلة النوم على ثلاثة أقسام، الأول: نوم المضطجع فينقض الوضوء يسيره وكثيره، والثاني: نوم القاعد، إن كان كثيراً نقض وإن كان يسيراً لم ينقض، والثالث: نوم القائم والراكع والساجد، والظاهر عن أحمد التسوية بين القيام والجلوس؛ لأنهما يشبهان في الانخفاض واجتماع المخرج، قال ابن قدامة: "والظاهر عنه في الساجد التسوية بينه وبين المضطجع؛ لأنه ينفرج محل الحدث، ويعتمد بأعضائه على الأرض، ويتهيأ لخروج الخارج فأشبه المضطجع، والأولى في المحتجب أنه متى كان معتمداً بمحل الحدث على الأرض أن لا ينقض منه إلا الكثير؛ لأن دليل انتفاء النقض في القاعد لا تفريق فيهن، فيسوي بين أحواله"⁽³⁶⁾.

وذكر الشافعية أن النوم ناقض للوضوء على أي هيئة كانت، سواء مضطجعا أو مكبا أو متكئا أو قائما أو راکئا في الصلاة أو خارجها، إلا في حال أن يكون جالسا ممكنا مقعده من مقره ولو راکبا على دابة ونحوها⁽³⁷⁾.

وتطرق الشافعية لنوم المحتبي وحكم وضوئه، فقال النووي: "ولو نام محتبيا، وهو أن يجلس على أليه رافعا ركبتيه محتويا عليهما يديه أو غيرهما ففيه ثلاثة أوجه، حكاها الماوردي والرويانى، أحدها: لا ينتقض كالمترجع، والثاني ينتقض كالمضطجع، والثالث إن كان نحيف البدن بحيث لا تنطبق أليه على الأرض انتقض وإلا فلا، قاله أبو الفياض البصري والمختار الأول"⁽³⁸⁾.

ويتلخص مما تقدم أن المذاهب الأربعة تكاد تتفق على أن النائم المحتبي لا ينتقض وضوؤه ما دام مقعده مستقرا ومتمكنا من مقره، إلا أن الحنابلة يشترطون عدم طول النوم مع القعود.

واستندت هذه الأقوال على ضرورة الجمع بين الأحاديث السابقة الدالة على نقض الوضوء بالنوم، وأحاديث أخرى وردت يدل ظاهرها على عدمه، كحديث أنس، قال: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤون»⁽³⁹⁾، وحديث ابن عباس قال: «اعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء حتى رقد الناس واستيقظوا وركدوا واستيقظوا»⁽⁴⁰⁾.

وحمل أكثر العلماء هذه الأحاديث على أن الصحابة كانوا جالسين ينتظرون الصلاة فناموا ممكنين مقاعدهم من الأرض، ودليل ذلك أن الرواة لم يذكروا أنهم توضأوا من النوم، وليس نومهم نوم المستغرق⁽⁴¹⁾. وذكر النووي رحمه الله: أن هذه الأحاديث محمولة على نوم غير الممكن وهذا يتعين، المصير إليه؛ للجمع بين الأحاديث الصحيحة⁽⁴²⁾.

وما ذكره الإمام أبو الفياض - رحمه الله - من التفصيل بين النحيف معروق البدن، وبين اللحيم المستقر مخرجه اختلف الشافعية في اعتماده وتوجيهه؛ للتردد في أن محل الحدث هل ينضغط مع الهزال.

فرجح بعضهم أن لا فرق بين بين النحيف وغيره في عدم النقض، وهو ما صححه النووي في الروضة، وقال ابن الرفعة: إنه المذهب⁽⁴³⁾، ونقل الرافعي في الشرح الصغير عن الرويانى، أن النحيف ينتقض وضوؤه، وقال الأذرمي: إنه الحق، نقله الخطيب في المغني ثم قال: "وجمع شيخى بينهما بأن عبارة الروضة محمولة على نحيف لم يكن بين مقره ومقعده تحاف، والشرح على خلافه، وهو جمع حسن"⁽⁴⁴⁾.

وذهب بعضهم إلى أن الخلاف لفظي، فالقائلون بنقض نوم النحيف يعنون الذي بين بعض مقعده ومقره تحاف، ومقابلوهم يعنون الهزيل الذي ليس بين بعض مقعده ومقره تحاف، كما أشار إلى ذلك الحلي - رحمه الله - لعدم التنافي بين القولين⁽⁴⁵⁾، قال الرملي في النهاية: "ولعل مراد الأول بالتحافي ما لا يمنع خروج شيء لو خرج بلا إحساس عادة"⁽⁴⁶⁾. قال الجمل: "وحينئذ فالخلف لفظي"⁽⁴⁷⁾.

ويقرر متأخرو الشافعية ما ذكره الإمام أبو الفياض من التفصيل، واعتمدوه في كتبهم؛ إذ العبرة بحفظ السبيل؛ فمتى ما وجد التحافي لم يصير السبيل محفوظا⁽⁴⁸⁾، وجعله الإمام الرؤيانى قولا للأصحاب جملة⁽⁴⁹⁾.

المسألة الثالثة: مس الذكر بما بين الأصابع:

يرى الإمام أبو الفياض البصري - رحمه الله - أن مس الذكر ناقض للوضوء إذا وقع بباطن الكف لا بظاهره، فإن مس بما بين أصبعيه مستقبلاً لعائته بباطن الكف انتقض وضوؤه، وإن كان مستقبلاً بظاهر كفه لا ينتقض الوضوء؛ مراعاة للأغلب⁽⁵⁰⁾.

والوضوء من مس الذكر هو مذهب جماهير العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة⁽⁵¹⁾، ومن أشهر أدلتهم حديث بسرة بنت صفوان رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مس ذكره فليتوضأ»⁽⁵²⁾، وحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من أفضى بيده إلى ذكره، ليس دونه ستر، فقد وجب عليه الوضوء»⁽⁵³⁾.

وقد وردت أحاديث عدة بهذا المعنى عن تسعة عشر صحابياً⁽⁵⁴⁾، وبه يقول عامة الصحابة رضي الله عنهم. قال الترمذي: "وهو قول غير واحد من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - والتابعين"⁽⁵⁵⁾.

وذهب الحنفية إلى عدم النقض بمس الذكر استناداً على حديث طلق بن علي رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيتوضأ أحدنا إذا مس ذكره؟ قال: «إنما هو بضعة منك»⁽⁵⁶⁾.

وقد اختلف العلماء في توجيه الحديثين، حديث طلق وحديث بسرة، بعد اختلافهم في درجة كل منهما، فذهب بعضهم إلى الترجيح، وبعضهم إلى الجمع، ونوجز ذلك في الآتي:

فمن ذهب لترجيح حديث بسرة، رجحوه بوجه منها:

1- أن حديث بسرة أصح من حديث طلق بن علي رضي الله عنهما، فإنه سليم الإسناد، وقد نقل الترمذي عن البخاري: "إنه أصح شيء في هذا الباب"⁽⁵⁷⁾، وقال البيهقي: "يكفي في ترجيح حديث بسرة على حديث طلق أن حديث طلق لم يخرج الشيخان ولم يحتج بأحد من رواه، وحديث بسرة قد احتج بجميع رواه، إلا أنهما لم يخرجاه ..."⁽⁵⁸⁾.

2- أن حديث طلق بن علي منسوخ، فإنه قدم المدينة وهم يبنون المسجد في أول الإسلام فسأل عن مس الذكر، وأبو هريرة - وهو أحد رواة حديث النقض - أسلم عام خير بعد ذلك بست سنين، فيكون ناسخاً لحديث طلق⁽⁵⁹⁾.

3- أن حديث طلق مبيح على البراءة، وحديث بسرة ناقل عن البراءة الأصلية، والناقل مقدم؛ لأن أحكام الشارع ناقل عما كانوا عليه⁽⁶⁰⁾.

4- أن حديث بسرة له شواهد كثيرة تعضده، رواها تسعة عشر صحابياً، وحديث طلق لا شاهد له، وهو قول أكثر الصحابة رضي الله عنهم⁽⁶¹⁾.

5- أن رواية بسرة مثبتة للنقض ورواية طلق نافية، والمثبت مقدم على النافي⁽⁶²⁾.

6- أن حديث طلق محمول على أنه حكٌّ فخذه فأصاب ذكره بيده بظاهر الكف كما تدل عليه رواية أنه كان في الصلاة⁽⁶³⁾.

ومن ذهب إلى ترجيح حديث طلق رجحه لوجوه منها:

1- أن حديث طلق أصح إسنادًا من حديث بسرة المختلف فيه، وقد جاءت رواية طلق من طرق عدة أصحها رواية ملازم عن عبد الله بن بدر، عن قيس بن طلق، عن أبيه طلق بن علي، قال الترمذي: وهو أحسن شيء روي في هذا الباب⁽⁶⁴⁾. وقال الطحاوي: حديث ملازم، صحيح مستقيم الإسناد، غير مضطرب في إسناده ولا في متنه، ثم روى بسنده عن علي بن المديني قوله: حديث ملازم هذا، أحسن من حديث بسرة⁽⁶⁵⁾، وقال الفلاس: هو عندنا أثبت من حديث بسرة⁽⁶⁶⁾.

2- ويرجح حديث طلق على حديث بسرة رضي الله عنها بأن رواية الرجال أقوى من رواية النساء؛ لأنهم أحفظ للعلم وأضبط؛ ولهذا جعلت شهادة امرأتين بشهادة رجل⁽⁶⁷⁾.

3- وبسرة رضي الله عنها غير مشهورة، إذ قلة روايتها تدل على قلة صحبتها، واختلاف الرواة في نسبها يدل على جهالتها؛ لأنه قيل: إنها كنانية، وقيل: أسدية، ولو سلم عدم جهالتها فليست توازي طلقًا في شهرته وكثرة روايته وطول صحبتته⁽⁶⁸⁾.

4- ومن جهة النظر فالعلماء لا يختلفون أن من مس ذكره بظاهر كفه أو بذراعيه لم يجب في ذلك وضوء، فالنظر أن يكون مسه إياه بباطن كفه كذلك، وإذا كان مسه بفخذه وهي عورة لم يجب عليه بذلك وضوء، فمماسه إياه بغير العورة أخرى أن لا توجب عليه وضوءًا⁽⁶⁹⁾.

ومن أهل العلم من سلك مسلك الجمع بين الحديثين، وهؤلاء اختلفوا على قولين:

الأول: أن مس الذكر يستحب منه الوضوء مطلقًا عملاً بحديث بسرة، ولا يجب عملاً بحديث طلق بن علي، وقد بوب ابن خزيمة في صحيحه بقوله: "باب استحباب الوضوء من مس الذكر"، ثم ذكر حديث بسرة، ثم روى بسنده عن مالك أنه قال: "أرى الوضوء من مس الذكر استحبابًا ولا أوجبه"، وروى بسنده أيضًا عن الإمام أحمد أنه سئل عن الوضوء من مس الذكر، فقال: "أستحب ولا أوجبه"⁽⁷⁰⁾، واختار هذا القول ابن المنذر، وشيخ الإسلام ابن تيمية⁽⁷¹⁾.

الثاني: أنه إن كان المس بشهوة وجب الوضوء لحديث بسرة، وإن كان لغير شهوة لم يجب لحديث طلق، ويؤيد ذلك أنه قال في حديث طلق: «هل هو إلا بضعة منك؟»، فإن هذا يقتضي أن الحكم في مس الذكر كالحكم في مس سائر الأعضاء الذي لا يقارن مسه شهوة، فإن مسه مسًا يخرج به عن مس نظائره من بقية الجسد، وهو ما كان بشهوة وجب عليه الوضوء، قال ابن عبد البر: "وهذا الذي استقر من مذهب مالك عند أهل المغرب من أصحابه"⁽⁷²⁾.

وللمذاهب مناقشات وردود يطول عرضها⁽⁷³⁾، ولكن المقصود هنا هو التفريع على مذهب الجمهور القائلين بالنقض من مس الفرج عمومًا، وإيضاح رأي الإمام أبي الفياض البصري رحمه الله، ومذاهب الفقهاء فيه.

فالمذهب عند الحنابلة أن نقض الوضوء يكون بكل الكف بطنه وظهره سواء، ولا ينقض بغير الكف من الأعضاء، وذلك بناء على أن "الإفضاء" الوارد في الحديث لا يقتصر على باطن الكف بل يشمل ظاهره أيضاً⁽⁷⁴⁾.

وعندهم رواية أن النقض يختص ببطن الكف لأنه آلة اللمس، وفي حرف كفه وجهان، قال في الإنصاف: "الأولى النقض، وهو ظاهر النص"⁽⁷⁵⁾.

ويشترط المالكية في النقض بلمس الفرج أن يكون المس بباطن الكف أو جنبه أو بباطن الأصابع أو جنبها أو برأس الإصبع ولو زائداً دون غيرها من أجزاء الجسم⁽⁷⁶⁾.

ويعتمد الشافعية القول بأن الناقض هو لمس الفرج ببطن الكف، وضابط ذلك هو ما يستتر عند وضع إحدى اليدين على الأخرى من بطن الراحتين وبطن الأصابع والمنحرف إليهما مع تحامل يسير؛ لأن التلذذ إنما يكون به، وعليه فلا نقض بالمس برؤوس الأصابع أو بما بينها أو بحرفها أو بحرف الكف⁽⁷⁷⁾.

وهناك وجه للشافعية ببطان الوضوء بمس الفرج برؤوس الأصابع، بناء أن الكف ما بين الأظفار والزند، وهذا الوجه يستند إلى أن باطن الكف ما بين الأظفار والزند طويلاً، فباطن الكف ما قابل ظاهره، وصححه الرُّوياني، وقال: إنه المذهب⁽⁷⁸⁾، وهذا موافق لمشهور مذهب المالكية.

قال النووي: ثم الوجهان في موضع الاستواء من رؤوس الأصابع، أما المنحرف الذي يلي الكف فإنه من الكف فينقض وجهاً واحداً، قاله الرافعي⁽⁷⁹⁾.

وفصل الإمام أبو الفياض البصري بأنه: إن مس بما بين أصبعيه مستقبلاً لعانته بباطن الكف انتقض وضوؤه، وإن كان مستقبلاً بظاهر كفه لا ينتقض الوضوء؛ مراعاة للأغلب في مقارنة الباطن، وكأنه أراد أن مقارنة باطن الكف للذكر تختلف باختلاف وضع الكف، فإن لمس ما بين الأصبعين والكف مستقبلة للعانة؛ فإن الأغلب أن يكون المس بباطن الكف التي تلي راحة اليد، وإن كان مستقبلاً بظاهر الكف؛ فالأغلب أن الذي يمس هي حواف الكف من جهة الظاهر لا الباطن، وسبق ما ذكره النووي أن المنحرف الذي يلي الكف فإنه من الكف فينقض وجهاً واحداً، وعكسه لا ينقض، فهذا التفصيل متصور وقريب وليس بعيداً فيما يبدو، ولكن رده الماوردي والرُّوياني وقالوا: "وهذا لا وجه له؛ لاستواء المعنى في الحالين"⁽⁸⁰⁾.

المسألة الرابعة: هل يوجب الإيلاج بحائل الغسل؟

يرى الإمام أبو الفياض البصري - رحمه الله - في مسألة لف الرجل على ذكره خرقة وإيلاجه في فرج حتى تغبت الحشفة التفصيل؛ فإن كانت الخرقة غليظة تمنع الحرارة واللذة لم يجب عليه الغسل، وإن كانت رقيقة وجب الغسل⁽⁸¹⁾.

ولا يختلف الفقهاء في أصل المسألة، وهي أن إيلاج الرجل البالغ حشفة ذكره في فرج مطبق للجماع، قبلاً أو دبراً، من ذكر أو أنثى، طائع أو مكروه، نائم أو يقظان أن ذلك موجب للغسل لكليهما وإن لم ينزل⁽⁸²⁾، وقد كان الخلاف موجوداً فيه في الصدر الأول، ولم يبق فيه خلاف بعد، قال النووي: "متى غابت

الحشفة في الفرج وجب الغسل على الرجل والمرأة، وهذا لا خلاف فيه اليوم، وقد كان فيه خلاف لبعض الصحابة ومن بعدهم، ثم انعقد الإجماع على ما ذكرناه⁽⁸³⁾.

ومن أدلة ما أجمعوا عليه حديث أبي موسى الأشعري قال: اختلف في ذلك رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصارىون لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك، فقامت فاستأذنت على عائشة فأذن لي، فقلت لها: يا أمه، أو يا أم المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني أستحييك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أملك التي ولدتك، فإنما أنا أملك، قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل» وفي لفظ «وإن لم ينزل»⁽⁸⁴⁾.

واختلف الفقهاء في حكم إيلاج الذكر الملفوف بخرقه ونحوه في الفرج من غير إنزال هل يجب الاغتسال من ذلك؟

فذهب الشافعية على الصحيح عندهم إلى وجوب الغسل بإيلاج حشفة الذكر مطلقاً ملفوفاً بحائل أم لا، وهو قول عند المالكية، ووجهه عند الحنابلة نسبة الزركشي للأكثرين، ووجهه أن الأحكام متعلقة بالإيلاج وقد حصل؛ ولأنه يسمى موجاً⁽⁸⁵⁾.

وصحح الحنابلة عدم وجوب الغسل بإيلاج الحشفة بحائل من خرقه وكيس ونحوه؛ لأن الإيلاج إنما هو وقع على الخرقه، ولم يمس الذكر الفرج ولا البشرة، كما أنه مع الحائل لا يصدق عليه أنه مَسَّ الختان الختان، فلا يجب الغسل⁽⁸⁶⁾.

ويقرر الحنفية والمالكية على المرجح عندهم أن الإيلاج في فرج بذكر ملفوف بحائل إن كان رقيقاً بحيث يجد حرارة الفرج واللذة وجب الغسل؛ لأن اللذة حاصلة وإنما يمنع كمالها، وقد يصل بلل الفرج إلى الذكر، وإن كانت كثيفة تمنع اللذة والبلل فلا غسل⁽⁸⁷⁾.

وعلى ما تقدم فإن ما ذهب إليه الإمام أبو الفياض - رحمه الله - من التفصيل بين الحائل الرقيق والغليظ في وجوب الغسل من الأول وعدمه من الثاني بشرط عدم الإنزال موافق لما عليه الحنفية والمالكية، وذهب لهذا القول من متقدمي الشافعية القاضي حسين رحمه الله⁽⁸⁸⁾.

ومما تقدم يُعلم حكم استعمال العازل الذكري الطبي الرقيق عند الجماع - والذي يقصد به منع الحمل بقذف الرجل داخل كيس العازل - فهو موجب للغسل وإن لم ينزل لما لإيلاجه من اللذة والمتعة وحرارة الفرج باتفاق الفقهاء، باستثناء الخلاف عن الحنابلة في ذلك، كما يترتب بإيلاجه بقية الأحكام من إفساد الصوم والحج وغيرها.

المبحث الثاني

الآراء الفقهية المتعلقة بالنجاسات والتيمم والاستمتاع بالحائض

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: حكم ما في جوف الطائر الميت من البيض.

لو ماتت الدجاجة ونحوها من الطيور المأكولة، وفي جوفها بيض، فهل باطن هذا البيض طاهر أم نجس؟ يرى الإمام أبو الفياض البصري التفصيل في هذا المسألة: فإن كان البيض قويًا فهو طاهر مأكول، وإن كان ضعيفًا رخوًا، فهو نجس⁽⁸⁹⁾.

وقد اتفق العلماء على أن البيض الخارج من الطائر مأكول اللحم حال حياته أو بعد تذكّيته ذكاة شرعية طاهر مأكول⁽⁹⁰⁾، واختلفوا في البيض الكائن في جوف الطائر الميت على ثلاثة أقوال: القول الأول: أنه طاهر مطلقًا سواء كان قويًا متصلبًا أم رخوًا، رطبًا أم يابسًا. وهو مذهب الحنفية، ووجهه للشافعية، وبه قال ابن عقيل من الحنابلة⁽⁹¹⁾.

ومما احتجوا به في ذلك ما يأتي:

- تميّز البيض عن الطائر، فصار بالولد أشبه⁽⁹²⁾.
 - أنه شيء طاهر في نفسه، مودع في الطير منفصل عنه، ليس من أجزائه، فتحريم الطائر لا يكون تحريمًا للبيض⁽⁹³⁾.
 - لأنه لا حياة في البيض، فلا يحلها الموت، فلا يتنجس، والأصل أن كل ما لا تُحلُّ الحياة من أجزاء الهوية مُحْكَمٌ بطهارته بعد موت ما هي جزؤه⁽⁹⁴⁾.
 - لأن البيضة عليها غاشية رقيقة كالجلد، وهو القشر قبل أن يقوى، فلا ينجس منها إلا ما كان لاقى النجاسة، إلا أنها تطهر إذا غسلها؛ لأن لها من القوة ما يمنع تداخل أجزاء النجاسة فيها⁽⁹⁵⁾.
- القول الثاني: أنه نجس مطلقًا.

وبه قال مالك والليث، وهو وجه عند الشافعية، قال النووي: وحكاها المتولي عن نص الشافعي، وهو نقل غريب شاذ ضعيف. وحكي عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر⁽⁹⁶⁾.

وحجّتهم في ذلك ما يأتي:

- أن البيض يتشرب رطوبة الميتة ويستقي منها، فيصير مثلها⁽⁹⁷⁾.
- أن البيض قبل الانفصال جزء من الطائر، فيكون البيض جزءًا من الميتة⁽⁹⁸⁾.
- ورد قولهم: بأنها ليس جزءًا منها، وإنما هي مودعة فيها، غير متصلة بها، فأشبهت الولد إذا خرج حيا من الميتة؛ ولأنها خارجة من حيوان يخلق منها مثل أصلها، أشبهت الولد الحي⁽⁹⁹⁾.
- القول الثالث: إن تصلب البيض فهو طاهر وإلا فنجس. وهو قول أبي الفياض، وأبي الحسن بن القطان، وجمهور الشافعية، وهو الأصح عند الشافعية والحنابلة⁽¹⁰⁰⁾، واختاره بعض المالكية⁽¹⁰¹⁾.

وحجتهم في ذلك ما يأتي:

- أن البيض إذا لم يشتد قشرها فهي من أجزاء الميتة، فتحرم بتحريم الميتة، وإذا اشتد قشرها فقد صار شيئاً آخر، وهو منفصل عن الدجاجة فيحل⁽¹⁰²⁾.
- أنه لا يصل إليها شيء من النجاسات أشبه ما لو غُمِسَتْ في ماء نجس⁽¹⁰³⁾.
- ولأنها بيضة صلبة القشر، طرأت النجاسة عليها، فأشبه ما لو وقعت في ماء نجس⁽¹⁰⁴⁾.
- ولأن البيضة مودعة في الحيوان لا تحلها الحياة والموت، ولو تفرخت هذه البيضة كان الفرخ طاهراً بلا خلاف⁽¹⁰⁵⁾.
- أن البيض السيالة تخالطها الرطوبات فتنجس، وأما القوية فإنها ليست متصلة اتصال خَلَقَةٍ بل هي مُودَعَةٌ⁽¹⁰⁶⁾.

ولعل القول الثالث القائل بالتفصيل أقرب، هو القول بين ما إذا تصلبت البيضة الخارجة وقويت قشرتها فتكون طاهرة، وبين ما إذا كانت رطبة رخوة فتكون نجسة، وذلك لقوة حجة هذا القول، ولأن البيضة إذا خرجت رطبة فإنها نجسة بنجاسة وعائها لأن ضعفها ربما جعل النجاسة تسرع إليها، فتكون كاللبن، وأما الخارجة بعد تصلب قشرها فإنه يصير كالحاجب عن النجاسة عن باطنها فتكون طاهرة، والله أعلم.

المسألة الثانية: هل الحيات والوزغ ذات نفس سائلة أم لا؟

المراد بالنفس: الدم، ومنه قولهم لا نفس له سائلة أي لا دم له يجري، وسمي الدم نَفْسًا لأن النفس التي هي اسم لجملة الحيوان قوامها بالدم⁽¹⁰⁷⁾.

فالحيوان الذي له نفس سائلة: هو الذي إذا ذبح سال دمه عن موضعه، كالدجاج، والحمام، وما أشبههما؛ لأن النفس هي الدم.

والحيوان الذي لا نفس له سائلة: هو الذي إذا ذبح لم يسال دمه عن موضعه، كالذباب والزنبور⁽¹⁰⁸⁾.

وبالنسبة للحيات والوزغ يرى الإمام أبو الفياض البصري أنها ليست ذات نفس سائلة⁽¹⁰⁹⁾.

وقد اختلف الفقهاء في عددهما مما له نفس سائلة أم مما ليس لهما نفس سائلة، فعند الشافعية فيها وجهان: الأول: قاله أبو القاسم الدراكي، وأبو حامد الإسفرايني: أنها ذات نفس سائلة، والثاني: قاله أبو الفياض وأبو القاسم الصميري: أنها ليست ذات نفس سائلة، وهو مذهب المالكية⁽¹¹⁰⁾ ووجه عند الحنابلة⁽¹¹¹⁾، وصحح النووي كون الحية لها نفس سائلة، ونقل قطع الجمهور بأن الوزغ ليس له نفس سائلة⁽¹¹²⁾.

فإذا مات ما لا نفس لها سائلة في دون القلتين من الماء فهل ينجس؟ فيه قولان مَشْهُورَانِ نص عليهما الشافعي، ونقل إمام الحرمين قولاً ثالثاً مخرجاً.

فالقول الأول: أنه على طهارته لا ينجس، وبه قال الشافعي في القديم؛ وهو قول جمهور الفقهاء واختيار المزني، وهو قول أبي حنيفة، ومالك وأحمد، وهو الأصح عند الشافعية⁽¹¹³⁾.

ومما استدلووا به:

— حديث أبي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وقع الذُّبَابُ في إناء أحدكم، فامقلوه»⁽¹¹⁴⁾، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء، وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله»⁽¹¹⁵⁾

وجه الدلالة: أن المقل يفضي إلى الموت سيما إذا كان الطعام حارًا، فلو نجس الماء لما أمر به⁽¹¹⁶⁾.

— وحديث سلمان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا سلمان كل طعام وشراب وقعت فيه ذبابة ليس لها دم فماتت فيه فهو حلال أكله وشربه ووضوؤه "⁽¹¹⁷⁾. وهذا إن ثبت نص لا يحتمل خلافه.

— ولأنه لا يمكن الاحتراز منه، فلو لم يعف عنه، لم يؤكل الباقلاء المطبوخ، والجبن؛ لأنه لا ينفك من وقوع الذباب فيه⁽¹¹⁸⁾.

والقول الثاني: أنه ينجس بذلك، وبه قال محمد بن المنكدر ويحيى بن أبي كثير، وهو قول الشافعي في الجديد⁽¹¹⁹⁾.

ومما احتجوا به:

— أنه حيوان لا يؤكل بعد موته لا لحرمة، فأشبهه ما له نفس سائلة⁽¹²⁰⁾.

— ولأنها نجاسة حلت ماء قليلًا قياسًا على سائر الأنجاس.

— ولأن الاحتراز منه ممكن بتخمير الإناء، ولذلك جاء الخبر عن أبي هريرة قال: "أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتغطية الوضوء وإيكاء السقاء وإكفاء الإناء"⁽¹²¹⁾، فكان أمره بذلك حفظًا للماء من وقوع ما ينجس به، وغالب ما يقع فيها هو الذباب والحشرات فدل على أنه موجب لتنجيس ما مات فيه⁽¹²²⁾.

القول الثالث: نقله إمام الحرمين عن صاحب التقريب قولًا مخرجًا: أنه يفرق بين ما يكثر ويعم، وبين ما لا يكثر، فالذي يعم: كالذباب، والبعوض، وما في معناهما، والذي لا يعم: كالخنافس، والعقارب، والجعلان.

ووجه هذا القول بأن المعتمد في توجيه قول الحكم بالطهارة تعذر الاحتراز، وهذا إنما يتحقق فيما يكثر، فافتضى ذلك تفصيلًا، ولا فقه في النظر إلى عدم الدم⁽¹²³⁾.

قال النووي: وهذا القول غريب والمشهور إطلاق قولين، والصواب الطهارة وهو قول جمهور العلماء بل نسب جماعة الشافعي إلى خرق الإجماع في قوله الآخر بالنجاسة⁽¹²⁴⁾.

لكن قد ثبت القول بالنجاسة عن جماعة من التابعين كابن سيرين ويحيى بن أبي كثير ومحمد بن المنكدر كما سبق ذكره.

المسألة الثالثة: من صلى بتيمم بعد طلب الماء ثم بان وجود ماء لا يعلم به:

مَنْ تيمم بعد طلب الماء وصلى ثم وجد الماء في رحله أو أن لا يكون قد علم به؛ بأن كان في منزله بئر ماء خفيت عليه، فلم يعلم بها حتى تيمم وصلى، فهو لم يعلم البئر أصلاً ثم علمها بعد صلاته بالتيمم. يرى الإمام أبو الفياض البصري: أنه يعتبر حال البئر، فإن كانت ظاهرة الأعلام، بينة الآثار، فعليه الإعادة، وإن كانت خفية غير ظاهرة، فلا إعادة عليه⁽¹²⁵⁾.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا تجب عليه إعادة الصلاة، وهو قول مذهب الحنفية والمالكية، وقول للشافعية والحنابلة، وقال به أبو العباس بن سريج⁽¹²⁶⁾.

واحتج القائلون بعدم الإعادة بالآتي:

— قول الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ [النساء: ٤٣] وهذا تيمم وهو غير واجد، فدخل تحت الأمر، سواء نسي الماء في رحله أو لم يكن في رحله؛ لأنه قد طلب مثله فلم يجد، ولم يكلف إصابة الماء، وإنما كلف الطلب⁽¹²⁷⁾.

— أن العجز عن استعمال الماء قد تحقق بسبب الجهالة، والنسيان، فيجوز التيمم كما لو حصل العجز بسبب البعد أو المرض أو عدم الدلو، والرشا⁽¹²⁸⁾.

— أنه غير قادر؛ إذ لا قدرة بدون العلم⁽¹²⁹⁾.

— ولأنه لا يعد مفراطاً في مثل هذا الحال.

القول الثاني: تجب عليه إعادة الصلاة سواء بين ظهور الماء في رحله، وبين ظهوره في غير رحله، وهو رواية لمالك، وقول للشافعي والحنابلة وأبي يوسف، وحكي عن أبي علي ابن خيران⁽¹³⁰⁾.

استدل القائلون بالإعادة بالآتي:

— قوله الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا ﴾ [النساء: ٤٣] والنسيان والجهل لا يخرجانه من الوجود، وإنما يخرجانه من العلم بالوجود.

— ولأن ما لم يكن طهوراً في حال الذكر لم يكن طهوراً في حال النسيان، كالماء النجس.

— ولأن شروط الطهارة بالذكر لا يسقط فعلها بالنسيان، كناسي الثوب ليستر عورته.

— ولأن كل أصل لزم المسير إليه في حال الذكر لم يسقط بالنسيان حكم ذلك الأصل، كالمكفر ناسياً لما له⁽¹³¹⁾.

— ولأن ظاهر هذا التفريط فوجبت الإعادة.

القول الثالث: أنه ينظر إلى حال البئر، فإن كانت ظاهرة الأعلام، بينة الآثار، فعليه الإعادة، وإن كانت خفية غير ظاهرة، فلا إعادة عليه، وبه قال أبو حامد وأبو الفياض البصري وجمهور البغداديين والبصريين من الشافعية، وصححه النووي، وهو قول للحنابلة اختاره ابن قدامة⁽¹³²⁾.

واحتجوا بالآتي:

— بأنه يعمل على الطلب في غير رحله على الظاهر دون الباطن، بخلاف رحله، فإذا كانت ظاهرة كان ذلك منه تقصيراً في الطلب، فتلزمه الإعادة، وإذا كانت باطنة لم يكن مقصراً في الطلب فسقطت عنه الإعادة⁽¹³³⁾.

ولعل الأقرب من الأقوال هو القول الثالث وهو اعتبار حال وجود الماء، فإن كان ظاهراً يجب عليه الإعادة؛ وإن كان غير ظاهر فلا إعادة عليه، سواء كان الماء في رحله أو وجود البئر قريبة منه وغير مخفية، ولهذا حمل البعض قول الشافعي على اختلاف الحالين: فالموضع الذي قال: لا إعادة عليه؛ إذا كانت البئر خفية، مثل أن كانت في بسيط من الأرض لا علامة عليها، والموضع الذي قال: عليه الإعادة؛ إذا كانت علامتها ظاهرة، فيكون قد فرط في طلبها.

المسألة الرابعة: حكم الاستمتاع من الحائض بما بين السُّرَّة والرُّكبة:

اتفق الفقهاء على حرمة مجامعة الزوج لزوجته في فرجها حال الحيض، وعلى جواز الاستمتاع فيما فوق السرة ودون الركبة، واختلفوا في الاستمتاع بما بين السُّرَّة والرُّكبة، وهو المراد بما تحت الإِزَارَ، فيرى الإمام أبو الفياض البصري رحمه الله: أن الرجل إن كان يضبط نفسه عن إصابة الفرج؛ إما لضعف شهوته، أو شِدَّةِ وَرَعٍ جَازٍ وَإِلَّا فَلَا يَجُوزُ لَهُ⁽¹³⁴⁾.

وأما الفقهاء عامة فلمهم في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: تحريم الاستمتاع بما بين السرة والركبة، وهو قول أبي حنيفة ومالك والشافعي⁽¹³⁵⁾. استدلو بالآتي:

— قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222].

وجه الدلالة: أن الآية تقتضي اعتزال الحائض حال الحيض ومن ثم تحريم الفرج، وذلك أن من يرعى حول الحمى يوشك أن يخاطب الحمى⁽¹³⁶⁾.

— حديث ميمونة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض»⁽¹³⁷⁾.

— وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: «لك ما فوق الإزار»⁽¹³⁸⁾.

وجه الدلالة: جواز الاستمتاع من الحائض بما فوق الإزار، وهذا يدل على بقاء ما عداه على التحريم.

— ولأن الاستمتاع بما تحت الإزار يدعو إلى الاستمتاع بالفرج، فالإزار بمثابة حريم للفرج، قال - صلى الله عليه وسلم -: "من رتع حول الحمى يوشك أن يوقعه"، فوجب أن يمنع منه⁽¹³⁹⁾.

القول الثاني: إباحة الاستمتاع بما بين الركبة والسرة، وبه قال الإمام أحمد، ومحمد بن الحسن، وحكي عن الشافعي في القديم⁽¹⁴⁰⁾.

واستدلوا بالآتي:

— قوله تعالى: «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» [البقرة: 222].

وجه الدلالة: أن المحيض: اسم لمكان الحيض، كالمقيل والمبيت، فتخصيصه موضع الدم بالاعتزال دليل على إباحته فيما عداه، ولأنه وطئ حرم للأذى فاخص به كالوطء في الدبر⁽¹⁴¹⁾.

— عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله عن ذلك فأنزل الله تعالى «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جامعوهم في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح»⁽¹⁴²⁾.

— عن عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناوليني الخمرة من المسجد»، قالت فقلت: إني حائض، فقال: «إن حيضتك ليست في يدك»⁽¹⁴³⁾.

وجه الدلالة: أن كل عضو منها ليست فيه الحيضة، فهو في الطهارة بمعنى أنه يبقى على ما كان ذلك العضو عليه قبل الحيضة، ودل على أن الحيض لا حكم له في غير موضعه الذي أمر بالاجتناب له من أجله⁽¹⁴⁴⁾.

— ولأن الجماع في الفرج، إنما يحرم بسبب الأذى، فلا يحرم الاستمتاع بما حواه كالموضع المكروه⁽¹⁴⁵⁾.
القول الثالث: أنه إن كان يضبط نفسه عن إصابة الفرج؛ إما لضعف شهوته أو شدة ورعٍ جازٍ وإلا فلا، وهو وجه عند الشافعية قال به أبو الفياض البصري، واستحسنه النووي وغيره⁽¹⁴⁶⁾.

ودليلهم حديث عائشة، قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها "أمرها أن تنزل في فور حيضتها، ثم يباشرها، قالت: وأيكم يملك إربه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يملك إربه"⁽¹⁴⁷⁾.

ويشهد لهذا القول مباشرة المرأة في حال الصيام؛ فإنه يفرق فيها بين من يخاف على نفسه ومن يأمن، وقد قالت عائشة - أيضًا - : كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه.

القول الرابع: لا يجوز مباشرة الحائض، وهو قول عبدة السلماني وغيره، من أنه لا يباشر شيئًا منها. وهذا القول شاذ منكر، ومستبعد صحته، مردود بالأحاديث الصحيحة المذكورة في الصحيحين وغيرهما، في مباشرة النبي - عليه السلام - فوق الإزار⁽¹⁴⁸⁾.

والظاهر أن الأقرب هو القول الثالث، وهو التفصيل؛ إن كان يضبط نفسه عن إصابة الفرج؛ إما لضعف شهوته أو شدة ورعٍ جازٍ وإلا فلا؛ لأن فيه جمعًا بين الأدلة، ولأن أدلة الإباحة أقوى دلالة، ومباشرة النبي صلى الله عليه وسلم فوق الإزار محمولة على الاستحباب والتورع، والتفرقة بين ضعف الشهوة وشدتها راعاها الشرع في أكثر من موضع.

الخاتمة:

يمكن تلخيص أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة في النقاط الآتية:

أولاً: النتائج:

- لا يعرف تاريخ مولده الإمام أبي الفياض البصري، كما لا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، وإنما ذكر على وجه التقريب في حدود سنة 385هـ.
- أنه درس ودرّس بالبصرة وعنه أخذ جماعة من فقهاء.
- يعد الإمام أبو الفياض البصري من كبار فقهاء الشافعية الذين اشتهرت أقوالهم وذاعت في مصنفات المذهب وغيرها.
- جمعت الدراسة ثمانية آراء للإمام أبي الفياض فيما يتعلق بالطهارة، وهي:
- 1- يرى التفصيل فيما يجب غسله من شعر الصّدغ، فما استعلى على الأذنين منه، فهو من الرأس، وما انحدر عنهما فمن الوجه.
- 2- أن النائم المحتبي إن كان نحيف البدن معروق الأليتين انتقض وضوؤه، وإن كان لحيم البدن، تنطبق أليته على الأرض لم ينتقض وضوؤه.
- 3- إن مس الرجل ذكره بما بين أصبعيه مستقبلاً لعانته بباطن الكف، انتقض وضوؤه، وإن كان مستقبلاً بظاهر كفه لا ينتقض؛ مراعاة للأغلب.
- 4- إذا لف الرجل على ذكره خرقة وأولجه في فرج حتى غابت الحشفة؛ فإن كانت الخرقة غليظة تمنع الحرارة واللذة لم يجب عليه الغسل، وإن كانت رقيقة وجب الغسل.
- 5- البيض الكائن في جوف الطائر الميت؛ إن كان قويًا فهو طاهر مأكول، وإن كان ضعيفًا رخوًا، فهو نجس.
- 6- أن الحيات والوزغ ليست ذات نفس سائلة.
- 7- مَنْ تيمم بعد طلب الماء وصلى ثم وجد الماء، فلم يعلم به حتى تيمم وصلى، أنه يعتبر حال البئر، فإن كانت ظاهرة الأعلام، بينة الآثار، فعليه الإعادة، وإن كانت خفية غير ظاهرة، فلا إعادة عليه.
- 8- أن الرجل - إذا كانت زوجته حائضًا - إن كان يضبط نفسه عن إصابة الفرج؛ إما لضعف شهوته أو شدّة وَرَعٍ جَاوَزَ له الاستمتاع بما بين السُرّة والرّكبة، وإلّا فلا يجوز له.
- أن من هذه الآراء ما هو موافق للأصح عند الشافعية، وأخرى صححها واستحسنها بعض متأخري الشافعية، وهناك آراء موافقة للمذاهب الفقهية الأخرى.

ثانيًا: التوصيات:

- يوصي الباحث الباحثين بالاجتهاد في جمع بقية آراء الإمام أبي الفياض البصري المتعلقة بالأبواب الفقهية المختلفة الأخرى.
- العناية بجمع فقه الأعلام من الفقهاء؛ لإظهارها ومعرفة مآخذها، إعمالاً لمنهجية فقه الدليل والاستنباط، وإثراء الفقه الإسلاميّ بوجوده فقهية مأثورة.

الهوامش:

- (1) ينظر: طبقات الفقهاء (ص119) وطبقات الشافعية لابن الصلاح (146/1) والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص194) وطبقات الشافعية لقاضي شهبة (136/1) وهدية العارفين (54/2).
- (2) ينظر: طبقات الفقهاء (ص119).
- (3) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (136/1).
- (4) ينظر: معجم المؤلفين (184/9) وهدية العارفين (54/2).
- (5) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (211/2) وسير أعلام النبلاء (166/16) والوافي بالوفيات (165/6) وطبقات الشافعية للسبكي (12/3) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (137/1).
- (6) ينظر: تاريخ الاسلام للذهبي (218/28) وسير الأعلام (14/17) وطبقات الشافعية لابن الصلاح (575/2) والوافي بالوفيات (81/18).
- (7) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (265/2) والطبقات لابن الصلاح (146/1).
- (8) ينظر: تاريخ الاسلام (86/9).
- (9) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (146/1) كشف الظنون (575/1) ومعجم المؤلفين (184/9).
- (10) ينظر: طبقات السبكي (257/8) والوافي بالوفيات (320/18).
- (11) ينظر: لسان العرب (8/439) والقاموس المحيط ص (785) ومقاييس اللغة (3/263) والمصباح المنير (1/335).
- (12) ينظر: المغني لابن قدامة (1/86) والمجموع شرح المذهب (1/396) والتاج والإكليل (1/295).
- (13) ينظر: المجموع (1/396) وكفاية النبيه (1/289).
- (14) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان (1/83).
- (15) ينظر: تبين الحقائق (1/2) والشرح الكبير للشيخ الدردير (1/85) والمغني (1/86) والمجموع (1/396) والتاج والإكليل لمختصر خليل (1/295) ومرواة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (2/414).
- (16) ينظر: سنن الترمذي (13) سنن أبي داود (129) وصححه الترمذي.
- (17) ينظر: المغني (1/126).
- (18) ينظر: التلقين في الفقه المالكي، لعبد الوهاب البغدادي (1/17) والمجموع (1/396).
- (19) ينظر: الإشراف لابن المنذر (3/356).
- (20) ينظر: المجموع (1/396) والفروع وتصحيح الفروع لابن مفلح (1/180) والمغني (1/126).
- (21) الإنصاف للمرداوي (1/154).
- (22) المغني (1/126).
- (23) المجموع (1/396) وينظر: الحاوي الكبير (1/173) وبحر المذهب للرويان (1/87).
- (24) ينظر: الحاوي الكبير (1/173).
- (25) بحر المذهب (1/87) وينظر: النفع الشدي شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس (1/347).
- (26) ينظر: الإنصاف للمرداوي (1/155).
- (27) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (1/118).
- (28) ينظر: لسان العرب (14/160) والمجموع شرح المذهب (2/17).
- (29) ينظر: الحاوي الكبير (1/182) والمجموع شرح المذهب (2/17) وكفاية النبيه (1/393).

- (30) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (71/1) والمجموع (2/18، 19) والمبسوط للسرخسي (1/78) ومواهب الجليل للحطاب (1/294) والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم (1/39) والمغني (1/128).
- (31) ينظر: مسند أحمد (886) وسنن أبي داود (203) وسنن ابن ماجه (477) وحسنه النووي في المجموع (2/17) وابن الصلاح، كما في خلاصة البدر المنير (1/52).
- (32) ينظر: سنن الترمذي (96) وسنن ابن ماجه (478) وصححه الترمذي، والنووي في المجموع (2/17) وغيرهما.
- (33) ينظر: المبسوط للسرخسي (1/78) والهداية شرح البداية للمرغيناني (1/15) ومنح الجليل (1/111).
- (34) ينظر: المبسوط للسرخسي (1/78) ومجمع الأنهر لشيخه زاده (1/20) وفتح القدير للكمال بن الهمام (1/72).
- (35) ينظر: الذخيرة للقرافي (1/231) والكافي لابن عبد البر (1/146) ومواهب الجليل للزعيني (1/295).
- (36) المغني (1/128) والشرح الكبير لابن قدامة (1/182) وفي شرح منتهى الإرادات أن احتباء النائم ناقض (1/71).
- (37) ينظر المجموع (2/17) وروضة الطالبين (1/74) وتحفة المحتاج لابن حجر (1/135) ونهاية المحتاج للرملي (1/116).
- (38) المجموع شرح المذهب (2/17).
- (39) صحيح مسلم برقم (376).
- (40) صحيح البخاري (545) وصحيح مسلم (642).
- (41) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (2/196) وعمدة القاري للعيني (5/69).
- (42) ينظر: المجموع شرح المذهب (2/19).
- (43) ينظر: روضة الطالبين (1/74)، كفاية النبيه لابن الرفعة (1/393).
- (44) مغني المحتاج للخطيب الشربيني (1/144).
- (45) شرح المحلى على المنهاج (1/28).
- (46) نهاية المحتاج (1/116).
- (47) ينظر: حاشية الحمل (1/199) ونهاية المحتاج (1/116) والمنهاج القويم لابن حجر (ص: 37) والغرر البهية مع حاشية الشربيني (1/137) وحاشية البحري (1/43) وحاشيتا قليوبي وعميرة (1/36) وبشرى الكريم (ص: 113).
- (48) ينظر: نهاية المحتاج (1/116) والمنهاج القويم لابن حجر (ص: 37) والغرر البهية مع حاشية الشربيني (1/137) وحاشية البحري (1/43) وحاشيتا قليوبي وعميرة (1/36) وحاشية الحمل (1/199) وبشرى الكريم ص (113).
- (49) بحر المذهب للرواني (1/145).
- (50) ينظر: الحاوي الكبير (1/197) والمجموع (2/38) وكفاية النبيه (1/405).
- (51) هو مشهور مذهب مالك ومعتمد الحنابلة. ينظر: التاج والإكليل (1/433) والمجموع (2/34) والمغني (1/131).
- (52) ينظر: موطأ مالك (130) والألم للشافعي (1/34) ومسند أحمد (27293) وسنن الترمذي (82) وسنن أبي داود (181) وسنن النسائي (447) وسنن ابن ماجه (517) وصححه الأئمة: أحمد، ويحيى بن معين، والترمذي، ونقل عن البخاري أنه أصح شيء في الباب. ينظر: تلخيص الحبير (1/340).
- (53) ينظر: مسند أحمد (8404) وسنن الدارقطني (533) وصحيح ابن حبان (1118) ومستدرک الحاكم (472) وصححه الحاكم وابن حبان وابن السكن وابن عبد البر وغيرهم. انظر: الاستذكار (1/247)، البدر المنير (2/471) التلخيص الحبير (347/1).
- (54) عددهم بأسمائهم الكتابي، وجعله السيوطي وغيره متواتراً. انظر: نظم المتناثر (ص: 65) وشرح الزرقاني على الموطأ (1/187).
- (55) سنن الترمذي (1/146).

- (56) ينظر : مسند أحمد (16286) وسنن الترمذي (85) وسنن أبي داود (182) وسنن النسائي (165) وسنن ابن ماجه (521) قال الترمذي: وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وصححه ابن حزم والفلاس وابن منده وابن حبان والطحاوي وابن حجر وغيرهم، وضعفه الشافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي وآخرون. ينظر: تلخيص الحبير (347/1) والبدر المنير (2/466) وفتح الباري (1/254).
- (57) سنن الترمذي (141/1). التلخيص الحبير (347/1).
- (58) نقله عنه الحافظ في التلخيص الحبير (347/1).
- (59) ومن ذهب للنسخ ابن حبان (3/405) وابن حزم في المحلى (1/239) والحازمي في الاعتبار (77) والبيهقي في الخلافيات (1/331).
- (60) ابن حزم في المحلى (1/239) ونيل الأوطار (1/250).
- (61) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (3/338) وشرح الزرقاني على الموطأ (1/187) ونظم المتناثر للكتاني ص (65).
- (62) ينظر: الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق خان (1/48).
- (63) ينظر: الخلافيات للبيهقي (1/329).
- (64) سنن الترمذي (1/147).
- (65) شرح معاني الآثار (1/76)، وسبق ذكر بعض من صححه من الأئمة.
- (66) ينظر: تلخيص الحبير (347/1).
- (67) ينظر: شرح فتح القدير (1/55) ونصب الراية للزيلعي (1/66).
- (68) ينظر: الاعتبار للحازمي (43) نصب الراية للزيلعي (1/66).
- (69) ينظر: شرح معاني الآثار (1/76).
- (70) صحيح ابن خزيمة (1/63) وما ذكره عن الإمام مالك وأحمد رواية عنهما. ينظر: البيان والتحصيل لابن رشد (17/309)، الإنصاف للمرداوي (1/202).
- (71) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (1/205) ومجموع الفتاوى (21/241).
- (72) ينظر: الاستذكار (1/249) والتلقين في الفقه المالكي (1/23) وبداية المجتهد ونهاية المقتصد (1/45).
- (73) للوقوف على ذلك ينظر: الخلافيات للبيهقي (1/297) وما بعده، وشرح معاني الآثار (1/76) والمحلى لابن حزم (1/239). والاعتبار للحازمي (39-46) ونيل الأوطار (1/250) وموسوعة أحكام الطهارة للديان (10/713) وما بعدها.
- (74) ينظر: المغني (1/132) وحاشية الروض المربع (1/249).
- (75) ينظر: الإنصاف للمرداوي (1/204) والمبدع في شرح المقنع لابن مفلح (1/136).
- (76) ينظر: الذخيرة للقراي (1/224) والتاج والإكليل لمختصر خليل (1/433).
- (77) ينظر: تحفة المحتاج لابن حجر (1/144) ومغني المحتاج للشريبي (1/148).
- (78) ينظر: بحر المذهب للروباي (1/150) وروضة الطالبين (1/76).
- (79) ينظر: فتح العزيز للرافعي (2/69) والمجموع شرح المذهب (2/38).
- (80) ينظر: الحاوي (1/197) وبحر المذهب (1/150).
- (81) ينظر: البيان للعمراي (4/228) وبحر المذهب (1/163) والمجموع (2/134).
- (82) ينظر: الأوسط لابن المنذر (1/132) والمغني (1/235) والإقناع في مسائل الإجماع (1/97).

- (83) شرح النووي على مسلم (4/ 40). وينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (1/ 97) وفتح الباري لابن رجب (375/1) وعمدة القاري (3/ 247).
- (84) صحيح مسلم رقم (348،349).
- (85) ينظر: المجموع (2/ 134) والإنصاف (1/ 232) ومواهب الجليل (1/ 450) وشرح الزركشي على الخرق (1/ 60).
- (86) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (1/ 143) والإنصاف (1/ 232) والشرح الممتع (1/ 340).
- (87) ينظر: البناية شرح الهداية (1/ 334) البحر الرائق (1/ 61) حاشية الدسوقي (1/ 254) التاج والإكليل (1/ 197).
- (88) ينظر: التعليقة على مختصر المزني للقاضي حسين بن محمد بن أحمد المرؤؤذي (1/ 373).
- (89) ينظر: الحاوي الكبير (1/ 73) وكفاية النبيه (2/ 237).
- (90) ينظر: المجموع (2/ 555) وتبيين الحقائق (1/ 27).
- (91) ينظر: بدائع الصنائع (5/ 43) الجوهرة النيرة (1/ 17) والبحر الرائق (1/ 112) والحاوي الكبير (1/ 73) والمجموع (1/ 244)، (2/ 570) وكفاية النبيه (2/ 237) والمبدع شرح المقنع (1/ 54) والإنصاف (1/ 94).
- (92) ينظر: الحاوي (1/ 73) والكفاية (2/ 237).
- (93) ينظر: بدائع الصنائع (5/ 43).
- (94) ينظر: الجوهرة النيرة (1/ 17) والبحر الرائق (1/ 112).
- (95) ينظر: المغني (1/ 55).
- (96) ينظر: الأوسط (2/ 290) والحاوي الكبير (1/ 73) والمجموع (1/ 244، 2/ 570) وكفاية النبيه (2/ 237) التفرع في فقه الإمام مالك (1/ 321) ومواهب الجليل (1/ 93).
- (97) ينظر: البيان والتحصيل (3/ 375) والذخيرة (4/ 107).
- (98) ينظر: الحاوي الكبير (1/ 72) والمجموع (1/ 245) وكفاية النبيه (2/ 237) والشرح الكبير على المقنع (1/ 73).
- (99) ينظر: المغني (1/ 55).
- (100) ينظر: الحاوي الكبير (1/ 73) والمجموع (1/ 244، 2/ 570) وكفاية النبيه (2/ 237) والمبدع شرح المقنع (1/ 54) والإنصاف (1/ 94).
- (101) ينظر: البيان والتحصيل (3/ 375) ومواهب الجليل (1/ 93) وأسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك» (1/ 63).
- (102) ينظر: بدائع الصنائع (5/ 43).
- (103) ينظر: المبدع شرح المقنع (1/ 54) والإنصاف (1/ 94).
- (104) ينظر: المغني (1/ 55).
- (105) ينظر: بحر المذهب (1/ 26).
- (106) ينظر: نهاية المطلب للحويني (1/ 37) والغاية في اختصار النهاية لعز الدين ابن عبد السلام (1/ 272).
- (107) ينظر: المصباح المنير (2/ 617).
- (108) ينظر: البيان في مذهب الشافعي (1/ 32) ومواهب الجليل (1/ 83).
- (109) ينظر: الحاوي (1/ 322) والبيان في مذهب الشافعي (1/ 32) والمجموع (1/ 129) وحلية العلماء (1/ 312).
- (110) مواهب الجليل (1/ 87).
- (111) ينظر: المغني (1/ 35) والإنصاف (1/ 339).
- (112) ينظر: الحاوي (1/ 322) والمجموع (1/ 128-129).

- (113) ينظر: الأم (18/1) والحاوي (321/1) وبحر المذهب (255/1) والعزیز شرح الوجیز (31/1) والمجموع (129/1) والمبسوط (51/1) وبدائع الصنائع (62/1) والتوضیح فی شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (23/1) مواهب الجلیل (87/1) والمغنی (33/1).
- (114) أي: اغمسوه في الطعام أو الشراب، والمثل: الغمس. ينظر: المصباح المنير (577/2).
- (115) صحيح البخاري (3320) وسنن أبي داود (3844).
- (116) ينظر: الحاوي (321/1) والبيان في مذهب الشافعي (33/1) والعزیز شرح الوجیز (31/1) والمبسوط (51/1) والتجريد للقدوري (289/1).
- (117) سنن الدارقطني (49/1) والسنن الكبرى للبيهقي (383/1) وهو معلول من وجوه بينها ابن الملقن في البدر المنير (456/1).
- (118) ينظر: البيان في مذهب الشافعي (33/1).
- (119) ينظر: الأم (18/1) والحاوي (322/1) وبحر المذهب (255/1) والمجموع (129/1) والإشراف على نكت مسائل الخلاف (180/1).
- (120) ينظر: البيان في مذهب الشافعي (33/1).
- (121) سنن ابن ماجه (4311) وأصله في صحيح مسلم (2012) من حديث جابر.
- (122) ينظر: الحاوي (322/1).
- (123) نهاية المطلب (249/1).
- (124) ينظر: المجموع (129/1) والأوسط لابن المنذر (281/1) والإشراف على نكت مسائل الخلاف (180/1).
- (125) ينظر: الحاوي الكبير (287/1) والمجموع (265/2) كفاية النبيه (80/2).
- (126) ينظر: بدائع الصنائع (49/1) وفتح القدير لابن الهمام (134/1) ودرر الحكام شرح غرر الأحكام (31/1) وعيون الأدلة (1211/3 - 1212).
- (127) ينظر: الأصل للإمام محمد بن الحسن (103/1) وعيون الأدلة (1211/3 - 1212).
- (128) ينظر: المبسوط (122/1) وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (49/1).
- (129) ينظر: فتح القدير لابن الهمام (134/1).
- (130) ينظر: بدائع الصنائع (49/1) ومواهب الجلیل (358/1) وتحرير المختصر (203/1) والحاوي الكبير (287/1) والمجموع (265/2) كفاية النبيه (80/2) والإنصاف (278/1).
- (131) ينظر: الحاوي الكبير (287/1).
- (132) ينظر: الحاوي الكبير (287/1) والمجموع (265/2) وكفاية النبيه (80/2) والمغنی (187/1) وعيون الأدلة (1216/3).
- (133) ينظر: الحاوي الكبير (287/1).
- (134) ينظر: الحاوي (380/1) والعزیز (297/1) والمجموع (364).
- (135) ينظر: الأم للشافعي (185/5) والعزیز شرح الوجیز (297/1) وروضة الطالبين (136/1) والمجموع (362/2) وتبيين الحقائق (57/1) والبنایة شرح الهدایة (646/1) وفتح القدير (166/1) وشرح الزرقاني على مختصر خليل (245/1) والتوضیح فی شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (253/1) وموسوعة أحكام الطهارة (353/7).
- (136) المجموع شرح المذهب (363/2) وموسوعة أحكام الطهارة (353/7).
- (137) صحيح مسلم (294).
- (138) سنن أبي داود (55/1) (212). قال ابن المقن في تحفة المحتاج (233 /1) إسناده جيد.
- (139) العزیز شرح الوجیز (297/1) والمجموع شرح المذهب (363/2) والحديث في البخاري (2051).

- (140) ينظر: فتح العزيز شرح الوجيز (297/1) وروضة الطالبين (136/1) والمجموع (362/2) والمغني لابن قدامة (242/1) وكفاية النبيه (198/2) وتبيين الحقائق (57/1) وفتح القدير (166/1) وشرح الرُّقَاني على مختصر خليل (245/1) والتوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (253/1) وكشاف القناع (198/1) وموسوعة أحكام الطهارة (353/7).
- (141) ينظر: المجموع شرح المذهب (361/2) والمغني (243/1).
- (142) صحيح مسلم: ك: الحيض، باب: اصنعوا كل شيء إلا النكاح، رقم (302).
- (143) صحيح مسلم: ك: الحيض، باب: الحائض تناول من المسجد، رقم (298).
- (144) ينظر: الاستذكار (321/1).
- (145) ينظر: فتح العزيز شرح الوجيز (297/1).
- (146) ينظر: الحاوي الكبير (385/1) وبحر المذهب (312/1) والعزيز شرح الوجيز (297/1) والمجموع (364/2).
- (147) صحيح البخاري: ك: الحيض، باب: مباشرة الحائض، رقم (302).
- (148) ينظر: الحاوي (380/1) والمجموع (364/1) والمهمات (373/2) وفتح الباري لابن رجب (35/2) وشرح سنن أبي داود لبدر الدين العيني (33/2).

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

- 1) الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/1، الأولى، 1421 - 2000م.
- 2) أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»، أبو بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (ت: 1397 هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط/2.
- 3) الإشراف على مذاهب العلماء، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية - الإمارات العربية، ط/1، 1425هـ - 2004م.
- 4) الأصل، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت: 189 هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد بونوكال، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط/1، 1433هـ - 2012م.
- 5) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت: 584هـ)، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، ط/2، 1359هـ.
- 6) الإنقاع في مسائل الإجماع، علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الفاسي، ابن القطان (ت: 628هـ)، المحقق: حسن فوزي الصعدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط/1، 1424هـ - 2004م.
- 7) الأم، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المظلي (ت: 204هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: 1410هـ/1990م.
- 8) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: 885هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط/2، - بدون تاريخ.
- 9) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 319هـ)، تحقيق: صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة - الرياض، ط/1، 1405هـ، 1985م.

- 10) بحر المذهب (في فروع المذهب الشافعي) الروياني، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل (ت: 502 هـ)، المحقق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط/1، 2009م.
- 11) بدائع الصنائع، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: 587 هـ)، دار الكتب العلمية، ط/2، 1406 هـ - 1986م.
- 12) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: 595 هـ)، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1425 هـ - 2004م.
- 13) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملتن، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت: 804 هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، ط/1، 1425 هـ - 2004م.
- 14) بشرى الكريم، بشرح مسائل التعليم، سعيد بن محمد باعلوي باعشن الدوعني الرابطي الحضرمي الشافعي (ت: 1270 هـ)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، ط/1، 1425 هـ - 2004م.
- 15) البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاني الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط/1، 1420 هـ - 2000م.
- 16) البيان في مذهب الشافعي، يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: 558 هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، ط/1، 1421 هـ - 2000م.
- 17) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: 520 هـ)، حققه: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/2، 1408 هـ - 1988م.
- 18) التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، المواق المالكي (ت: 897 هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط/1، 1416 هـ - 1994م.
- 19) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748 هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط/1، 2003م.
- 20) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت: 743 هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط/1، 1313 هـ.
- 21) التجريد للقدوري، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر أبو الحسين القدوري (ت: 428 هـ)، المحقق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، دار السلام - القاهرة، ط/2، 1427 هـ - 2006م.
- 22) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: 1357 هـ - 1983م.
- 23) التعليقة على مختصر المزني للقاضي حسين بن محمد بن أحمد المؤدودي (ت: 462 هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة.
- 24) التفریع في فقه الإمام مالك، عبيد الله بن الحسين بن الحسن أبو القاسم ابن الجلاب المالكي (ت: 378 هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1428 هـ - 2007م.
- 25) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني

- (ت: 852هـ)، دار الكتب العلمية، ط/1، 1419هـ. 1989م.
- 26) التلقين في الفقه المالكي، أبو محمد عبد الوهاب بن علي الثعلبي البغدادي المالكي (ت: 422هـ)، المحقق: محمد بو خبزة الحسني، دار الكتب العلمية، ط/1، 1425هـ - 2004م.
- 27) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد، محمد عبد الكبير، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: 1387هـ.
- 28) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 29) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق بن موسى، (ت: 776هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط/1، 1429هـ - 2008م.
- 30) الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزبيدي اليمني الحنفي (ت: 00800هـ)، المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، 1322هـ.
- 31) حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (ت: 1221هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.
- 32) حاشية الجمل، المسمى فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهرى، المعروف بالجمل (ت: 1204هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 33) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: 1230هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 34) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت: 1392هـ)، الناشر: (بدون ناشر)، ط/1، 1397هـ.
- 35) حاشيتا قليوبي وعميرة، أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، 1415هـ - 1995م.
- 36) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: 450هـ)، المحقق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1419هـ - 1999م.
- 37) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه: ياسين أحمد درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة - المملكة الأردنية، عمان ط/1، 1988م.
- 38) درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا خسرو (ت: 885هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 39) الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القراني (ت: 684هـ)، المحقق: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط/1، 1994م.
- 40) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، ط/3، 1412هـ / 1991م.

- 41) الروضة الندية شرح الدرر البهية، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، دار المعرفة.
- 42) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- 43) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، المحقق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- 44) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤدة بن موسى، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: 1998م.
- 45) سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت: 385هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/1، 1424هـ - 2004م.
- 46) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/3، 1424هـ - 2003م.
- 47) سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط/2، 1406 - 1986م.
- 48) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، المحقق: مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/3، 1405هـ / 1985م.
- 49) شرح الزرقاني على مختصر خليل، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني (ت: 1099هـ)، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1422هـ - 2002م.
- 50) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط/1، 1424هـ - 2003م.
- 51) شرح الزركشي على مختصر الخرق، شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (ت: 772هـ)، دار العبيكان، ط/1، 1413هـ - 1993م.
- 52) شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/2، 1392هـ.
- 53) شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، المحقق: خالد بن إبراهيم، مكتبة الرشد - الرياض، ط/1، 1420هـ - 1999م.
- 54) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط/2، 1423هـ - 2003م.
- 55) شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: 321هـ)، عالم الكتب، ط/1، 1414هـ، 1994م.
- 56) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، ط/1، 1428 - 1422هـ.

- 57 شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن البهوتي الحنبلي (ت: 1051هـ)، عالم الكتب، ط/1، 1414هـ - 1993م.
- 58 صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، البستي (ت: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/1، 1414 - 1993م.
- 59 صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري (ت: 311هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت.
- 60 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 61 صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 62 طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شعبة (ت: 851هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط/1، 1407هـ.
- 63 طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: 643هـ)، المحقق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط/1، 1992م.
- 64 طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلوة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط/2، 1413هـ.
- 65 طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط/1، 1970م.
- 66 العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت: 804هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهرى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1417هـ.
- 67 عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 68 عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار، علي بن عمر بن أحمد البغدادي المالكي المعروف بابن القصار (ت: 397هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الحميد بن سعد، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، عام النشر: 1426هـ - 2006م.
- 69 الغاية في اختصار النهاية، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت: 660هـ)، المحقق: إياد خالد الطباع، دار النوادر، بيروت - لبنان، ط/1، 1437هـ - 2016م.
- 70 الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: 926هـ)، المطبعة الميمنية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 71 فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 72 فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلافي، البغدادي،

- ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: محمود عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ط/1، 1417هـ - 1996م.
- 73 فتح العزيز شرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافي القزويني (ت: 623هـ)، المحقق: علي عوض، وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1417هـ - 1997م.
- 74 فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الممام (ت: 861هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 75 الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرادوي، محمد بن مفلح بن محمد الحنبلي (ت: 763هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1424هـ - 2003م.
- 76 القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تحقيق: بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط/8، 1426هـ - 2005م.
- 77 الكافي في فقه أهل المدينة، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت: 463هـ)، المحقق: محمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط/2، 1400هـ/1980م.
- 78 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
- 79 كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (ت: 710هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، دار الكتب العلمية، ط/1، 2009م.
- 80 لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط/3، 1414هـ.
- 81 المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (ت: 884هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1418هـ - 1997م.
- 82 المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
- 83 مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي (ت: 1078هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 84 مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، عام النشر: 1416هـ/1995م.
- 85 المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، الناشر: دار الفكر.
- 86 المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: 456هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- 87 مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط/1، 1422هـ - 2002م.

- 88 المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/1، 1411 - 1990م.
- 89 مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1421 هـ - 2001م.
- 90 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- 91 معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 92 مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: 977هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط/1، 1415 هـ - 1994م.
- 93 المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: 620هـ)، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.
- 94 مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ - 1979م.
- 95 منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (ت: 1299هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409 هـ / 1989م.
- 96 المنهاج القويم، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت: 974هـ)، دار الكتب العلمية، ط/1، 1420 هـ - 2000م.
- 97 المهمات في شرح الروضة والرافعي، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت: 772 هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء ط/1، 1430 هـ - 2009م.
- 98 مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرُّعيني المالكي (ت: 954هـ)، دار الفكر، ط/3، 1412 هـ - 1992م.
- 99 موسوعة أحكام الطهارة، أبو عمر دُبَيَّان بن محمد الدُّبَيَّان، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط/1، 1426 هـ - 2005م.
- 100 موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي (ت: 179هـ)، صححه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عام النشر: 1406 هـ - 1985م.
- 101 نصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: 762هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت، ط/1، 1418 هـ / 1997م.
- 102 نظم المتناثر من الحديث المتواتر، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني (ت: 1345هـ)، المحقق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية - مصر، ط/2.
- 103 النفع الشذفي في شرح جامع الترمذي، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى (ت: 734هـ)، دراسة وتحقيق: أحمد معبد عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط/1، 1409 هـ.
- 104 نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (ت: 1004هـ)،

- دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة - 1404هـ/1984م.
- 105) نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين (ت: 478هـ)، حققه عبد العظيم الدّيب، دار المنهاج، ط/1، 1428هـ-2007م.
- 106) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصباطي، دار الحديث، مصر، ط/1، 1413هـ - 1993م.
- 107) الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت: 593هـ)، المحقق: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- 108) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: 1399هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول 1951م.
- 109) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م.

**The Jurisprudential Opinions of Imam Abu Al-Fayyad Al-Basri Al-Shafi'i
Related to Purity
(collection and comparative jurisprudence study)**

Dr. Saleh Mubarak Daakek

Abstract:

This study aims to collect the jurisprudential opinions of Imam Abu al-Fayyadh al-Basri al-Shafi'i related to the separate purity in the bellies of jurisprudence books, and studying it a comparative study with the opinions of the jurists of the four schools of jurisprudence, and discussing them by providing evidence and reasoning, and looking at what the discussion leads to from the preponderance, through the methodology of induction, inference and analysis.

The research required is divided into a preface and two chapters, the preamble was devoted to introducing Imam Abu al-Fayyad al-Basri, and the first topic: jurisprudential opinions related to ablution and its nullifications and washing, and the second was devoted to jurisprudential opinions related to uncleanness, tayammum, and enjoyment of the menstruating woman.

The study reached to a number of results, including: that Imam Abu al-Fayyadh al-Basri studied and taught in Basra and from him took a group of its jurists, and he is considered one of the senior Shafi'i jurists who became famous and their sayings spread in the works of the doctrine and others. The study collected eight jurisprudential views of him regarding purity, including: he sees details of what must be washed from the hair of the temples, so whatever is above the ears is from the head, and whatever descends from them is from the face. And that the sleeper who was thin in the body with veins of his buttocks invalidated his ablution, and if he was flesh of the body, his buttocks would apply to the ground and his ablution did not invalidate, and that the eggs that are in the belly of the dead bird; If it is strong, then it is pure and eaten, and if it is weak and soft, then it is impure, and that serpents and geckos are not of a liquid soul. And that the man - if his wife is menstruating - if he controls himself from the injury of the vagina; Either because of his weak desire or severe piety, it is permissible for him to enjoy what is between the navel and the knee, otherwise it is not permissible for him.

Some of these opinions are in agreement with the most correct of the Shafi'is, and others were corrected and approved by some of the later Shafi'is, and there are opinions in agreement with the other schools of jurisprudence.

Keywords: opinions, jurisprudence, jurisprudence of purity, Abu al-Fayyad al-Basri.

أثر سدّ الذرائع في صحة الفتوى

د. صادق محمد الأبيض

أستاذ مساعد، قسم الفقه وأصوله، كلية الشريعة

جامعة الريان

الملخص:

حاول هذا البحث بيان أثر سد الذرائع في صحة الفتوى؛ إذ تناول - أي البحث - في مبحثه الأول معنى الذرائع في اللغة واصطلاح الأصوليين، ثم بيان حجية سد الذرائع، وكونها مصدرًا للتشريع، والأدلة في ذلك، وكذلك مذهب مَنْ لم يعتدّ بها حجة ومصدرًا للتشريع، ثم تعريف الفتوى لغة واصطلاحًا، ثم بيان ضوابط الفتوى. ثم تناول في المبحث الثاني أثر سد الذرائع في صحة الفتوى المحققة للمقصد الشرعي، وذلك من خلال بيان النتائج المترتبة على القول بعدم إعادة بناء البيت الحرام على قواعد إبراهيم، وعدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين، وكذلك أثر سد الذرائع في القول والفتوى بمنع سفر المرأة بغير محرم والنتيجة المترتبة على هذا القول، وفي منع تولي المرأة المناصب العامة (الرئاسة والوزارة والبرلمان)، ثم تناول في المبحث الثالث أثر الفتوى بحرمة الخروج على ولي الأمر، وكذلك الثمرة الناتجة عن القول بتحريم السفر والإقامة في بلاد الكفار لغير حاجة، ومثله الفتوى بتحريم تقليد الكفار في الألبسة والعادات والمناسبات، وكذلك عدّ أقوال السكران وأفعاله عمدًا كالصاحي.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فإن الشريعة الإسلامية قد جاءت لرعاية مصالح الناس في العاجل والآجل، ودفع المضار والمفاسد عنهم. وإن مما أولته الشريعة الإسلامية في إطار تحقيق مصالح الناس هو سد الطرق ومنع الوسائل المفضية إلى إلحاق الضرر والأذى بالمجتمع وإن كانت مباحة من حيث الأصل؛ كي لا يتخذها أصحاب الأهواء والنفوس الضعيفة وسيلة لتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب مصلحة المجتمع من خلال الاعتماد على فتاوى تحقق مصالحهم الفردية، ولا تحقق المقصد الشرعي العام. وهذا الأمر في الشريعة الإسلامية هو ما يسمى بسد الذرائع. وإن من فوائد أعمال سد الذرائع والقول به هو خروج الفتوى محققة للمقاصد العامة للتشريع؛ إذ بفضل أعماله يسود الاستقرار، ويأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم. وسيتطرق هذا البحث لبيان سد الذرائع من حيث المفهوم والأنواع والأركان والأدلة وأمثلة على ذلك، ثم بيان أثر سد الذرائع في صحة الفتوى، وذلك من خلال بيان وإيضاح مجموعة من الأمور والمواضيع ذات الصلة كما هو مبين في خطة هذا البحث.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود فتاوى تعتمد على الأدلة الشرعية من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس دون الالتفات إلى الذرائع الموصلة إلى الفساد والمحذور، فأراد البحث أن يعالج هذه المشكلة من خلال بيان

بعض الأمثلة من الفتاوى أو الأحكام التي ارتكزت على سد الذريعة لتحقيق المقصد الشرعي أو المصلحة الكبرى، فيما لو أغفلتها لما حصل ذلك ولحدث العكس.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

- 1- لفت نظر المتصدرين للإفتاء إلى أهمية سد الذرائع في تحقيق المقصد الشرعي من الفتوى، وتحقيق المصلحة ودرء المفسدة، فتكون فتاواهم أكثر تحقيقاً لمقاصد الشرع من جلب المصالح ودرء المفسدات.
- 2- بيان أن الاعتماد على الأدلة والنصوص الشرعية دون الالتفات إلى سد الذرائع لا يحقق المقصد الشرعي من الفتوى.
- 3- لفت نظر الباحثين إلى العناية بسد الذرائع وأهميتها الكبيرة بالنسبة للفتوى في التشريع الإسلامي.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تتجلى أهمية الموضوع في بيان مدى صحة الفتوى المبنية على سد الذرائع، ومدى بعد الفتوى عن تحقيق المقصد الشرعي إذا لم تأخذ سد الذرائع بعين الاعتبار، وهو الذي كان سبباً في اختيار هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عن الفتوى وضوابطها، مثل:

- 1- الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها للدكتور عبدالرحمن الدخيل.
 - 2- الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها لمحمد يسري إبراهيم.
 - 3- ضوابط الفتوى من الناحية الفقهية والسياسة الشرعية للعنود بنت محمد الخضير.
 - 4- ضوابط الفتوى في القضايا المعاصرة لمحمد العواودة.
- وكل هذه الأبحاث تتحدث في الفتوى وأهميتها وضوابطها وعلاقتها بالسياسة والقضايا المعاصرة من غير أن يكون لها علاقة بسد الذرائع الذي يتميز به هذا البحث، إذ يبيّن تأثير سد الذرائع في صحة الفتوى.
- 5- بحث بعنوان علم أصول الفقه وأثره في صحة الفتوى ل: عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام، نشر دار ابن الجوزي، تطرق فيه المؤلف لمباحث أصول الفقه، وفي نهاية كل مبحث يبين علاقته بصحة الفتوى. وهذا البحث من خلال عنوانه يظهر أكثر شبهاً ببحثنا الحالي سيما فيما يتعلق بمبحث سد الذرائع، غير أنه - أي أصول الفقه وأثره في صحة الفتوى - كما ذكرنا آنفاً يبين علاقة مباحث بصحة الفتوى بشكل عام، ففي مبحث سد الذرائع على وجه الخصوص بيّن المؤلف المراد بسد الذرائع من خلال ذكره لأقوال القراني والشاطبي وابن القيم، ثم بين حقيقة الحيل وأنواعها، ثم ختم ذلك بتأكيد أنه يتوجب على المفتي أن ينظر إلى ما يؤول إليه الفعل، فقد يكون مباحاً ولكنه يؤول إلى كونه محرماً،⁽¹⁾ فعلى المفتي أن يُعنى بسد الذرائع والحيل

المفضية إلى محرم⁽²⁾. أما هذا البحث فإنه يبين كيف تؤثر سد الذرائع في صحة الفتوى من خلال أمثلة تطبيقية واقعية.

منهجية البحث:

- 1- اعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.
- 2- كتبت النصوص القرآنية من المصحف المدني مع وضع اسم السورة ورقم الآية بعد النص القرآني في متن البحث.
- 3- عند ذكر المصدر أو المرجع لأول مرة يذكر الكتاب ثم الجزء والصفحة ثم المؤلف ثم المحقق ثم دار النشر ورقم الطبعة وتأريخها. وعند عدم وجود المحقق أو الطبعة تحمل أو تكتب بدون.
- 4- عند ذكر المصادر والمراجع الحديثة يكتفى بذكر المصدر ثم رقم الحديث؛ إذ عليه المعول في البحث.
- 5- تخرج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين يكتفى بذكره مع رقمه دون الحكم عليه، وإن كان في غير الصحيحين يُذكر رقمه مردفًا ذلك بذكر الحكم عليه من كبار المختصين كابن حجر والألباني وغيرهما.
- 6- جعل للبحث ملخص بالعربية وآخر بالإنجليزية ثم خُتم بخاتمة لأهم ما توصل إليه.
- 7- أُرِدِف البحث بالهوامش ثم المصادر.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة، وفيها، مشكلة البحث، أهداف البحث، أهمية البحث، سبب الاختيار، الدراسات السابقة، منهجية البحث.

المبحث الأول: مفهوم سد الذرائع وحجيتها والفتوى وضوابطها، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الذرائع لغة واصطلاحًا، ومعنى سدها.

المطلب الثاني: حجية سد الذرائع.

المطلب الثالث: معنى الفتوى لغة واصطلاحًا.

المطلب الرابع: ضوابط الفتوى.

المبحث الثاني: أثر سد الذرائع في الفتوى بترك النبي صلى الله عليه وسلم أمورًا ومنع المرأة أمورًا، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: عدم إعادة بناء البيت الحرام على قواعد إبراهيم.
- المطلب الثاني: عدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين.
- المطلب الثالث: منع سفر المرأة بغير محرم.
- المطلب الرابع: منع تولي المرأة المناصب العامة (الرئاسة والوزارة والبرلمان).

المبحث الثالث: أثر سد الذرائع في الفتوى بجرمة أمور تتعلق بولي الأمر وبالكفار والسكران، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حرمة الخروج على ولي الأمر.

المطلب الثاني: السفر والإقامة في بلاد الكفار لغير حاجة.

المطلب الثالث: تقليد الكفار في الألبسة والعادات والمناسبات.

المطلب الرابع: اعتبار أقوال السكران وأفعاله عمداً كالمصاحي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم سد الذرائع وحجيتها والفتوى وضوابطها:

المطلب الأول: معنى الذرائع لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الذرائع في اللغة، جمع ذريعة، والذريعة: الوسيلة، والذريعة: السبب إلى الشيء وأصله من ذلك الجمل. يقال: فلان ذريعتي إليك، أي: سبي ووصلتي الذي أتسبب به إليك⁽³⁾.

قال القرافي: فإن الذريعة هي الوسيلة، فكما أن وسيلة المحرم محرمة فإن وسيلة الواجب واجبة، كالسعي للجمعة والحج⁽⁴⁾.

ثانياً: الذريعة في الاصطلاح لها معنيان، عامٌ وخاص. فأما العام فهو: كل ما يُتخذ وسيلةً لشيءٍ آخر، بصرف النظر عن كون الوسيلة جائزة أو ممنوعة⁽⁵⁾.

وأما المعنى الخاص فهو: كل فعل مأذون فيه بالأصل، ولكن طرأ عليه ما جعله يؤدي إلى المفسدة كثيراً. أو هو التوصل بما هو مصلحة إلى مفسدة⁽⁶⁾.

قال القرطبي: (والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع)⁽⁷⁾.

وقال القاضي عبد الوهاب: (الذرائع هي الأمر الذي ظاهره الجواز إذا قويت التهمة في التطرق به إلى الممنوع)⁽⁸⁾.

وقال الباجي في كتابه (الإشارات): (الذرائع هي المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور)⁽⁹⁾.

وعند تأمل هذه التعريفات نجد أنها متفقة على معنى واحد وهو الفعل، الذي ظاهره أنه مباح ويتوصل به إلى الممنوع.

معنى سد الذرائع:

السد في اللغة: الردم، ويطلق على الحاجز⁽¹⁰⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرَيْنَانِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿[الكهف: ٩٤ - ٩٥]

وأما معنى السد في الاصطلاح فقال القراني: (هي حسم مادة وسائل الفساد دفعًا لها)⁽¹¹⁾. وهناك أقوال أخرى بمعنى قول القراني، ويمكن القول بأن سد الذرائع هي منع الوسائل المفضية إلى الفساد والحرم غالبًا.

المطلب الثاني: حجية سد الذرائع:

اختلف العلماء في الاحتجاج بسد الذرائع وعدّها مصدرًا من مصادر التشريع على مذهبين: المذهب الأول: عدّ سد الذرائع والعمل بها، وهو قول المالكية والحنابلة⁽¹²⁾. المذهب الثاني: عدم عدّ سد الذرائع والعمل بها، وهو مذهب الحنفية والشافعية والظاهرية⁽¹³⁾. واستدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة تؤيد مذهبه، على النحو الآتي:

أولاً: أدلة الفريق الأول القائل بقبولها:

أ- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]

في هذه الآية نهي الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يستخدموا كلمة (راعنا) في خطابهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كانت من المراعاة بمعنى الإنظار والإمهال إلا أن اليهود كانوا يستخدمونها بقصدتهم السيئ: أي من الرعونة وهو الحق، يقصدون بها سب النبي صلى الله عليه وسلم وشتمه، فنهى الله تعالى المؤمنين عن التلفظ بهذه اللفظة حتى لا يتذرّع بها اليهود إلى قصدتهم الخبيث⁽¹⁴⁾. قال الإمام الطبري: وفي هذه الآية دليلان: أحدهما: على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص والغضب. الثاني: التمسك بسد الذرائع⁽¹⁵⁾.

ب- بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. حرم الله سب آله المشركين مع كونه غضبًا لله وحمية، وإهانة لآلهة المشركين، لكن لما كان ذلك السب ذريعة للمشركين أن يسبوا الله تعالى، ولما كانت مصلحة ترك سبه تعالى أعلى من مصلحة سب آلهة المشركين كان التصريح بترك سب آلهتهم⁽¹⁶⁾. قال الشوكاني في تفسيره عند ذكر هذه الآية: "وهذه الآية أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه"⁽¹⁷⁾.

ج- ما روي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه))⁽¹⁸⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الرجل سباً لاعتنا لأبويه إذا سب سباً يجزيه الناس عليه بالسب لهما، وإن لم يقصده"⁽¹⁹⁾.

د- نهي صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "إنكم إذا فعلتم قطعتم أرحامكم"⁽²⁰⁾.

وجه الدلالة: أن في الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها قطع للرحم؛ كون النساء يكون بينهن غيرة على بعضهن وبغضاء، ثم تنقطع صلة الرحم، ولو رضيت المرأة لم يجز ذلك⁽²¹⁾.

هـ- تحريم القطرة من الخمر لثلاث تكون ذريعة إلى الحسوة، والحسوة ذريعة إلى شرب ما يسكر، فيقع المحذور⁽²²⁾.

و- تحريم الخلوة بالأجنبية لثلاث تفضي إلى المحذور⁽²³⁾.

ز- تحريم النكاح حال العدة وإن تأخر الوطء منعاً لذريعة الدخول قبل الوطء⁽²⁴⁾.

والأدلة للقائلين باعتبارها كثيرة، نكتفي بما ذكرنا بياناً للمراد، وخشية الإطالة، والخروج عن الهدف من

هذا البحث.

ثانياً: أدلة الفريق الثاني القائل بعدم اعتبارها:

استدل القائلون بعدم عدّ سد الذرائع مصدرًا من مصادر التشريع بمجموعة من الأدلة، منها:

1- يرون أن الشريعة تبنى على الظاهر⁽²⁵⁾ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الشافعي رحمه الله تعالى بعد هذه الآية: "إنه لا يفسد عقد أبدًا إلا بالعقد نفسه، ولا بشيء تقدمه ولا تأخره ولا بتوهم ولا بأغلب، وكذلك كل شيء لا يفسده إلا بعقده، ولا يفسد البيوع بأن يقال: هذا ذريعة وهذه نية سوء"⁽²⁶⁾.

وقال في موضع آخر حينما سئل عن القول بسد الذرائع: "أقول بالذريعة؟ قال: لا، ولا معنى في الذريعة، إنما المعنى في الاستدلال بالخير اللازم، أو القياس عليه، أو المعقول"⁽²⁷⁾.

2- يستدلون بأن الله قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

دلت الآية أن كل من حلل أو حرم ما لم يأذن من الله تعالى في تحليله أو تحريمه فقد افترى على الله كذبًا، والقول بسد الذرائع قول لم يأذن به الله؛ لأن الله قد أحل لنا ما في الأرض جميعًا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٩] إلا ما فصل تحريمه بقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] فبطل بهذين النصين الجليلين أن يحرم أحد شيئاً باحتياطٍ أو خوف تذرّع⁽²⁸⁾.

3- ما جاء في صحيح البخاري عن عباد بن تميم عن عمه أنه شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي يخيل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، فقال: "لا ينفلت أو لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً"⁽²⁹⁾. فلو كان حكم الاحتياط حقاً لكانت الصلاة أولى ما احتيط لها، ولكن الله تعالى لم يجعل لغير اليقين حكماً، فوجب بما ذكرنا أن كل ما تيقن تحريمه فلا ينتقل إلى التحليل إلا بيقين آخر من نص أو إجماع، وكل ما تيقن تحليله فلا ينتقل إلى التحريم إلى بيقين من نص أو إجماع، وبطل الحكم بالاحتياط⁽³⁰⁾.

4- إن القول بسد الذرائع لكونها محتملة الوقوع في الممنوع إنما هو من قبيل الاحتياط، وهو باب إلى الظن، ومعلوم أن من حكم بالاحتياط فقد حكم بالظن، وإذا حكم بالظن حكم بالكذب والباطل، وهو حكم بالهوى، وهذا باب واسع لا يحل للمسلم أن يلج فيه؛ إذ يلزم منه أن يقوم بأعمال لا يوافق عليها في أصل الشريعة كمن يقتل الناس خشية الكفر، ومن يمنع الجوار خشية الزنا⁽³¹⁾.

المطلب الثالث: معنى الفتوى لغة واصطلاحاً:

الفتوى لغة: اسم مصدر بمعنى الإجابة، يقال: أفتيته إذا أجبتّه عن مسأله⁽³²⁾، وتأتي بمعنى الإبانة، منه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، أي يبين لكم حكمه فيهن، والإفتاء تبين المبهم⁽³³⁾.

والفتوى في الاصطلاح: تبين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه⁽³⁴⁾. وقيل: هي توقيع عن الله تبارك وتعالى⁽³⁵⁾، وقيل: تبين الحكم الشرعي للسائل. وقيل: إخبار عن حكم الله تعالى في إلزام أو إباحة⁽³⁶⁾. والمقصود بالإلزام هنا إلزام فعل أو إلزام ترك، وبهذا تفارق الفتوى القضاء الذي هو تبين الحكم الشرعي على سبيل الإلزام. والراجع التعريف الأول.

المطلب الرابع: ضوابط الفتوى:

الفتوى الشرعية الصحيحة التي تحقق المقصد الشرعي لا بد لها من ضوابط تبعد صاحبها عن الزلل والخطأ. وسنذكر هذه الضوابط مختصرة لتحقيق المراد من البحث. ومن هذه الضوابط:

- 1- أن تكون مضبوطة بالدليل الشرعي المعتمد، ومعتمدة عليه، وينبغي أن تستند أولاً إلى دليل الكتاب والسنة قبل غيرها، ثم الإجماع والقياس، ثم ينتقل إلى الأدلة الأخرى⁽³⁷⁾.
- 2- صدور الفتوى ممن هو أهل للإفتاء المستجمع لشروط المفتي المجتهد المعروفة في كتب الفقه والأصول؛ لكي تحظى بالقبول وعدم الرد، وتكون أبعد عن الزلل والخطأ⁽³⁸⁾.

3- عدم تتبع الرخص في الفتوى، وجعله منهجاً فقهياً طلباً للأيسر في كل حكم شرعي، بل لا يلجأ إليها إلا في الحالات الخاصة التي تقتضي ذلك وفق الاستدلال الصحيح وتحقيقاً للمقصد الشرعي للفتوى⁽³⁹⁾.

4- أن تكون واضحة بيئة بعيدة عن الغموض خالية من المصطلحات التي يعسر فهمها أو يتعذر.
5- ألا تكون مبنية على أقوال شاذة، ولا آراء مرجوحة في الغالب إلا إذا كانت ستؤدي لتحقيق مصلحة عامة أو درء مفسدة غالبية.

6- تقديم الفتوى الجماعية على الفتوى الفردية، والرأي القديم على الرأي الحديث⁽⁴⁰⁾.
7- أن يراعى في الفتوى الزمان والمكان والأشخاص؛ إذ قد يختلف الحكم الشرعي بحسب الزمان والمكان الأشخاص.

المبحث الثاني: أثر سد الذرائع في الفتوى بترك النبي صلى الله عليه وسلم أموراً ومنع المرأة أموراً:

المطلب الأول: إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم:

كره كثير من أهل العلم المساس بالكعبة أو تغييرها خشية أن تكون عرضة للتغيير من قبل الملوك، وذلك يتنافى مع حرمتها وتعظيمها الذي حث عليه الشرع، في قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن هذه الأمة لا تزال بخير ما عظموا هذه الحرمه - يعني الكعبة - حق تعظيمها فإذا ضيعوا ذلك هلكوا)⁽⁴¹⁾. مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألرقته بالأرض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم)، فذلك الذي حمل ابن الزبير رضي الله عنهما على هدمه، قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه، وبناءه، وأدخل فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة، كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له: أين موضعه؟ قال: أريكه الآن، فدخلت معه الحجر، فأشار إلى مكان، فقال: ها هنا، قال جرير: فحزرت من الحجر ستة أذرع أو نحوها⁽⁴²⁾. فلما كان عهد بني أمية وتغلب الحجاج على ابن الزبير أعاد بناءها على الوضع السابق، فما كان من العلماء إلا أن أفتوا بإبقائها على حالها، ولهذا ناشد الإمام مالك رحمه الله ملوك بني العباس عندما هموا بإعادة بناء الكعبة على ما بناها عليه ابن الزبير، ناشدهم بتركها على ما هي عليه، وقال: أخشى أن يصير هذا البيت لعبة في يد الملوك كلما جاء ملك غير فيه. نقل ذلك عنه غير واحد من أهل العلم⁽⁴³⁾.

فمن خلال ما سبق ذكره نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام مع ما فيه من المصلحة خشية حدوث مفسدة أكبر وسدًا لذريعة أن يقال إن محمدًا قد ناقض

قوله فعله، وأقدم على فعل ما يعده الناس جرماً كبيراً وفعلًا شنيعاً لا يمكن تبريره. مما جعل أن العلماء قد استقر رأيهم على حرمة إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم كما فعل ابن الزبير سداً لذريعة التجرؤ على بيت الله وإضاعة قدسيته ومكانته في القلوب بتعريضه للهدم والتغيير بناء على أمزجة الملوك وأهوائهم، فسد الذريعة هنا أثر في تغير الفتوى لتحقيق المقصد الأسمى - وهو الحفاظ على هيبة الكعبة وقدسيتها - مع وجود النص الصريح بأن المصلحة هي في إعادة بنائها - أي الكعبة - على قواعد إبراهيم. فصارت الفتوى بعدم إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم أصح من الفتوى بإعادتها على قواعد إبراهيم. فسد الذريعة هنا أثر في صحة الفتوى نحو تحقيق المقصد الشرعي الأكبر والأعظم من المصلحة المنصوص عليها في الحديث.

المطلب الثاني: عدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين:

روى البخاري عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ما بال دعوى الجاهلية). قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: (دعوها فإنها منتنة). فسمع بذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أوقد فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعه؛ لا يتحدث الناس إن محمدًا يقتل أصحابه)⁽⁴⁴⁾. قال صاحب عمدة القاري: "فهذه هي العلة، وسلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه، ولكنه صبر استبقاء لانقيادهم وتأليفاً لغيرهم حتى لا ينفروا... ويتنفر الناس عن الدخول في الإسلام، ويقول بعضهم لبعض: "ما يؤمنكم إذا دخلتم في دينه أن يدعي عليكم كفر الباطن فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم، فلا تسلموا أنفسكم إليه للهلاك"، فيكون ذلك سبباً لنفور الناس عن الدين"⁽⁴⁵⁾. فالعلة التي من أجلها ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل المنافق (عبد الله ابن أبي) - والمنافقين مثله كما ورد في غير موضع - هي سداً لذريعة أن يتحدث المنافقون والكفار إن محمدًا يقتل أصحابه، فيؤدي هذا الحديث إلى تنفير الناس عن الإسلام. قال في إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام: "وأمسك عن قتل المنافقين مع ما فيه من مصلحة؛ لكونه ذريعة إلى التنفير، وقول الناس: إن محمدًا يقتل أصحابه"⁽⁴⁶⁾، فالنبي صلى الله عليه وسلم ترك ما فيه مصلحة - قتل المنافقين - سداً لذريعة التحدث عن قتله لأصحابه، فيؤدي إلى حدوث مفسدة أكبر من مصلحة قتلهم؛ لأنه لو كان يجب عليه ترك قتلهم لكان الجواب بذكر المانع الشرعي وهو أنه لا يحل قتلهم⁽⁴⁷⁾، فسد الذريعة التي عمل بها النبي صلى الله عليه وسلم أثرت في صحة ما أفتى به صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب عندما استأذنه بعض أصحابه في قتل المنافقين.

المطلب الثالث: منع سفر المرأة بغير محرم:

اختلف العلماء في حكم سفر المرأة بدون محرم على أقوال عدة:

القول الأول: تحريم سفر المرأة مطلقاً إلا بوجود محرم. وإليه ذهب الحنفية⁽⁴⁸⁾، والحنابلة⁽⁴⁹⁾.
القول الثاني: جواز سفرها مطلقاً تطوعاً وفرضاً مع نسوة أو امرأة ثقة. وهو مقابل المذهب عند الشافعية⁽⁵⁰⁾.
القول الثالث: جواز سفرها دون نساء أو ذوي محارم إذا كان الطريق آمناً، وهو وجه ضعيف عند الشافعية⁽⁵¹⁾.
القول الرابع: التفصيل. وإليه ذهب المالكية والشافعية، على خلاف بين الفريقين. والقول المعتمد في المذهبين هو:

أ- إن كان السفر تطوعاً حرم سفر المرأة إلا بوجود محرم.
ب- وإن كان واجباً جاز لها السفر مع رفقة مأمونة على مذهب المالكية⁽⁵²⁾، أو مع نسوة أو امرأة ثقة على مذهب الشافعية⁽⁵³⁾. وقيد بعض المالكية التحريم في سفر التطوع بالانفراد والعدد القليل، دون القوافل العظيمة فإنه يجوز للمرأة أن تسافر فيها دون نساء وذوي محارم⁽⁵⁴⁾.

أدلة المانعين لسفر المرأة بدون محرم: استدل المانعون من سفر المرأة بدون محرم بأدلة عدة، من أبرزها:
1) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم"⁽⁵⁵⁾.
2) في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم"⁽⁵⁶⁾.
3) في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حُرْمَةٌ"⁽⁵⁷⁾. وفي لفظ لمسلم: (مسيرة يوم). هذه الأحاديث المتقدمة على اختلاف ألفاظها صريحة في الحكم، وهو تحريم سفر المرأة إلا بوجود الزوج أو المحرم.

استدل المبيحون لسفر المرأة مع رفقة أو نسوة ثقات بأدلة عدة، من أبرزها:
1) عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - قال: بينا أنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها. قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله... الحديث". قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله⁽⁵⁸⁾. وجه الاستدلال: أنه - صلى الله عليه وسلم - أخبر بخروج المرأة وحدها، ولم يذكر زوجاً ولا محرماً، فدل على جواز سفرها بدون محرم⁽⁵⁹⁾.
2) القياس على وجوب هجرة المرأة إذا أسلمت - وهو مجمع عليه -، وسفر الأسيرة إذا تخلصت من أيدي الكفار⁽⁶⁰⁾. ونوقش هذا القياس من وجهين: الوجه الأول: أنه قياس مع الفارق؛ لأن الأسيرة إذا

تخلصت من أيدي الكفار فإن سفرها سفر ضرورة لا تقاس عليه حالة الاختيار، ولذلك تخرج فيها وحدها؛ ولأنها تدفع ضرراً متيقناً بتحمل الضرر المتهم، فلا يلزم تحمل ذلك من غير ضرر أصلاً⁽⁶¹⁾.
 مما تقدم يترجح - والله أعلم - القول الأول وهو: تحريم سفر المرأة مطلقاً إلا بوجود المحرم؛ نظراً لقوة أدلته؛ ولأنه من جهة أخرى هو الأحوط للمرأة في الأزمنة المتأخرة بسبب فساد أحوال الناس، وانتشار الفتن. وسدًا لذريعة تعرضها للأذى والاعتداء بسبب فساد أحوال الناس وانتشار الفتن. قال النووي: "المرأة مظنة الطمع فيها، ومظنة الشهوة ولو كانت كبيرة، وقد قالوا لكل ساقطة لاقطة، ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس وسقّطهم من لا يرتفع عن الفاحشة بالعجز وغيرها، لغلبة شهوته وقلة دينه ومروءته وخيائته ونحو ذلك"⁽⁶²⁾.

ومن الذرائع القريبة التي قد تفضي إلى الفاحشة، واختلاط الأنساب، وهتك الأعراض - سفر المرأة دون من فيه صيانة لها في اعتبار الشرع؛ من زوجها أو أحد محارمها⁽⁶³⁾. فمنع المرأة من السفر بغير محرم، ولو مع رفقة آمنة أو مع نسوة مأمونة هو القول المحقق للمقصد الشرعي من حفظ الأعراض، وسدًا لذريعة الاعتماد على الرفقة الآمنة؛ لأنه قد تكون الرفقة آمنة في الظاهر، غير آمنة في الباطن والواقع، سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد وضعف فيه التدين، ولأن بعض النساء قد تتخذ من الرفقة الآمنة ذريعة لاعتیاد السفر بغير محرم، فمرة مع رفقة آمنة وثانية مع رفقة أقل أماناً وهكذا حتى يؤدي إلى الوقوع في المحذور. ثم إن بعض الرفقة الآمنة من الرجال قد يفتن بهذه المرأة وتقع في نفسه ويؤدي إلى التواصل معها مستقبلاً والتحدث معها في غير حاجة، وهذا أحد المحظورات، وقد يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك والعياذ بالله. فالمحرم صيانة للمرأة من الوقوع في المحذور، ومن التعرض لها بسوء أو مكروه.

ثم إن القول بجواز سفر المرأة مع الرفقة الآمنة أو نسوة مأمونة يجرى المرأة تدريجياً على السفر بغير محرم، ولو مع رفقة غير مأمونة بذريعة أنها مأمونة حتى ينتهي بها الأمر إلى أن تسافر مباشرة من غير محرم. أيضاً القول بجواز سفر المرأة بغير محرم ذريعة لسفر المتبرجة وغير الملتزمة وضعيفة التدين من غير محرم فيؤدي إلى الوقوع في المحذور.

فالقول بمنع سفر المرأة بغير محرم هو المحقق للمقصد الشرعي من حفظ الأنساب والأعراض.

المطلب الرابع: منع تولي المرأة المناصب العامة (الرئاسة والوزارة والبرلمان):

اتفق أهل العلم على عدم جواز تولي المرأة المناصب إلا ما استثناه الأحناف من جواز توليها القضاء في المسائل التي تخص النساء، وذلك لأن المرأة في الأصل محلها البيت، وتربية الأولاد التربية الصالحة، وقد جاء أمر الله لن بالقرار في البيوت في قوله سبحانه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^ط

[الأحزاب: ٣٣]. ودلت الأدلة من الكتاب والسنة على عدم جواز تولي المرأة للولايات العامة، كالخلافة والوزارة والقضاء وما أشبه ذلك.

فمن أدلة القرآن: قال الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] قال القرطبي: أي يقومون بالنفقة عليهن، والذب عنهن، وأيضاً: فإن فيهم الحكام والأمراء ومن يغزو، وليس ذلك في النساء⁽⁶⁴⁾ أ.هـ.

وقال ابن كثير: "أي: الرجل قيم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت. (بما فضل الله بعضهم على بعض) أي: لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري، وكذا منصب القضاء اهـ"⁽⁶⁵⁾.

ومن أدلة السنة: عن أبي بكره قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)⁽⁶⁶⁾. قال الشوكاني في "نيل الأوطار": "فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات، ولا يحل لقوم توليتها؛ لأنه يجب عليهم اجتناب ما يوقعهم في عدم الفلاح اهـ بتصرف⁽⁶⁷⁾. وقال الماوردي - في معرض كلامه عن الوزارة -: "ولا يجوز أن تقوم بذلك امرأة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة)؛ ولأن فيها من طلب الرأي وثبات العزم ما تضعف عنه النساء، ومن الظهور في مباشرة الأمور ما هو عليهن محظور"⁽⁶⁸⁾. وقال ابن حزم رحمه الله - في معرض حديثه عن الخلافة -: "ولا خلاف بين أحد في أنها لا تجوز لامرأة"⁽⁶⁹⁾. وجاء في (الموسوعة الفقهية الكويتية) "اتفق الفقهاء على أن من شروط الإمام الأعظم أن يكون ذكراً، فلا تصح ولاية امرأة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)، ولكي يتمكن من مخالطة الرجال، ويتفرغ لتصريف شئون الحكم؛ ولأن هذا المنصب تناط به أعمال خطيرة، وأعباء جسيمة، تلائم الذكورة. واختلف الفقهاء في اشتراط الذكورة في القضاء. فذهب الجمهور وهم المالكية والشافعية والحنابلة إلى اشتراط الذكورة في القاضي، فلا يجوز عندهم أن تتولى المرأة وظيفة القضاء"⁽⁷⁰⁾.

وقد أجمعت الأمة في عهد الخلفاء الراشدين وأئمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخير عملياً على عدم إسناد الإمارة والقضاء إلى امرأة. ثم إن الأحكام الشرعية العامة تتعارض مع تولية النساء الإمارة؛ فإن الشأن في الإمارة أن يتفقد متوليها أحوال الرعية، ويتولى شؤونها العامة اللازمة لإصلاحها؛ فيضطر إلى الأسفار في الولايات، والاختلاط بأفراد الأمة، وجماعاتها، وإلى قيادة الجيش أحياناً في الجهاد، وإلى مواجهة الأعداء في إبرام عقود ومعاهدات، وإلى عقد بيعات مع أفراد الأمة، وجماعاتها، رجالاً ونساء في السلم والحرب ونحو ذلك، مما لا يتناسب مع أحوال المرأة وما يتعلق بها من أحكام شرعت لحماية عرضها، والحفاظ عليها من التبذل الممقوت⁽⁷¹⁾.

فمما يؤيد منع تولي المرأة المناصب العامة هو سد لذريعة اختلاطها بالرجال الذي هو لازم لتولي هذه المناصب، فالقول بجواز توليها يؤدي إلى اختلاطها بالرجال ووقوعها في الخطور، والإسلام أمر بالمحافظة عليها وعدم تعرضها للاختلاط بالرجال والخلوة بهم من غير محرم صيانة لعرضها وحفاظاً على شرفها وعفتها. فسداً لذريعة اختلاط المرأة بالرجال والخلوة بهم الناتج عن توليها المناصب العامة يتأكد القول بمنعها من تولي المناصب العامة.

المبحث الثالث: أثر سد الذرائع في الفتوى بحرمة أمور تتعلق بولي الأمر وبالكفار والسكران:

المطلب الأول: حرمة الخروج على ولي الأمر:

أصل ما في هذا المطلب هو ما جاء عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اسمع وأطع، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهرك" (72)، وفي رواية "إلا أن تكون معصية بواحا" (73). وفي حديث أبي ذر "اسمع وأطع ولو لعبدٍ مجذع الأطراف" (74)، وعند البخاري من حديث أبي ذر "اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة" (75).

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "اسمع وأطع وإن أمر عليك عبد حبشي مجذع إن ضرك فاصبر، وإن أمرك بأمر فأتهم وإن حرمك فاصبر، وإن ظلمك فاصبر، وإن أراد أن ينقص من دينك فقل: دمي دون ديني ولا تفارق الجماعة" (76).

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: دعانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفرةً بواحا عندكم فيه من الله برهان» (77).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية» (78).

جاء في فتح الباري تعليل الطاعة بقوله: "وأما لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة فإن طاعته تجب إخماداً للفتنة" (79).

وجاء عن الإمام ابن تيمية في تعليل طاعة ولاية الأمور وعدم الخروج عليهم أن هذا المسلك يترتب عليه من الفساد ما هو أعظم مما يقع من الولاية من فسق أو ظلم أو جور (80).

وقال النووي: "وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم" (81). ففساد الحال في الدين ضياعه واندثاره والخوف من المضايقة والتعذيب بسببه، وعدم ممارسته بأمان. وفساد الحال في الدنيا ضياع الأمن على النفس والمال والعرض بسبب الفتن والاعتداءات التي تحصل بغياب الحاكم.

وقال في موضع آخر: "قال العلماء وسبب عدم انزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين"⁽⁸²⁾.

وذكر أبوبكر الجزائري نتيجة الخروج على ولي الأمر، وعدم السمع والطاعة له في معرض حديثه عن الجماعات التي ظهرت في بلاد العرب، وتكفر الحكام، وتكفير من لم ير رأيهم فقال: "وحسبنا دليلاً على فتنهم ما جرت من بلاء ودمار وقتل وسفك لدماء بريئة ورعب وظلم لا يشك فيه ذو عقل ودين"⁽⁸³⁾. فهذه النصوص والنقولات تدل على أن طاعة الحاكم والسمع له - ولو ظالماً - سبب لاستدامة أمن المجتمع واستقراره. وأن طاعتهم مطلوبة سداً لذريعة أهل الأهواء ومطامعهم في إحداث الخلل في المجتمع وإهدار أمنه واستقراره.

المطلب الثاني: السفر والإقامة في بلاد الكفار لغير حاجة:

الأصل أنَّ السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز لمن لا يقدر على إظهار دينه، ولا يجوز إلا لضرورة؛ كالعلاج وما أشبه ذلك؛ مع القدرة على إظهار الدين، والقيام بما أوجب الله سبحانه وتعالى، وأن لا يداهن ولا يُماري في دينه، ولا يتكاسل عن أداء ما أوجب الله عليه⁽⁸⁴⁾. ومن شروط السفر إلى بلاد الكفار عند أهل العلم، أن يكون السفر مباحاً في طلب علم ينتفع به، ويعود نفعه على المسلمين عامة، وأن يلتزم من يريد السفر إلى هذه البلاد أحكام الإسلام الظاهرة من صلاة، وصيام، وأن يأمن على نفسه من الوقوع في الفتن، فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة كما قيل⁽⁸⁵⁾، وأن تحريم السفر لغير حاجة قد اشتهر بين الأمة، وأفتى به جماهير العلماء، وما ورد من الرخصة محمول على من يقدر على إظهار دينه⁽⁸⁶⁾، وأنه لا بد في إباحة السفر إلى بلاد المشركين، من أمن الفتنة⁽⁸⁷⁾. أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده، وكان عنده علم ودين على ما مر آنفاً فهذا لا بأس به. وأنه لا بد في إباحة السفر إلى بلاد المشركين من أمن الفتنة. فإن خاف بإظهار دينه الفتنة بقهرهم، وسلطانهم، أو شبهات زخرفهم، وأقوالهم، لم يحسب له القدوم إليهم، والمخاطرة بدينه⁽⁸⁸⁾. وخلاصة إباحة السفر إلى بلاد الكفار بشروط ثلاثة: الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات؛ لأن هناك في بلاد الكفار يوردون على أبناء المسلمين الشبهات حتى يردوهم عن دينهم. الثاني: أن يكون عند الإنسان دين يدفع به الشهوات، فلا يذهب إلى هناك وهو ضعيف الدين، فتغلبه شهوته فتدفع به إلى الهلاك. الثالث: أن يكون محتاجاً إلى السفر بحيث لا يوجد هذا التخصص في بلاد الإسلام.

فهذه الشروط الثلاثة إذا تحققت فليذهب، فإن تخلف واحد منها فلا يسافر؛ لأن المحافظة على الدين أهم من المحافظة على غيره⁽⁸⁹⁾. ومن خلال ما مر من الشروط والضوابط نرى أن العلماء حرموا السفر إلى بلاد الكفر لغير حاجة سداً لذريعة الوقوع في المحرمات والمعاصي؛ لأن دول الكفر لا يوجد فيها رادع عن ارتكاب المخطورات، وأن من لا يرى من نفسه قوة على مدافعة الشهوة، وعلم على مدافعة الشبهة فلا يجوز له الذهاب إلى بلاد الكفر حتى وإن كان محتاجاً لذلك سداً لذريعة التوسل بالحاجة إلى الوقوع في المعصية.

المطلب الثالث: تقليد الكفار في الألبسة والعادات والمناسبات:

تقليد الكفار في اللباس والعادات والتقاليد والمناسبات ليس على عمومهم من التحريم بناءً على حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)، بل فيه تفصيل على النحو التالي:

أولاً: تقليدهم في أمور العبادات، كتقليدهم في الأمور الشركية من البناء على القبور، وتشْييد المشاهد عليها والغلو فيها. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"⁽⁹⁰⁾، وأخبر أنهم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه الصور. فهذا النوع متفق على تحريمه، وعدم جوازه.

ثانياً: تقليدهم في الأعياد الشركية والبدعية كأعياد الموالد - كمولد الرسول صلى الله عليه وسلم - والأعياد الوطنية، وعيد العمال، وعيد المعلم، وعيد الأم، وعيد الحب، وأعياد موالد الرؤساء والملوك. وقد تسمى هذه الأعياد البدعية بالأيام أو الأسابيع - كأسبوع المرور العربي، وأسبوع النظافة - وغير ذلك من الأعياد اليومية والأسبوعية، وكلها وافدة على المسلمين من الكفار⁽⁹¹⁾. وهذا النوع جماهير العلماء على تحريمه، وعدم جوازه.

ثالثاً: تقليدهم والتشبه بهم في لباسهم، وحلّاهم، وعاداتهم الخاصة، كأن يركبوا على صفة معينة خاصة بهم، أو يفصلوا الثياب على صفة معينة خاصة بهم. وهذا الراجح فيه التحريم، وعدم الجواز؛ لأنه يشمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم).

رابعاً: تقليدهم والتشبه بهم في ما يصنعونه ويخترعونه مما يمكن أن يستفاد منه. فهذا النوع لا حرج على المسلمين من مشاركتهم فيه، والتشبه بهم، بل ينبغي للمسلمين أن يكونوا السابقين إليه والمبدعين فيه⁽⁹²⁾.

فلو تأملنا في منع العلماء وتحريمهم التشبه بالكفار في الأمور الثلاثة الأولى لوجدنا أن علة المنع هي أن الموافقة في الظاهر تؤدي إلى الموافقة في الباطن؛ لأنه من المعروف نفسياً وثقافياً أن شيوع تقليد الغالب، والتشبه به في لباسه وعاداته وأعياده ولغته يورث تشاكلاً وتناسباً، كما يورث مودّة وموالة بين المتشابهين⁽⁹³⁾. وعليه فعلة المنع هي سد ذريعة الموافقة في الباطن، وهي مقدمة لتسهيل الوقوع في أعمال الكفر.

المطلب الرابع: عدّ أقوال السكران وأفعاله عمداً كالصاحي:

اختلف الأصوليون في عدّ أقوال السكران وأفعاله إذا تناول المسكر عامداً على قولين:

الأول: تصح أقواله وأفعاله زجراً له؛ لأنه مكتسب فيصح طلاقه وعتاقه والبيع والشراء والإقرار وتزويج الصغير والصغيرة والإقراض والاستقراض والهبة والصدقة⁽⁹⁴⁾، ومثله أفعال القتل والزنا والاعتداء، فإن قيل: فكيف يقع طلاق السكران عند من يجوز؟ قيل: ذلك على جهة التغليظ، وعقاباً له على سكره؛ إذ كان هو الذي جنى على نفسه باختياره بعد شرط التكليف وهو العقل، وهو قول الجمهور⁽⁹⁵⁾، الثاني: أن أفعاله غير معتبرة؛ لأن السكر عذر شرعي معتبر بمنزلة النائم، وهو قول أهل الظاهر⁽⁹⁶⁾. والراجح هو القول الأول سداً لذريعة التوصل بالسكر إلى القتل والزنا والاعتداء على الآخرين، وكذلك العبث بأحكام الشريعة. إذاً فالقول باعتبار أقواله وأفعاله هو القول المحقق لمقاصد التشريع، وبالتالي فهو القول الذي ينبغي أن يفتى به، وعليه فهو القول الذي أثار في صحة الفتوى.

الخاتمة:

من خلال استعراضنا لكلام العلماء والأصوليين وأقوالهم فيما يتعلق بأثر سد الذرائع في تحقيق أمن المجتمع خلصنا إلى النتائج الآتية:

الأولى: أن (سد الذرائع) وإن كان مصدرًا تشريعيًا مختلفًا فيه بين الأصوليين من الجانب النظري فإنهم في الجانب العملي شبه متفقين على حجته وعدّه مصدرًا أصيلًا من مصادر التشريع.

الثانية: أن بعض الأمثلة الواردة في المبحث الثاني كإعادة بناء البيت على قواعد إبراهيم عليه السلام وعدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين، بنيت فيها الفتوى والقول الفقهي على سد الذريعة من أجل تحقيق المقصد الشرعي.

الثالثة: بعض الأمثلة مما فيها قولان أو مذهبان فقهيان أو أكثر إنما كان القول أو المذهب الراجح فيها هو القول أو المذهب المبني على سد الذرائع؛ لأنه هو الأكثر تحقيقًا للمقصد الشرعي من غيره.

الرابعة: إن سد الذرائع قد أثرت في الفتوى إيجابًا وصحة وتحقيقًا للمقصد الشرعي.

التوصيات:

1- العناية بالفتوى بناء على سد الذرائع؛ كونه أكثر تحقيقًا للمقصد الشرعي.

2- العناية بسد الذرائع وفق المقاصد الشرعية الكبرى، ثم التي تليها.

3- المواءمة بين سد الذرائع والنصوص الشرعية في الفتوى قدر الإمكان.

الهوامش:

- (1) أصول الفقه وأثره في صحة الفتوى ص 119، عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، دار ابن الجوزي، ط:1، 1434هـ.
- (2) أصول الفقه وأثره في صحة الفتوى ص 121. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس.
- (3) لسان العرب مادة (ذرع). محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط:3 - 1414 هـ.
- (4) شرح تنقيح الفصول ص 449.
- (5) أثر الأدلة المختلف فيها ص 566، مصطفى ديب البغا، دار القلم - دمشق ط:5، 1434هـ 2013م.
- (6) الموافقات (4/198-200).
- (7) الجامع لأحكام القرآن (2/57،58).
- (8) الإشراف على مسائل الخلاف (1/275).
- (9) كتاب الإشارات في الأصول المالكية ص 113، ابراهيم بن محمد حسن الخراساني، الكاخي الاصفهاني في حاشية الوسي على الورقات.
- (10) لسان العرب مادة (سد)، مختار الصحاح مادة (سد).
- (11) الفروق للقرافي (2/32)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب.
- (12) إحكام الفصول في أحكام الوصول للباجي (ص 569)، الفروق للقرافي (2/59)، تبصرة الحكام في مناهج الأقضية والأحكام لابن فرحون (2/296). الموافقات للشاطبي (4/198)، شرح مختصر الروضة (3/214). الفتاوى الكبرى (3/256). إعلام الموقعين (3/208). المغني لابن قدامة (6/261).
- (13) إحكام الفصول (ص 568)، الإحكام في أصول الأحكام (6/189-190) أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: 631هـ).
- (14) إعلام الموقعين (3/110)، الموافقات (5/185).
- (15) الجامع لأحكام القرآن (2/40).
- (16) إعلام الموقعين (2/108).
- (17) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (2/150).
- (18) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها.
- (19) بيان الدليل (ص 286).
- (20) أخرجه البخاري، باب لا تنكح المرأة على عمتها.
- (21) إعلام الموقعين (3/112).
- (22) الوجيز في أصول الفقه (ص 248 د/ عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة).
- (23) المصدر نفسه.
- (24) المصدر نفسه.
- (25) سد الذرائع في الشريعة الإسلامية (ص 675، محمد هشام البرهاني، دار الفكر دمشق).
- (26) الأم (7/419) الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، 1410هـ / 1990م.
- (27) الأم (7/421).

- 28) الإحكام في أصول الأحكام (188/6).
- 29) أخرجه البخاري كتاب الوضوء باب من لا يتوضأ من الشك، وأخرجه مسلم كتاب الحيض باب من يتقن الطهارة.
- 30) الإحكام في أصول الأحكام (188/6).
- 31) المرجع السابق (189/6).
- 32) لسان العرب مادة (فتا)، (145/15)، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر - بيروت، ط: 1.
- 33) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (100/2).
- 34) الموسوعة الفقهية الكويتية (283/33)، شرح المنتهى (456/3)، مسؤولية الفتوى الشرعية وضوابطها (3/1)، فؤاد محمد عبد الباقي.
- 35) أدب المفتي والمستفتي (40/1)، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي أبو عمرو، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب - بيروت، ط: 1، 1407هـ.
- 36) الفروق للقراقي (53/4).
- 37) الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها ص445، محمد يسري إبراهيم، الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها ص232، د. عبد الرحمن الدخيل.
- 38) ينظر مناهج الفتوى وضوابطها في القضايا المعاصرة، 698، (بحث محكم)، د. مراد محمود محمود حيدر، أستاذ الفقه المقارن المشارك في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة.
- 39) ضوابط الفتوى من الناحية الفقهية والسياسة الشرعية ص325، عنود بنت محمد الخضير.
- 40) ضوابط الفتوى في القضايا المعاصرة، محمد العواودة (موقع الملتقى الفقهي).
- 41) رواه أحمد في المسند حديث رقم 19049، (395/31)، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (توفي: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ. ورواه ابن ماجه برقم 3110، (291/4)، ابن ماجه - وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (توفي: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430هـ.
- 42) رواه البخاري برقم 1509، (574/2)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط: 3، 1407هـ. ورواه مسلم برقم 1333، (97/4) باب نقض الكعبة وبنائها، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 43) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة (7126/8)، فتاوى من مركز الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.net بإشراف د. عبد الله الفقيه.
- 44) أخرجه البخاري في صحيح برقم 4624، (1863/4)، ومسلم برقم 6748، (19/8).
- 45) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (231/15) و(89/16)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 46) إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام (31/5).
- 47) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (117/1).
- 48) حاشية ابن عابدين (368/6).
- 49) المغني لابن قدامة (98/3).
- 50) المجموع للنووي (311/8).
- 51) المصدر السابق (311/8).
- 52) مواهب الجليل (521/2)، الفواكه الدواني (237/2).

- 53) المجموع للنووي (311/8)، نهاية المحتاج (250/3)
- 54) مواهب الجليل (524/2)
- 55) رواه البخاري في كتاب الجمعة برقم 1086، ومسلم كتاب الحج برقم 1338.
- 56) رواه البخاري في كتاب الحج (1864) واللفظ له، ومسلم في كتاب الحج برقم (728)
- 57) رواه البخاري في كتاب الجمعة برقم (1088)، و مسلم في كتاب الحج برقم (1339)
- 58) رواه البخاري في كتاب المناقب برقم (3595)
- 59) تبين الحقائق 5/2
- 60) المجموع (311/8)، تبين الحقائق (5/2)
- 61) المغني (98/3)
- 62) شرح صحيح مسلم (105-104/9)
- 63) فتاوى موقع الألوكة ص1، مجموعة من العلماء، <http://www.alukah.net>، حتى آخر شهر صفر من عام 1429هـ
- 64) تفسير القرطبي (168/5).
- 65) تفسير ابن كثير (292/2).
- 66) رواه البخاري برقم 4163.
- 67) نيل الأوطار (304/8).
- 68) الأحكام السلطانية (ص46).
- 69) الفصل في الملل والأهواء والنحل (129/4)..
- 70) الموسوعة الفقهية الكويتية (269/21)، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.
- 71) ينظر فتاوى الإسلام سؤال وجواب (1765/1)، بإشراف: الشيخ محمد صالح المنجد، www.islam-qa.com، ملتقى أهل الحديث، www.ahlalhdeth.com.
- 72) السنة لابن أبي عاصم (492/2) حديث رقم 1026، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان برقم 4543.
- 73) كنز العمال (104/1) برقم 468.
- 74) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم 1718.
- 75) أخرجه البخاري في صحيحه برقم 664.
- 76) كنز العمال (778/5) برقم 14358.
- 77) صحيح البخاري حديث رقم 7055 وصحيح مسلم حديث رقم 1709.
- 78) صحيح مسلم باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.
- 79) فتح الباري (122/13).
- 80) ينظر: قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور ص22، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1417هـ.
- 81) شرح النووي على صحيح مسلم (225/12).
- 82) شرح النووي على صحيح مسلم (239/12).

- 83) حقيقة الجهاد في سبيل الله وحرمة الخروج على حكام المسلمين ص9، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مطابع الرشد، ط:1.
- 84) المنتقى (5/18)
- 85) الخلاصة في فقه الأقليات (5/1)، علي بن نايف الشحود.
- 86) ينظر الدرر السنية في الأجابة النجدية (313/8)، إعداد مجموعة من علماء نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط:6.
- 87) مرجع سابق (335/8).
- 88) عيون الرسائل وأجوبة على المسائل (292/1).
- 89) فتاوى الإسلام سؤال وجواب (93/1).
- 90) رواه البخاري برقم 425، ومسلم برقم 531.
- 91) ينظر فتاوى الإسلام سؤال وجواب (4444/1)، إشراف: الشيخ محمد صالح المنجد، ملتقى أهل الحديث.
- 92) مصدر سابق.
- 93) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية (9/1).
- 94) فصول البدائع في أصول الشرائع (345/1)، محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري (أو الفَنَرِي) الرومي (توفي: 834هـ)، حقق: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط:1، 2006م - 1427هـ.
- 95) الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفي (51/1)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (توفي: 595هـ)، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1994م. علم أصول الفقه (135/1)، عبد الوهاب خلاف (المتوفى: 1375هـ)، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).
- 96) ينظر فتح القدير للكمال ابن الهمام (99/10)، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: 861هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ. والوجيز في أصول الفقه لعبد الكريم زيدان (130/1).

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) أثر الأدلة المختلف فيها، مصطفى ديب البغا، دار القلم - دمشق ط: 5، 1434هـ 2013م.
- 2) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (توفي: 450هـ)، دار الحديث - القاهرة.
- 3) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (توفي: 702هـ)، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1426هـ - 2005م.
- 4) إحكام الفصول في أحكام الوصول للباجي.
- 5) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (توفي: 631هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- 6) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، 1409 - 1989.
- 7) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

- (8) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (توفي: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002م.
- (9) إعلام الموقعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (توفي: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411هـ - 1991م.
- (10) الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (توفي: 204هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، 1410هـ / 1990م.
- (11) تبصرة الحكام في مناهج الأقضية والأحكام لابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: 1، 1406هـ - 1986م.
- (12) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامي القاهرة، سنة النشر 1313هـ.
- (13) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (توفي: 1420هـ)، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.
- (14) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (توفي: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م.
- (15) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (توفي: 671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1423هـ/2003م.
- (16) حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (توفي: 1252هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.
- (17) حقيقة الجهاد في سبيل الله وحرمة الخروج على حكام المسلمين، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مطابع الرشد، ط: 1.
- (18) الخلاصة في فقه الأقليات، علي بن نايف الشحود.
- (19) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، إعداد مجموعة من علماء نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط: 6.
- (20) الديباج المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى (توفي: 799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- (21) سد الذريعة في الشريعة الإسلامية، محمد هشام البرهاني، دار الفكر - دمشق.
- (22) السلسلة الصحيحة للألباني، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- (23) سنن ابن ماجه، - وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (توفي: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430هـ.
- (24) سنن البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، سنة النشر 1410هـ - 1989م.

- 25) سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ - 1986م.
- 26) السنة لابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني [ت: 287]، حقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400هـ.
- 27) شرح تنقيح الفصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: 1، 1393هـ - 1973م.
- 28) شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن الكرم الطوفي الصرصري، أبو الريح، نجم الدين (توفي: 716هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1407هـ / 1987م.
- 29) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى 1422هـ.
- 30) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (توفي: 354هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.
- 31) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 32) ضوابط الفتوى من الناحية الفقهية والسياسة الشرعية، عنود بنت محمد الخضير.
- 33) ضوابط الفتوى في القضايا المعاصرة، محمد العواودة (موقع الملتقى الفقهي).
- 34) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 35) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (توفي: 728هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1408هـ - 1987م.
- 36) فتاوى موقع الألوكة، مجموعة من العلماء، <http://www.alukah.net>، حتى آخر شهر صفر من عام 1429هـ.
- 37) فتاوى الإسلام سؤال وجواب، بإشراف: الشيخ محمد صالح المنجد، www.islam-qa.com.
- 38) فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، فتاوى من مركز الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية www.islamweb.net بإشراف د. عبدالله الفقيه.
- 39) الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها، د. عبد الرحمن الدخيل.
- 40) الفتوى أهميتها وضوابطها وآثارها، محمد يسري إبراهيم،
- 41) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- 42) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (توفي: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: 1 - 1414هـ.
- 43) الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القراي (توفي: 684هـ)، عالم الكتب.

- (44) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (توفي: 456هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- (45) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي (توفي: 1126هـ)، دار الفكر، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م.
- (46) قاعدة سد الذريعة بين الإعمال والإهمال، صالح بن عبدالله النفيسة، قاض بالمحكمة الكبرى بأبها.
- (47) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (توفي: 728هـ)، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1417هـ.
- كتاب الإشارات في الأصول المالكية، في حاشية الوسي على الورقات، إبراهيم بن محمد حسن الخراساني، الكاخي الاصفهاني في حاشية الوسي على الورقات.
- (48) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (توفي: 975هـ)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت 1989م، الطبعة الخامسة، 1401هـ / 1981م.
- (49) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (توفي: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط: 3 - 1414هـ.
- (50) المجموع شرح المذهب للنووي، دار الفكر.
- (51) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (توفي: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
- (52) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420هـ ، 1999م.
- (53) المغني ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (توفي: 620هـ)، مكتبة القاهرة.
- (54) ملتقى أهل الحديث، www.ahlalhddeeth.com.
- (55) مناهج الفتوى وضوابطها في القضايا المعاصرة، (بحث محكم)، د.مراد محمود محمود حيدر، أستاذ الفقه المقارن المشارك في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة.
- (56) المنهل الصافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (توفي: 874هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (57) المذهب، أبو إسحاق الشيرازي، دار الكتب العلمية.
- (58) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.
- (59) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرُّعيني المالكي (توفي: 954هـ)، دار الفكر، الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت.
- (60) الموسوعة العربية العالمية <http://www.mawsoah.net>

- 61) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، دار الفكر للطباعة، سنة النشر 1404هـ - 1984م.
- 62) نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (توفي: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط: 1، 1413هـ - 1993م.
- 63) الهداية في الفقه الحنفي وشروحها
- 64) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (توفي: 764هـ)، حقق: أحمد الأرناؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م.
- الوجيز في أصول الفقه، د/عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة. مؤسسة الرسالة، ط/7، 1421هـ.

Consequences of Prohibition of Evasive Legal Leverages on formal and Legal Opinion

Dr: Sadiq Mohammed Al abyadh

Abstract:

This research attempts to clarify the effect pretext expedient on the Formal and legal opinion (Fatawa). One of the chapters, deals with the real meaning of the pretext expedient through the Arabic language and through the Islamic religion. Then it expedient the proof of pretext expedient on the Formal and legal opinion (fatawa) to lead to a source of set legal rules for that. And also discusses the opposite of this opinion. This research defines the Fatwa through language and religion then it explains the rules of Fatwa . In the other chapter, it discusses the effect of Formal and legal opinion (Fatwa) which fulfill the religious aim through clarifying the results of rebuild the (kabaa) based of Abraham's pillars. Another examples was that Prophet Mohmmmed was not killed by hypocrites, and the effects of women's travelling alone without (Mahram). Also it deals with benefit of not allowing women from public positions (to be a President or Minister etc). As well as it mentions the revolution against the Imam also it predicts the result of traveling and living in non Islamic countries. And it deals with the rules of imitating Non Muslims in their dresses, customs and occasions. Also it discusses the saying that all the speech and action of the drunk person is as the undrunk person.

الأحكام الفقهية في باب البيع لمستخدمي الهاتف (دراسة مقارنة)

د. عبدالله عبيد سعيد مؤمن
أستاذ الفقه المقارن المساعد بجامعة القرآن والعلوم الإسلامية
حضر موت - المكلا

الملخص:

تستهدف الدراسة فتح آفاق جديدة للفقهاء والباحثين للاستفادة من التقنيات الحديثة، نظرًا للتطور الكبير الذي وقع في وسائل الاتصال، وجريان العمل بها في إبرام العقود؛ لسرعة إنجاز المعاملات المالية وغيرها، فدعت الحاجة وبقوة إلى البحث والتفقه في أحكامها والنظر في مسائلها وإعلام الناس بالحكم الشرعي فيها؛ إذ يعدّ الهاتف من أهم تلك الوسائل في العصر الحديث، وهو آلة معتبرة عرفًا وشرعًا، فما يقع به من بيع وشراء داخل ضمن البيع الشرعي؛ لأن القاعدة الأساسية في العقود هي الرضا بين الطرفين، والتعبير عن ذلك الرضا وإظهاره بأية وسيلة مفهومة، ويكون خيار المجلس فيه ما دام المتكلمان في أثناء المكالمة فيحقق لكل واحد من المتبايعين الرجوع عن العقد أو إمضاؤه ويرجع في ذلك للعرف.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، حمدًا يوازي نعمته علينا بالإسلام إذ أنزل إلينا خير كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله وشرع لنا أفضل شرائع دينه، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على خير البرية، وآله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فالإسلام هو دين الله الخالد، فيه الهدى والنور لمتاهات البشرية الحائرة اليوم، وهو دين الحق الذي لا يقبل الله من الخلق دينًا سواه.

ولما كان الإسلام بهذه المثابة فإن شرائعه العظيمة، وأحكامه المتزنة، جاءت شاملة كاملة ملبية لحاجات البشر كلها؛ إذ نظمت أمور الحياة كافة في المعاش والمعاد في العاجل والآجل، فلا تخلو واقعة في الحياة إلا وفيها حكم الله تعالى، عرفه من عرفه وجهله من جهله.

والشريعة الإسلامية هي خاتمة الرسالات، وهي الدين الذي أكمله الله وارتضاه لنا، وصاحب الشريعة محمد - ﷺ - هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد كان من ضرورة ذلك اتصاف هذه الرسالة بخصائص من الشمول والبقاء والمعاصرة في ظل ثوابت محكمة تجعلها صالحة للتطبيق واستيعاب ما يستجد في ميادين الحياة على مر الأزمان وتبدل الأحوال، فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى.

ومن المسائل النازلة على الأمة التلفون أو الهاتف، وهي من أكثر التقنيات انتشارًا في العالم حسبما نقل عن شركة الاتصالات أريكسون في - صحيفة نأ نيوز الفرنسية - أن عدد مستخدمي التلفون المحمولة في

العالم بلغ خمسة مليارات، مع زيادة الطلب، مشيرة إلى أن سوق الهواتف الجواله تضاعفت في السنوات العشر الأخيرة، سبع مرات تقريباً.

وفي عالمنا الإسلامي لا يكاد بيت يخلو منها، فدعت الحاجة وبقوة إلى التفقه في الدين فيما يتعلق بهذه النازلة، والنظر في مسائلها وإعلام الناس بالحكم الشرعي في مختلف مسائل هذه القضية، ولذا أحبت في بحثي هذا أن أقدم ما استطعت جمعه في ما يخص الهواتف بأنواعها؛ المحمول والثابت والنقال، فأصبح لزاماً على كل مسلم ومسلمة حامل للجوال أن يتعرف على أحكامه ويتأدب بآدابه.

أسأل الله أن ينفع به ويكتب لي الآجر آمين.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تعامل بعض الناس اليوم مع مسألة البيع والشراء بالهاتف على طريقتين، فقائل بالإباحة مطلقاً لأن الأصل في المعاملات الإباحة، أو قائل بالمنع سداً للذرائع والأخذ بالأحوط، ولا بديل فتتعطل مصالح الناس، وما جاءت الشريعة إلا لمراعاة مصالح الناس وحاجاتهم؟

وبما أن الشريعة الإسلامية لا تقف عاجزة أمام ما ينفع الناس في أمر دنياهم، فيتوجب على طلاب العلم وأهل الاختصاص البيان والتوضيح بما يفيض الله عليهم.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا الموضوع في جوانب عدة، منها ما يأتي:

- 1) يعدّ الهاتف من أهم وسائل الاتصال في هذا العصر، ولا سيما أنه يتطور مع التقدم التقني.
- 2) موضوع البحث جديد وحيوي، فهو من المواضيع المهمة الحديثة التي تستحق البحث والدراسة.
- 3) علاقة البحث بتقنية شائعة وهي الهاتف؛ إذ انتشر بنوعيه الثابت والمحمول في سائر البيوت، ومع عامة الناس رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً.
- 4) إن الهاتف أصبح وسيلة مهمة لإجراء العقود المالية، وأثره واضح في كل المجالات التجارية المهمة.

الدراسات السابقة:

قمت باستقصاء الدراسات في موضوع البحث فلم أجد من كتب في هذا الموضوع حسب علمي وإطلاعي على من كتب فيه بحثاً مستقلاً أو دراسة مستفيضة وبالطريقة التي جاء بها هذا البحث، سوى بحث حول حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، منشورة في مجلة مجمع الفقه الإسلامي السعودي، العدد السادس، للأستاذة الأفاضل: محمد الفرفور، ود. إبراهيم فاضل الدبو، ود. وهبة الزحيلي، ود. علي القره داغي، وكذا رسالة ماجستير موسوم بالبيع والشراء عبر تقنيات الهاتف المحمول من منظور الشريعة، للباحث عبدالرحمن بن ناصر السقاف، محال للدراسات، ماليزيا.

ومؤلف في عقد البيع والإجارة ونحوهما على الهاتف والانترنت، د. سلمى بنت محمد هوساوي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، وأحكام عقد البيع الإلكتروني، عبدالرحمن أحمد مساعد جامعة النيل الأبيض.

أما الأبحاث عن العقود الإلكترونية فهي متناثرة.

خطة البحث.

قسمت هذا البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد، فقد خصصته لبيان أهمية هذا البحث، وبيان مشكلته.

وأما المباحث فهي كما يأتي:

المبحث الأول: مدخل في تعريف البيع والهاتف.

المبحث الثاني: البيع والشراء عبر الهاتف مكاملة.

المبحث الثالث: مجلس العقد وخياراته في التعاقد بالهاتف.

المبحث الرابع: البيع عن طريق الهاتف كتابة ومراسلة.

المبحث الخامس: حكم تبديل هاتف قديم بهاتف جديد.

المبحث الأول: مدخل في تعريف البيع والهاتف:

أولاً: تعريف البيع:

فالباع لغة ضد الشراء، وهما من أسماء الأضداد؛ إذ يطلق أحدهما على الآخر قال الله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَكَمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾⁽¹⁾ أي باعوه⁽²⁾.

واشتقاق البيع من الباع؛ لأن كل واحد من المتعاقدين كان يبيع - أي يمدّ باعه - صاحبه عند البيع، لذا سمي البيع صفقة⁽³⁾.

البيع في اصطلاح الفقهاء:

هو مبادلة شيء مرغوب فيه بمثله على وجه مخصوص⁽⁴⁾، أي: بالإيجاب والقبول أو بالتعاطي، واحتُرز بقيد (مرغوب فيه) عما لا يُرغب فيه شرعاً ولا عرفاً، كالميتة والأصنام، أو هو - أي البيع - مبادلة المال بالمال تمليكاً وتملكاً⁽⁵⁾.

وهو خروج السلعة المبيعة من ملك ودخولها في ملك آخر، فخرج السلعة المبيعة يسمى بيعاً، ودخولها يسمى شراءً⁽⁶⁾.

ثانياً: تعريف الهاتف:

الهاتف في اللغة: بكسر التاء، وهو اسم فاعل من هَتَفَ، أي: الصائح، والجمع هواتف، والهاتف والهتاف، هو الصوت الجاني العالي، وسمعت هاتفاً يهتف إذا كنت سمعت صوتاً ولا تبصر أحداً⁽⁷⁾، ومنه أخذ اسم الهاتف للتلفون⁽⁸⁾، والهاتف: (الصوت يسمع دون أن يرى صاحبه)⁽⁹⁾.

وجاء في المعجم الوسيط الهاتف بمعنى: (الصوت يسمع دون أن يرى الشخص الصائح)⁽¹⁰⁾.

الهاتف في الاصطلاح الحديث:

لقد عرف الهاتف حديثًا بتعاريف عدة وذلك حسب أنواعه، منها ما هو تعريف عام يشمل كل الهواتف، ومنها ما هو تعريف خاص بنوع معين.

ففي معجم لغة الفقهاء: هو (آلة تنقل الأصوات إلى بعيد)⁽¹¹⁾.

وجاء في (العلاقات العامة) الهاتف هو ما (ينقل الصوت مباشرة مما يسهل عملية الاتصال)⁽¹²⁾.

وجاء في المعجم الوسيط: (التلفون: الهاتف، وهو جهاز كهربائي ينقل الأصوات من مكان إلى مكان)⁽¹³⁾، وهذا التعريف خاص بالهاتف الذي يعمل بالكهرباء سابقًا.

المبحث الثاني: البيع والشراء عبر الهاتف مكالمة:

من المعلوم أن الهاتف ينقل كلام المتحدثين بدقه ووضوح، فكل منهما يسمع كلام الآخر، بل استطاع العلم الحديث اليوم والتطور التقني من إيجاد أجهزة تنقل الصوت والصورة معًا.

فإذا تم عقد ما من خلال الهاتف ونقلت الصورة والصوت معًا، وتم فيه الإيجاب والقبول - مع بقية الشروط المطلوبة في البيع الشرعي - فينقصد البيع صحيحًا.

أما في حالة عدم رؤية أحد المتبايعين للطرف الآخر فيكون العقد بالهاتف كالعقد بين شخصين بعيدين لا يرى أحدهما الآخر، ولكنه يسمعه، ففيها تفصيل، وبيان على النحو الآتي:

أولاً: إن الأصل في العقود التراضي وهو الركن الأساس في عقد البيع، وأمر الرضى باطني خفي لا يُعلم، فقرر على ذلك علامة وهي الإيجاب والقبول، ولا يختص الإيجاب والقبول في عقد البيع بالألفاظ مخصوصة، فكل ما دل على الرضا فهو كاف في انعقاد العقد، وكذا الفعل إذا احتفت به قرائن دالة على الرضا بالعقد كان كافيًا في انعقاده، وإن خالف في هذا فقهاء الشافعية إذ اشتراطوا أن يقع العقد بالألفاظ الصريحة أو الكناية، بالإيجاب والقبول، فلا يصح بيع المعاطاة، سواء أكان المبيع نفيسًا أم حقيرًا؛ ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : قال رسول الله - ﷺ - : «لا يفتَرَقْ اثنان إلا عَنْ تراضٍ»⁽¹⁴⁾ والرضا أمر خفي، فاعتبر ما يدل عليه من اللفظ⁽¹⁵⁾.

ثانيًا: بما أن القول هو الأساس في التعبير عن الرضا؛ وصار القول اليوم لا يفي بالعقود، تنوعت وتعددت أساليبها وأشكالها وخاصة مع هذا التطور الذي نعيشه، وهو إجراء عقد البيع عبر وسائط إلكترونية يتيسر في بعضها النقل بالصوت أو الصورة أو كلاهما، ولا يتيسر في بعضها الآخر.

فقال الحنفية⁽¹⁶⁾ والمالكية⁽¹⁷⁾ والحنابلة⁽¹⁸⁾ في الأرحح: يصح بيع المعاطاة متى كان هذا معتادًا دالًا على الرضا ومعبرًا عن إرادة كل من المتعاقدين، فالبيع يصح بكل ما يدل على الرضا، ولأن الناس يتبايعون في أسواقهم بالمعاطاة في كل عصر ولم ينقل إنكاره عن أحد، فكان ذلك إجماعًا، فالقرينة كافية هنا في الدلالة على الرضا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((تعتقد بكل ما دل على مقصودها من قول أو فعل، فكل ما عدّه الناس بيعًا وإجازةً فهو بيع وإجازة؛ وإن اختلف اصطلاح الناس في الألفاظ والأفعال انعقد العقد عند كل قوم بما يفهمونه من الصيغ والأفعال وليس لذلك حد مستمر؛ لا في شرع ولا في لغة، بل يتنوع بتنوع اصطلاح الناس كما تنوع لغاتهم))⁽¹⁹⁾.

وما الهاتف إلا وسيلة لتوصيل الصوت فحسب، والقاعدة الأساسية في العقود هي تحقق الرضا للطرفين والتعبير عنه، وإظهاره بأية وسيلة مفهومة.

قال الإمام النووي رحمه الله: ((لو تناديا وهما متباعدان وتبايعا صح البيع بلا خلاف))⁽²⁰⁾.

والخلاصة: أن اللفظ - كما يقول الشاطبي رحمه الله : ((إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود))⁽²¹⁾.

والهاتف آلة معتبرة عرفًا لتوصيل تلك الوسيلة - اللفظ - إلى سماع الآخر، فيكون مقبولاً شرعاً⁽²²⁾.

المبحث الثالث: مجلس العقد وخياراته في التعاقد بالهاتف:

مجلس العقد في التعاقد بالهاتف حكمي؛ إذ لا يوجد في الواقع اتحاد حقيقي لمجلس التعاقد، فيكون مجلس العقد قائماً ما دام المتحدثان متصلين، ولم يغلق أحدهما الهاتف حتى ولو تحدثا بعد العقد في أمور أخرى طالت أم قصرت، فحق الفسخ قائم بينهما؛ إذ بإمكان كل منهما أن يفسخ العقد ما دام الحديث موصولاً بالهاتف، أما بعد قطع الاتصال، بعد تمام الإيجاب والقبول - مع بقية الشروط - فإن حق الفسخ قد انتهى؛ إذ حصل التفارق، لأن تعاقد الهاتف ليس كالتعاقد بين الحاضرين، ولا كالتعاقد بين الغائبين، بل له شبه بكل واحد منهما، وهذا بخلاف العقد التقليدي الذي تجري فيه المساومات والمفاوضات ثم التعاقد بين طرفين موجودين، مثل التعاقد بين الحاضرين من ناحية أن أحدهما يسمع الآخر مباشرة، ولا تنقضي فترة زمنية بين صدور التعبير عن الإرادة إيجاباً وقبولاً، ووصوله إلى علم الآخر، فيعتبر العقد بينهما من حيث زمن انعقاده كما لو كان بين حاضرين، ولكنه في الجانب الآخر يشبه العقد بين غائبين؛ إذ إن مكان كل واحد من المتعاقدين بالهاتف مختلف عن الآخر تفصل بينهما مسافة أو مسافات شاسعة، فلا ينبغي أن يعامل معاملة العقد بين الحاضرين، بل يحكم بأن المجلس ينتهي بانتهاء التحدث بالهاتف⁽²³⁾.

وللحنفية كلام رائع في بيان مجلس العقد، جاء في المادة رقم (١٨١) من مجلة الأحكام العدلية: ((مجلس البيع هو الاجتماع الواقع لعقد البيع، والمراد بالاجتماع محل الاجتماع، فالمجلس لا يراد به اسم مكان بل مصدر ميمي فيكون معنى مجلس البيع الجلوس لأجل البيع))⁽²⁴⁾.

قال الحصكفي رحمه الله تعالى: ((ولو قال بعته فبلغه يا فلان فبلغه غيره جاز))⁽²⁵⁾، وهذا يدل على انعقاد العقد بين غائبين إن كان ثمة وسيلة لإيصال الإيجاب، والهاتف إحدى تلك الوسائل.

ولابد في عقد البيع والشراء بالهاتف من مراعاة الأمور الآتية:

أولاً: الأصل انعقاد البيع إذا ادعى أحدهما أن الصوت صوته، فإذا أنكر فعليه إثبات ذلك من خلال الأدلة التي تقنع القضاء الذي هو الفصل في الحكم⁽²⁶⁾، لأنه المدعي «والبينة على المدعي واليمين على من أنكر»⁽²⁷⁾.

ثانياً: لا يجوز أن يكون المعقود عليهما ربويين متفقين في العلة، وذلك لاشتراط التقابض وعدم جواز بيع النسيئة، والاتصال عبر الهاتف لا يمكن للمتعاقدين التقابض في مجلس العقد إلا بأحد أمرين:

الأول: أن يكون العاقدان كل واحد منهما عند صاحبه أثناء الاتصال.

الثاني: أن يوجد لكل واحد منهما وكيل في الطرف الآخر يتسلم المعقود عليه حالاً⁽²⁸⁾.

ثالثاً: إن خيار المجلس ينتهي عند من يقول به وهم الشافعية⁽²⁹⁾ والحنابلة⁽³⁰⁾ بإغلاق كل واحد منهما هاتفه ويرجع في ذلك للعرف، قال ابن قدامة رحمه الله: ((والمرجع في التفرق إلى عرف الناس وعاداتهم فيما يعدونه تفرقاً))⁽³¹⁾، وما دام المتكلمان أثناء المكالمة فيحقق لكل واحد منهما الرجوع عن العقد، ولا يقال إن المجلس ينتهي بتفرق كل من مجلسه الذي يتصل فيه؛ لأن ذلك يؤدي إلى عدم استقرار العقد لعدم اطلاع كل على صاحبه⁽³²⁾.

ويرجح الدكتور وهبة الزحيلي أن انتهاء مجلس العقد يكون بانتهاء الحديث وقطع المكالمة فقال: ((مجلس العقد باق مادام العاقدان يتحدثان في العقد، فإذا تحدثا حديثاً آخر انتهى المجلس))⁽³³⁾.

المبحث الرابع: البيع عن طريق الهاتف كتابة ومراسلة:

إجراء البيع عن طريق الهاتف المحمول بالرسائل، وهو أن يرسل البائع رسالة عبر الهاتف إلى المشتري يكتب فيها السعر وما يتعلق بالمبيع من المواصفات، والمشتري من جانبه يقبل بالبيع أو يردده عن طريق الهاتف بالرسالة.

اختلف الفقهاء رحمهم الله تعالى في إبرام العقود عن طريق المكاتبة والمراسلة إلى قولين:

القول الأول: جواز إمضاء عقد البيع عن طريق المكاتبة والمراسلة، واليه ذهب عامة فقهاء المذاهب الأربعة (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة).

قال الكاساني الحنفي: ((والأصل أن أحد الشطرين من أحد العاقدين في باب البيع يتوقف على الآخر في المجلس ولا يتوقف على الشطر الآخر من العاقد فيما وراء المجلس بالإجماع إلا إذا كان عنه قابل أو كان بالرسالة أو الكتابة))⁽³⁴⁾.

وقال الدردير المالكي: ((ينعقد البيع بما يدل على الرضا من قول أو كتابة أو إشارة منهما أو من أحدهما))⁽³⁵⁾.

وقال النووي الشافعي: ((المذهب أنه ينعقد البيع بالمكاتبة لحصول التراضي))⁽³⁶⁾.

وقال البهوتي الحنبلي: ((وإن كان المشتري غائباً عن المجلس فكاتبه البائع أو راسله إني بعثك داري بكذا أو إني بعث فلاناً ونسبه بما يميزه داري بكذا لما بلغه الخبر قبل البيع صح العقد))⁽³⁷⁾.

واستدل مَنْ قال بجواز إمضاء عقد البيع عن طريق المكتابة والمراسلة بالآتي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾⁽³⁸⁾.
وجه الدلالة:

إن الشارع قد قدم الكتابة على الشهادة في آية الدين، وهذا يدل على اعتبار الكتابة من الوسائل المعتمدة في توثيق الدين⁽³⁹⁾.

ثانياً: ما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى»⁽⁴⁰⁾.

وجه الدلالة:

إن النبي - صلى الله عليه وسلم - استخدم الكتابة في خطابه مع الملوك لدعوتهم للإسلام، وكذلك كتابه لعمر بن حزم، وكذلك كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الصدقات، والديات، وسائر الأحكام وغيرها، فإن كانت الكتابة صالحة لنشر الدعوة، فكيف لا تكون صالحة لإنشاء العقود التي هي أقل منزلة من الدعوة⁽⁴¹⁾.

ثالثاً: كل الأحكام الشرعية التكليفية تتعلق بالكلام أو العمل لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله تجاوز عن أمي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»⁽⁴²⁾، والكتابة عمل، فتعلق بها الأحكام⁽⁴³⁾، ومنها إنشاء العقود عن طريق الهاتف.

القول الثاني: عدم جواز التعاقد بالكتابة والمراسلة، إلا للعاجزين عن الكلام، وهو وجه للشافعية⁽⁴⁴⁾، واستدلوا بالآتي:

1. إن وسائل التعبير عن العقود جاءت جميعها بالألفاظ، ولم يشتهر إنشاء العقود بالكتابة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - غير أنها وسيلة ضرورية لا تصلح إلا للعاجز عن النطق.

2. إن الكتابة ليست من وسائل التعبير المعتمدة لأنها تحمل التزوير وإرادة تحسين الخط، وبالتالي لا تثبت بها العقود الكبيرة التي تترتب عليها آثار كبيرة من انتقال الملكية، ومن حل وحرمة وغيرها مما يخالف روح الشريعة الإسلامية⁽⁴⁵⁾.

جاء في المذهب: ((إن كتب إليه وهو غائب أقرضتك هذا، أو كتب إليه بالبيع ففيه وجهان: أحدهما ينعقد لأن الحاجة مع الغيبة داعية إلى الكتابة، والثاني: لا ينعقد لأنه قادر على النطق فلا ينعقد عقده بالكتابة كما لو كتب وهو حاضر، وقول القائل إن الحاجة داعية إلى الكتابة لا يصح لأنه يمكنه أن يوكل مَنْ يعقد العقد بالقول))⁽⁴⁶⁾.

الترجيح:

الذي يبدو هو رجحان قول الجمهور وهو جواز عقد البيع والشراء بالكتابة والمراسلة، وذلك لما فيه من مصلحة الناس والتيسير عليهم.

مع مراعاة الآتي:

الأول: الالتزام بالدقة في الإيجاب والقبول من حيث ضبط الكلمات، واتزان الرسالة، ولا سيما إذا كانت طويلة، لأنها قد تفترق في بعض الأجهزة المرسل إليها إلى أكثر من رسالة.

الثاني: مجلس التعاقد بين الغائبين هو مجلس وصول الرسالة، فالإيجاب في العقد بين الغائبين يظل مستمرًا إلى حين وصولها إلى الشخص الثاني، ويبقى طول بقاءه في مجلس العقد إلا إذا صدر ما يدل على إعراضه عنه⁽⁴⁷⁾، قال الكاساني: ((خطاب الغائب كتابه كأنه حضر بنفسه))⁽⁴⁸⁾.

فيحق للمرسل إليه التروي ما دام في مجلس العقد، أو أعرض عن الرسالة لم يصح قبوله لانفضاض المجلس ثم إذا قبل الموجه إليه في المجلس فقد تم العقد، وإذا قبل المرسل إليه فله حق خيار المجلس ما دام في مجلسه ولم يعرض عن الإيجاب⁽⁴⁹⁾.

ويجدر القول إن مجمع الفقه الإسلامي أصدر قرارًا حول إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة، جاء فيه: ونظرًا إلى التطور الكبير الذي حصل في وسائل الاتصال وجريان العمل بها في إبرام العقود لسرعة إنجاز المعاملات المالية والتصرفات وباستحضار ما تعرض له الفقهاء بشأن إبرام العقود بالخطاب والكتابة والإشارة والرسول، وما تقرر من أن التعاقد بين الحاضرين يشترط فيه اتحاد المجلس - عدا الوصية والإيصاء والوكالة - وتطابق الإيجاب والقبول، وعدم صدور ما يدل على إعراض أحد العاقدين عن التعاقد، والموالاتة بين الإيجاب والقبول بحسب العرف وقرر الآتي:

1- إذا تم التعاقد بين غائبين لا يجمعهما مكان واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينة، ولا يسمع كلامه، وكانت وسيلة الاتصال بينهما الكتابة أو الرسالة أو السفارة (الرسول)، وينطبق ذلك على البرق والتللكس والفاكس وشاشات الحاسب الآلي (الكومبيوتر) ففي هذه الحالة ينعقد العقد عند وصول الإيجاب إلى الموجه إليه وقبوله.

2- إذا تم التعاقد بين طرفين في وقت واحد وهما في مكانين متباعدين، وينطبق هذا على الهاتف واللاسلكي، فإن التعاقد بينهما يعتبر تعاقدًا بين حاضرين وتطبق على هذه الحالة الأحكام الأصلية المقررة لدى الفقهاء المشار إليها.

3- إذا أصدر العارض بهذه الوسائل إيجابًا محدد المدة يكون ملزمًا بالبقاء على إيجابه خلال تلك المدة، وليس له الرجوع عنه.

4- إن القواعد السابقة لا تشمل النكاح لاشتراط الإشهاد فيه، ولا الصرف لاشتراط التقابض، ولا السلم لاشتراط تعجيل رأس المال.

5- ما يتعلق باحتمال التزييف أو التزوير أو الغلط يرجع فيه إلى القواعد العامة للإثبات⁽⁵⁰⁾.

المبحث الخامس: حكم تبديل هاتف قديم بهاتف جديد:

مما تعارف الناس عليه في هذا العصر تبديل جهاز قديم بآخر في معارض بيع الجوالات فينظر في قيمة الجهازين، فإن لم يكن بينهما فرق كان استبدالاً مجرداً عن المال، وإن كان بينهما فرق أعطي صاحب الجهاز الأعلى ذلك الفرق .

فما هو حكم من يبدل جهاز الهاتف القديم بالجديد مع دفع الفرق؟ وهل هذه المعاملة تقع ضمن الربا مع أنّ تبديل جهاز بجهاز من مسألة (بيع جنس بجنسه) غير ربويين؟

وقبل بيان الحكم لابد من بيان يسير عن ربا الفضل وربي النسبة، وهل تلحق صورة تبديل الجوالات بواحد منهما؟

أولاً: ربا الفضل:

تعريف ربا الفضل: هو البيع مع زيادة أحد العوضين عن الآخر في متحد الجنس⁽⁵¹⁾.

قال الكاساني: ((يجوز بيع المدروعات، والمعدودات المتفاوتة واحداً باثنين يداً بيد كبيع ثوب بثوبين، وعبد بعبدين، وشاة بشاتين، ونصل بنصلين، ونحو ذلك بالإجماع لأن العد في العدديات ليس من أوصاف علة الربا فلا يتحقق الربا))⁽⁵²⁾.

وقال ابن قدامة: ((فأما ما لا وزن للصناعة فيه كعمول الحديد والرصاص والنحاس والقطن والكتان والصوف والإبريسم فالمنصوص عن أحمد في الثياب والأكسية أنه لا يجري فيها الربا فإنه قال لا بأس بالثوب بالثوبين والكساء بالكساء ين وهذا قول أكثر أهل العلم ... وهو الصحيح))⁽⁵³⁾. ويبدو مما سبق أن ربا الفضل منتفٍ في استبدال جهاز هاتف بآخر .

ثانياً: ربا النسبة:

ربا النسبة: هو البيع بشرط الأجل ولو قصيراً في أحد العوضين⁽⁵⁴⁾.

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في بيع غير الربويين من جنس واحد إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يحرم النسبة في ذلك وهو مذهب الشافعية⁽⁵⁵⁾ ورواية في مذهب الحنابلة⁽⁵⁶⁾.

واستدلوا بما روي عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله - ﷺ - «أمره أن يجهز جيشاً، فنفتت الإبل، فأمره أن يأخذ في قلاص الصدقة، فكان يأخذ البعير بالبعيرين إلى إبل الصدقة»⁽⁵⁷⁾.

القول الثاني: يحرم النسبة في كل مال بيع بجنسه، وبه قال الحنفية⁽⁵⁸⁾، والرواية الثانية عن الحنابلة⁽⁵⁹⁾ واستدلوا بما روي عن الحسن عن سمره - رضى الله عنه - أن النبي - ﷺ - : «نهي عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة»⁽⁶⁰⁾.

القول الثالث: يحرم النسبة إذا وجد التفاضل ويباح النسبة إذا وجد التماثل وهي رواية عند الحنابلة⁽⁶¹⁾.

والخلاصة: إن هذا النوع من البيع أو الاستبدال جائز ولا ربا فيه على ما تبين في البيان السابق لأنواع الربا؛ لأن الربا لا يجري في بيع جهاز بجهاز؛ لأن الهواتف ليست من الأموال الربوية، ويتم هذا البيع عند كثير من الناس باستبدال الجهاز القديم بآخر أحدث منه ودفع الفرق، فيتم شراء الجهاز الثاني بضمن مكون من الجهاز الأول مضافاً إلى فارق السعيرين.

الهوامش:

- (1) سورة يوسف آية (20).
- (2) ينظر: ولسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (1/ 556) مادة بيع المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية (ص61) مادة بيع.
- (3) ينظر: المغني، تأليف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة (5/6).
- (4) ينظر: التعريفات الفقهية، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان، الطبعة: الأولى (ص27)، والفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخریجها)، تأليف: أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق الطبعة: الرابعة (4/ 344)، والموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، طبع الوزارة (9/ 5).
- (5) ينظر: الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الحصري المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي، المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى (11/7) والمغني لابن قدامة (5/6).
- (6) ينظر: عقد البيع، تأليف: مصطفى أحمد الزرقا، الناشر دار القلم: دمشق، الطبعة الثانية (ص21).
- (7) ينظر: لسان العرب، (9/344).
- (8) ينظر: المنجد في اللغة، تأليف: لويس معلوف، انتشارات إسلام تهران، الطبعة الأولى (ص853).
- (9) معجم لغة الفقهاء، تأليف: أ. د محمد رواس قلعه جي - د. حامد صادق قنبي، دار النفائس بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (ص3).
- (10) المعجم الوسيط، للمؤلفين: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية (971)، مادة (هتف).
- (11) ينظر: معجم لغة الفقهاء: ص (370).
- (12) العلاقات العامة النظرية والتطبيق، تأليف: د. عادل، ود. فائزة العوضي، وأ. ناصر عجیل السودان، الشركة الكويتية العربية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى (ص85).
- (13) المعجم الوسيط (87/1).
- (14) ينظر: سنن أبي داود، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م (5/ 327)، كتاب التجارات، باب خيار المتبايعين، حديث رقم (3458).
- (15) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، الناشر دار الفكر، مكان النشر بيروت (257/1).
- (16) ينظر: بدائع الصنائع للكاساني (134/5).
- (17) ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة (3/ 187).
- (18) ينظر: المغني لابن قدامة (3/ 481).

- (19) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (4/ 6).
- (20) المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر (9/ 181).
- (21) الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللحيمي الغزنائي المالكي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز (2/ 87).
- (22) ينظر: حكم إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، من مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السادسة العدد السادس (ص 698، 699)، حكم إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور إبراهيم فاضل الدبو، من مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدورة السادسة العدد السادس (ص 653).
- (23) ينظر: حكم إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد السادس (ص 704 / 705).
- (24) درر الحكام شرح مجلة الأحكام: علي حيدر، تحقيق: تعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية - بيروت (1/ 132).
- (25) الدر المختار (4/ 512).
- (26) ينظر: إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: د. علي القره داغي، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد 6 (ص 705/704).
- (27) وهو لفظ حديث أخرجه البخاري في صحيحه المسمى الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق (2/ 949)، كتاب (الصلح)، باب (اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود) حديث رقم (2024).
- (28) ينظر: التقاض في الفقه الإسلامي وأثره على البيوع المعاصرة، تأليف: علاء الدين عبد الرازق الجنكو، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى، 1423هـ، (ص 333).
- (29) ينظر: روضة الطالبين للنووي (3/ 433).
- (30) ينظر: المغني لابن قدامة (4/ 23).
- (31) المغني لابن قدامة (4/ 6).
- (32) ينظر: إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد السادس (ص 708).
- (33) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، تأليف: وهبة الزحيلي، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية، 1429هـ، (3/ 244).
- (34) بدائع الصنائع (5/ 137).
- (35) ينظر: الشرح الكبير، تأليف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، الناشر: دار الفكر الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (3/ 2).
- (36) روضة الطالبين (3/ 340).
- (37) كشاف القناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي / مصطفى هلال، الناشر: دار الفكر - بيروت (3/ 148).
- (38) سورة البقرة: آية (282).
- (39) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سميح البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 2003م (3/ 383).
- (40) أخرجه مسلم في صحيحه المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (3/ 1397) كتاب (الجهاد والسير)، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار، حديث رقم (1774).

- (41) ينظر: تحفة الأحوذى: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (414/7).
- (42) أخرجه البخاري في صحيحه (5/ 2020) كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان، حديث رقم (4968).
- (43) ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (408/3).
- (44) ينظر: روضة الطالبين للنووي (3/ 338).
- (45) ينظر: مبدأ الرضا في العقود، تأليف: الدكتور علي محي الدين القره داغي، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية بيروت، ١٤٢٣ هـ (947/2).
- (46) المهذب للشيرازي (302/1).
- (47) ينظر: إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد السادس (ص715).
- (48) بدائع الصنائع (5/ 138).
- (49) ينظر: إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد السادس (ص718).
- (50) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (7/ 5174)، رقم القرار (52 / 6/3) صدر لدى مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية 23 شعبان 1410 هـ الموافق 14 آذار (مارس) 1990م.
- (51) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تأليف: شيخ الإسلام : زكريا الأنصاري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد محمد تامر (2/ 21).
- (52) بدائع الصنائع (5/ 185).
- (53) المغني (4/ 7).
- (54) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (22/ 57).
- (55) ينظر: روضة الطالبين (3/ 378).
- (56) ينظر: المغني (4/ 31).
- (57) أخرجه أبو داود في سننه (5/ 244) كتاب البيوع، باب في الرخصة في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة حديث رقم (3357).
- (58) ينظر: بدائع الصنائع (5/ 187).
- (59) ينظر: المغني (4/ 31).
- (60) أخرجه أبو داود في سننه (5/ 243) كتاب البيوع، باب في الرخصة في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة حديث رقم (3356).
- (61) ينظر: المغني (4/ 31).

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، تأليف: شيخ الإسلام: زكريا الأنصاري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد محمد تامر.
- 2- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، الناشر: دار الحديث – القاهرة.
- 3- تحفة الأحوذى: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 4- التعريفات الفقهية، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطباعة القديمة في باكستان، الطبعة: الأولى).

- 5- التقابض في الفقه الإسلامي وأثره على البيوع المعاصرة، تأليف: علاء الدين عبد الرازق الجنكو، دار النفائس الأردن، الطبعة الأولى، 1423هـ.
- 6- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق.
- 7- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 2003م.
- 8- حكم إجراء العقود بوسائل الاتصال الحديثة: للدكتور علي القره داغي، من مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السادسة العدد السادس.
- 9- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الحِصْنِي المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي، المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
- 10- درر الحكام شرح مجلة الأحكام: تأليف: علي حيدر، تحقيق: تعريب: المحامي فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 11- سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، المحقق: شَعِيب الأَرْنَؤُوط - مُحَمَّد كَامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430هـ - 2009م.
- 12- الشرح الكبير، تأليف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، الناشر: دار الفكر الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي.
- 13- عقد البيع، تأليف: مصطفى أحمد الزرقا، الناشر دار القلم: دمشق، الطبعة الثانية.
- 14- العلاقات العامة النظرية والتطبيق، تأليف: د. عادل ود. فائزة العوضي، وأ. ناصر عجيل السودان، الشركة الكويتية العربية (للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى: 2004م.
- 15- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى.
- 16- الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية تخریجها)، تأليف: أ. د. وهبة بن مصطفى الزُّحَيْلِي، الناشر: دار الفكر - سورّة - دمشق الطبعة: الرَّابِعَة.
- 17- كشف القناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي / مصطفى هلال، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- 18- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- 19- مبدأ الرضا في العقود، تأليف: الدكتور علي محي الدين القره داغي، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية بيروت، 1423هـ.
- 20- المجموع شرح المذهب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر.
- 21- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- 22- المصباح المنير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية.
- 23- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، تأليف :مصطفى السيوطي الرحباني، الناشر المكتب الإسلامي، سنة النشر 1961م، دمشق.
- 24- معجم لغة الفقهاء، تأليف: أ . د محمد رواس قلعه جي - د . حامد صادق قنيبي، دار النفائس بيروت، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م.
- 25- المعجم الوسيط، للمؤلفين: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- 26- المغني، تأليف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، لناشر: مكتبة القاهرة
- 27- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، الناشر دار الفكر، مكان النشر بيروت.
- 28- المنجد في اللغة، تأليف: لويس معلوف، انتشارات إسلام تهران، الطبعة الأولى.
- 29- المهذب في فقه الإمام الشافعي، تأليف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، الناشر: دار الكتب العلمية.
- 30- الموافقات في أصول الفقه، تأليف: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.
- 31- موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، تأليف: وهبة الزحيلي، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية، 1429هـ.
- 32- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

Jurisprudential Rules on Selling by Telephone Users (A Comparative Study)

Dr. Abdullah Obaid Saeed Momen

Abstract:

The study aims to open new prospects for scholars and researchers to take advantage of modern technologies due to the great development of communication and utilizing it for carrying out contracts to accelerate the financial transactions. Therefore, there is a dire need to deeply search and look for its issues and to raise the people awareness of the legal rules. Telephone is considered one of the most important means in the modern era, and it is conventionally and legally a considerable tool as it used for selling and purchasing within the legal marketing. Because the basic rule of contracts is the satisfaction between the parties and expression of this satisfaction and revealing it in an understandable way. Additionally, the gathering's option should be regarded as long as the speakers are still on a phone call. Thus, it is the right of each part either to decline or assign the contract, and this is referred to as the custom.

فن الأرجوزة في الشعر الأندلسي

د. خالد عمر محمد باوزير

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية

كلية الآداب، جامعة حضرموت

الملخص:

يسعى البحث للكشف عن إبداع الأندلسيين في فن الأرجوزة، منطلقاً من مفهوم الرجز الذي هو قسيم القصيد، وينى على وزن الرجز المشطور غالباً، فجاء البحث في ثلاثة مباحث، استهل أولها بالتعريف بالرجز والأرجوزة، وآراء الدارسين والنقاد، مناقشاً اللبس الذي اكتنف صورة الرجز بالقصيد، ثم جاء المبحث الثاني معرفاً بموضوعات فن الأرجوزة من شوق وحنين ومدح ووصف وخمرة وطرده وغير ذلك، وفي المبحث الثالث تناول البناء الفني من صورة فنية وغيرها، والبناء الإيقاعي، فأبرز الأنماط الإيقاعية للأرجوزة وتشكلاتها من الرجز المشطور والمزدوج، والمثلث والمربع، والمجزوء، وكل ذلك بلغ بالأرجوزة الأندلسية مبلغاً شعرياً، نافست فيه القصيد.

وقد سلطنا في بحثنا منهجاً كان الوصف والتحليل الفني والموضوعي أدواته، للوصول إلى غايتنا، وهي الكشف عن فنية هذا الإبداع وشعريته، لاسيما في محاوره الثلاثة أو مقوماته من موضوع شعري، وصورة فنية وإيقاع موسيقي.

المقدمة:

يعد شعر الرجز قسيم القصيد في تناول النقدي القديم، فهما صنوان أو نوعان لجنس الشعر العربي كما يقول أبو العلاء المعري، وكانت النظرة التي سادت أن الرجز دون القصيد، وأن أصحابه في الطبقة التاسعة بحسب تصنيف ابن سلام في طبقاته، بيد أن هذا المنظور قد اختلف مع التطور الفني الذي شهدته فن الرجز في العصر الأموي، الأمر الذي جعل منه منافساً حقيقياً للقصيد، وظهرت فئة أوقفته إبداعها عليه، وهم الرُّجَّاز كالعجاج ورؤبة وأضرابهما.

ولم يغيب هذا الفن عن ساحة الأندلس الإبداعية، فقد وجدنا من الشعراء من رمى بسهم أو أكثر في هذا الإبداع، فعرفت الأرجوزة في الأندلس، ونظم بعض الشعراء كابن زيدون وابن حمديس وابن هانئ وغيرهم أراجيز في موضوعات شعرية مختلفة، كما ازدهر الرجز العلمي في الأندلس، فظهرت الأراجيز التعليمية والتاريخية.

لم تحظ الأرجوزة الأندلسية بدراسة خاصة - حسب علم الباحث - في الوقت الذي نال الرجز الأموي والعباسي اهتماماً من لدن بعض الدارسين، مما جعل الخوض في دراسة فن الأرجوزة في الأندلس أمراً ملحاً ومبرراً. على أن إشكالية هذا البحث تتمثل في كيف يمكن للأرجوزة أن تكون نصّاً شعرياً متمكناً في الشعرية،

وما هي خصائص الأرجوزة الأندلسية، وكيف توهج هذا النص إيقاعياً رغم أن له قالباً وزنياً واحداً وهو بحر الرجز، في الوقت الذي يتمتع القصيد بخيارات وزنية كثيرة من البحور المتعددة؟

ترمي هذه الدراسة إلى التعريف بفن الأرجوزة في الشعر الأندلسي، لاسيما الأرجوزة الفنية التي بلغت في بنائها الفني ولغتها وأسلوبها مبلغاً عالياً، جعل منها نصاً شعرياً حافلاً بألوان الشعرية.

وقد سلكنا في بحثنا منهجاً يكون الوصف والتحليل الفني والموضوعي أدوات، للوصول إلى غايتنا، وهي الكشف عن فنية هذا الإبداع وشعريته، لاسيما في محاوره الثلاثة أو مقوماته من موضوع شعري، وصورة فنية، وإيقاع موسيقي.

ومن ثم، استوى هذا البحث في هيكله على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بمصادره ومراجعته. وتتمثل المباحث في الآتي:

المبحث الأول: في مفهوم الرجز والأرجوزة: وأتناول فيه المعنى اللغوي والاصطلاحي للرجز، واستنتج آراء النقاد والدارسين حول مفهومه، وتسليط الضوء على مكانته ومنزلته، وتطوره فنياً، والنقلة النوعية التي عرفها لاسيما في العصر الأموي، زاحم فيها القصيد، واكتسب خصائص جديدة أهلته لأن يتبوأ مكاناً في ديوان الشعر العربي، كما أقف مناقشاً مسألة اللبس بين مفهوم الرجز فناً شعرياً وبين الرجز وزناً شعرياً، ذلك أن بعض الدارسين عد شعر الرجز كل ما نظم على بحر الرجز، ومن هنا، كان من الوجهة المنهجية ضرورة تحديد مفهوم الرجز والأرجوزة في نهاية هذا المبحث، إضافة إلى التعريف بأنواع الأرجوزة من فنية وعلمية، مع إعطاء لمحة عن الأرجوزة العلمية في الأندلس.

المبحث الثاني: الأرجوزة الأندلسية وموضوعها الشعري: أتناول فيه موضوعات الأرجوزة من شوق وحنين، ومدح، ووصف، وخمريات وغيرها، محللاً مضامينها الموضوعية، ومبيناً كيف أكسب الموضوع الشعري الأرجوزة شعرية، وذلك بمعالجتها موضوع القصيد ومزاجتها إياه عليه.

المبحث الثالث: البناء الفني والإيقاعي للأرجوزة: يمثل هذا المبحث قطب رحى البحث، كونه يكشف عن أبرز مظاهر شعرية الأرجوزة، من حيث نهجها وبنائها الفني؛ فيتناول الباحث بالتحليل الصورة الفنية في الأرجوزة، وأبرز الأنماط الإيقاعية ومكتنزات إيقاعها الموسيقي.

المبحث الأول: في مفهوم الرجز والأرجوزة:

يرتبط الرجز بنشأة الشعر وأوليته ويشكل "أحد أبرز مظاهر الشعرية العربية، وينظر إلى الرجز عادة باعتباره من الأصول الأساسية لإبداعنا الشعري، فقد ربط كثير من الدارسين بينه وبين البدايات الأولى للشعر العربي"⁽¹⁾؛ إذ كان العربي يعمد إلى القول رجزاً في أمور حياته اليومية كالمتح، والحداء، والصيد، والحرب، وترقيص الأطفال، والتلبيات، وأصبح "غناء تصحبه حركة، يتناشده الجماعة والأفراد في أوقات الحماسة، سواء أكان ذلك عند الطواف أو بإزاء القتال أو في ملاعب الفتيات اللواتي يتفاخرن"⁽²⁾، وغير ذلك، بمعنى إن مجالات القول فيه اتسمت بالتلقائية والآنية والارتجال، وفي سياق الحماس ومواقف رفع الصوت، والحركة.

ولعله من هذه الناحية، وجدنا معاني الرجز في المعاجم تدور حول معاني الحركة والاضطراب، والتصويت، وغير ذلك من المعاني التي لها علاقة بالناقة، صديق العربي ووسيلته في الصحراء والقفار. يقول ابن فارس: "الراء والجيم والزاي أصل يدل على اضطراب"⁽³⁾، وابن منظور لا يخرج عن هذا المعنى في قوله: "وأصل الرجز في اللغة تتابع الحركات" وتتابع الحركات ينتج عن اضطراب وقلقلة⁽⁴⁾، ويقول الزبيدي: "وأصل الرجز في اللغة الاضطراب وتتابع الحركات"⁽⁵⁾.

وقد استعملت العرب كلمة "رجز" في كل ما فيه حركة مستمرة متجددة واضطراب، وعدم ثبات على حال واحدة، واستعمالهم هذا يؤيد ما جاء في المعاجم من تعريف معنى الرجز⁽⁶⁾، كما يأتي الرجز أيضًا بمعاني: الضعف، والتحرك البطيء، والتصويت⁽⁷⁾. جاء في اللسان: "الرجز: داء يصيب الإبل في أعجازها، والرجز: أن تضطرب رجل البعير أو فخذه إذا أراد القيام أو ثار ساعة ثم تنبسط. والرجز: ارتعاد يصيب البعير والناقة في أفخاذها ومؤخرتها عند القيام. وقد رجز رجزًا، وهو أرجز، والأنثى رجزاء، وقيل: ناقة رجزاء ضعيفة العجز، إذا نهضت من مبركها لم تستقل إلا بعد نهضتين أو ثلاث"⁽⁸⁾.

ومنه سمي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلة حروفه. والارتجاز: صوت الرعد المتدارك. وارتجز الرعد ارتجازًا إذا سمعت له صوتًا متتابعًا، وترجّز السحاب إذا تحرك تحركًا بطيئًا لكثرة مائه، والمرجّز: اسم فرس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمي بذلك لجهارة صهيله وحسنه⁽⁹⁾.

يعد شعر الرجز نغماً فيه من السهولة والسلاسة، حتى إن النظم فيه ليتأتى للكثير، ومن هنا عُذِّ فنًا شعبيًا، بل كان فن العرب الأول، فقد "كان الرجز ديوان العرب في الجاهلية والإسلام، وكتاب لسانهم وخزانة أنسابهم وأحسابهم، ومعدن فصاحتهم وموطن الغريب من كلامهم، لذلك حرص عليه الأئمة من السلف واعتنوا به حفظًا وتدوينًا"⁽¹⁰⁾، وقد قيل إن الأصمعي كان يحفظ ألف أرجوزة، وقيل مثل ذلك عن أبي تمام وغيره. وقد جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز ضربان المنهوك والمشطور، كما كان صلى الله عليه وسلم يحب سماع الرجز من الشعر⁽¹¹⁾.

كان الرجز في بداية أمره عبارة عن مقطعات بسيطة تجري على ألسنة الناس للتعبير عن مختلف الموضوعات والأغراض، ثم ترقى شيئًا فشيئًا، متجاوزًا مرحلة المقطعات إلى مرحلة الأرجوزة، ويمثل العصر الأموي قمة التطور في شعر الرجز إذ "ارتقى مستواه الفني، وعلا شأنه، وحاول الرجاز إلحاق الأرجوزة بالقصيدة المتميزة في بنائها"⁽¹²⁾، وتتمثل هذه القفزة التي شهدتها الرجز في منافسته للقصيدة كمًّا ونوعًا، وكان تطوره من وجهين اثنين، طوله ومعانيه، فقد أخذ الرجاز يطيلون أراجيزهم، ويصرفون فيها القول، حتى جعلوها كالفصائد، و"صارت الأرجوزة تخوض في موضوعات شتى، واستعارت تقاليد القصيدة نفسها، فانتشرت في دواوين الرجاز الأمويين قصيدة الرجز"⁽¹³⁾.

وكان الأغلب العجلي الرجاز الإسلامي أول من أطال الرجز، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال عنه ابن قتيبة: "وهو أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه

البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر"⁽¹⁴⁾، ثم جاء العجاج فقال أراجيز جاوز عدد أشطارها مائة شطر، وأراجيز طويلة في نحو مائتي شطر، وتلك غاية قصوى لا تكاد تدرك في شعر العرب"⁽¹⁵⁾، ويمثل هو وابنه قمة فيما وصل إليه الرجز من فنية، فقد "بلغت صناعة الرجز على أيدي العجاج وابنه رؤية قمته الفنية، وإحكامها الموسيقي"⁽¹⁶⁾، ولم يقف الأمر عند إطالة القول فيه، بل توسعوا في معانيه وأغراضه أيضًا، وأخذوا ينظمون الأراجيز في المدح والفخر والهجاء، وسائر أغراض الشعر، ويجعلون لها أوائل ونسيئًا، مثلما كان الشعراء يصنعون في قصائدهم سواء⁽¹⁷⁾.

واطردها هذا التطور في العصر العباسي وما بعده؛ إذ سار غير واحد من الشعراء في أراجيزهم على هذا المنوال في التعدد الغرضي والموضوعي كبشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وأبي تمام والبحتري، ومثلهم شعراء القرن الرابع كابن دريد والمتنبي، والشريف الرضي، ومهيار الديلمي⁽¹⁸⁾.

إنا ونحن ندرس شعر الرجز، يجدر بنا أن نشير إلى أمرين، تنبيهًا عليهما، وكشفًا عما ترتب عنهما من أحكام اللبس والغبن والانتقاص في مفهوم الرجز:

أولهما: التخليط بين الرجز الفني والرجز العروضي؛ إذ حدث لبس لدى بعض الدارسين في مفهوم الرجز، ومردده "إلى عدم التمييز بين الرجز باعتباره فنًا من فنون الشعر أو نوعًا من أنواعه، وبين الرجز باعتباره بحرًا من بحور الشعر التي اهتمت إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى علمها من خلال استقراء أشعار العرب"⁽¹⁹⁾، وهنا، يمكننا أن نصنف آراء الدارسين تجاه تحديد مفهوم الرجز الشعري والأرجوزة الفنية على ثلاثة:

الرأي الأول: يقول أربابه بأن شعر الرجز هو كل ما نظم على بحر الرجز مطلقًا، في كل صوره واستعمالاته العروضية، وتسمى قصائده الأراجيز. يقول توفيق البكري: "الرجز بحر من بحور الشعر معروف، وتسمى قصائده الأراجيز، واحدها أرجوزة، ويسمى قائله راجزًا"⁽²⁰⁾، وعلى هذا، فالأرجوزة هي القصيدة المنظومة على بحر الرجز أو "يعرف ما ينظم بهذا البحر (بالأرجوزة)"⁽²¹⁾، وعلى هذا التحديد سار غير واحد من الدارسين⁽²²⁾.

الرأي الثاني: يرى أهله أن الرجز شعر نظم على بحر الرجز من مشطوره، ف "الرجز ضرب من شعر العرب يقال على بحر الرجز من مشطوره"⁽²³⁾، وهذه الصورة كثيرة الاستعمال، "وبها يشتهر بحر الرجز، وهناك من الشعراء فئة تسمى الرجاج لا يكتبون معظم قصائدهم إلا من هذه الصورة، وتسمى القصيدة في هذه الحالة أرجوزة"⁽²⁴⁾، ويقول الطيب: "والغالب على الرجز أن تلتزم القافية في كل شطر منه، ويسمى حينئذٍ مشطورًا، ورأي العلماء أن يعدوا كل شطر من الرجز في هذه الحال بيتًا"⁽²⁵⁾، ويؤكد انفراد هذا النوع الشعري صاحب اللسان، إذ يقول: "والرجز بحر من بحور الشعر معروف، ونوع من أنواعه، يكون كل مصراع منه مفردًا، وتسمى قصائده أراجيز، واحدها أرجوزة... ويسمى قائله راجزًا"⁽²⁶⁾، كما يرى آخر بأنه "نوع من الشعر يكون الشطر فيه هو الوحدة الرئيسية الأساسية في القصيدة، ويقوم هذا الشطر مقام البيت فيسمى (بيتًا)، وهذا ما يعرف في علم العروض ب (الشطر) أو (المشطور)"⁽²⁷⁾.

ولعل في هذا التحديد وعيًا بالمستوى الذي يصبح فيه الرجز فنًا، "وهو أن يأتي على هذه الصورة التي يمثلها أغلب ما وصلنا من أراجيز العرب مما نجده في دواوين أعلام الرجاز، أما إذا استعمل الرجز تائمًا أو مجزوءًا فإن نصوصه لا تصبح داخلية في جملة شعر الرجز، بل تصير جدية بالانتماء إلى شعر القصيد"⁽²⁸⁾.

الرأي الثالث: يذهب فيه أصحابه إلى أن تطورًا حدث في شعر الرجز، فلم تعد الأراجيز على تلك الصورة التقليدية التي عرفت بها في العصر الأموي، وهي صورة الرجز المشطور، ولكن هناك من أراجيز العصر العباسي ما لا يحصيه العد مقصد منظوم على صورة القصيدة ذات الشطرين⁽²⁹⁾. وهو ما يذهب إليه أيضًا إبراهيم أنيس حينما رأى بأن كل الأراجيز في العصر الأموي كانت مصرعة الأبيات، تلتزم القافية الواحدة في كل شطر من أشطر الأرجوزة مهما طالت، ثم بدأ الشعراء في عصور العباسيين ينظمون من الرجز على النحو المعهود في البحور الأخرى، وذلك بأن تنتهي الأبيات لا الأشطر بقافية واحدة، ولا يصرعون إلا البيت الأول، ولكنهم لم يهجروا طريقة الرجاز أيام الأمويين⁽³⁰⁾.

والرأي الثالث يتقاطع في مفهوم الرجز والأرجوزة مع الرأي الأول، في عده كل ما نظم على بحر الرجز من شعر الرجز، مع فارق أن هذا التوسع إنما تم بفعل التطور الذي أصاب فن الرجز في العصور المتأخرة لاسيما العصر العباسي.

ثانيهما: ليس الوزن وحده مقياسًا لعد الشعر رجزًا، وإلا لذهبت الفوارق بين الرجز والقصيد، وهذا الذي نود التنبيه عليه؛ فقد وقفنا على شيء من هذا الخلط في حديث الباحثة الجوهري إذ عدت شعرًا هو بوصف القصيد أولى به من الرجز، وإن جاء على وزن الرجز التام الصحيح، منطلقة من مفهوم أن الرجز ما نظم على بحر الرجز، وكفى، دون تمييز بين ماهيته، أو كينونته. وليس الأمر على إطلاقه، فهي مثلاً ترى أن فخر البحتري بنفسه في قصيدة إنما هو من شعر الرجز لنظمه إياها على وزن الرجز⁽³¹⁾، ونرى أنها من القصيد لا من الرجز، بل البحتري نفسه يصرح بأنها من القصيد، يقول:

إذا كساني الفتح أثواب الغنى فكسوتي إياه مدحٌ منتخبٌ

قصائدٌ يطرب من تُهدى له ولذة النفس من العيش الطرب

...جاءت كدُرٍّ في سماء لؤلؤٍ في جيد خودٍ أو كقيان الذهب

سحرٌ حلالٌ لم أولف عقده إلا لتعلو رتبتي على الرتب

ومثله ما احتجت به من نماذج شعرية هي أدخل للقصيد منها إلى شعر الرجز⁽³²⁾، كما عدت مقصورة ابن دريد من الرجز لكونها جاءت من وزنه التام الصحيح⁽³³⁾، فإن مقصورة حازم القرطاجني أيضًا نظمت على بحر الرجز التام، ومع هذا فإن حازمًا قد نعتها بأنها "قصيدة من الرجز غير مشطورة"⁽³⁴⁾.

وفي الشعر الأندلسي نظمت نصوص شعرية على بحر الرجز التام والمجزوء، هي في نظرنا من القصيد لا من الرجز، كتلك القصيدة الخمرية الحائية لابن حمديس:

أَيُّ نَعِيمٍ فِي الصَّبَا والمَقَرِّحِ وَشُغْلُ كَفَيِّ بَكْوَبٍ وَقَدَحِ
فَلَا تُلْمِنِي إِنِّي مُعْتَنِمٌ مِنْ السُّرُورِ فِي زَمَانِي مَا مَنَحِ⁽³⁵⁾

وله أخرى عينية من الوزن نفسه، يفتتحها بمقدمة طللية، ثم غزلية، ثم يخلص إلى وصف الصحراء، ويصف ذئب الصحراء وصيده، وكأن الشاعر يكي وطنه الذي غادره.

حَتَّى مَتَى بَيْنَ اللَّوَى فَالْأَجْرَجِ لَوْمًا، فَمَا أَمْرَهُ فِي مَسْمَعِي
وَيُحْكُ لَوْ كُنْتَ وَفِيًّا لَمْ تَقُلْ " وَيُحْكُ لَا تَبْكُ بِرِسْمٍ بَلَقِعِ⁽³⁶⁾

ولابن أبي الصلت قصيدة خمرية رائية على الرجز التام⁽³⁷⁾، ولابن الخطيب قصيدة لامية في المواعظ⁽³⁸⁾. ولابن زمرك رجزيات نظمها على الرجز المجزوء، أرى أنها من القصيد أيضًا إلا واحدة فأرجح أنها أرجوزة وإن نعتها جامع الديوان بأنها قصيدة؛ وذلك لنسقها البنائي؛ إذ بناها في جزء كبير منها مصرعة، والتصريح مؤشر على أرجوزية النص، من ناحية، ولأن الوظيفة الإيقاعية من الإنشاد والترنم واضحة جلية في هذه الأرجوزة وهو مؤشر ثانٍ. يقول⁽³⁹⁾:

أَلْبَسْنَا فَاَلْبَسْنَا	ثَوْبَ الرُّضَا وَاعْنَيْتْنَا
هَدَيْتْنَا أَهْلَ دِينِنَا	لَحْظَتْنَا أَخْطَيْتْنَا
نَوَهْتْنَا أَعْنَيْتْنَا	مَنْ غَيْرِ أَنْ عَنَيْتْنَا
وَلَمْ تَكُنْ أَهْمَلْتْنَا	بَلْ لِلْهَدَى أَهْمَلْتْنَا
حَلَيْتْنَا أَحْلَلْتْنَا	أَفْهَقَ السَّنَاءِ وَالسَّنَا
جَمَلْتْنَا حَسَّنْتْنَا	أَحْسَنْتَ بِالْبَدْنِ لَنَا
سَلَّمْتْنَا مَنْ الْعَنَّا	وَلَمْ تَكُنْ أَسَلَّمْتْنَا
... نَشَدُوا بِمَا أَوْلَيْتْنَا	مَنْ الْغَنَّا مِنْكَ الْغَنَى

لقد فرق العرب قديمًا بين الرجز والقصيد، مما ينم عن استشعارهم تميز كل واحد منهما عن الآخر، ولم يكن التمييز بينهما قائمًا فقط على أساس الوزن والمسألة العروضية، وإنما كان المعيار لدى البعض في شعريتهما هو **الجودة**، كما عند يونس بن حبيب الذي ذهب إلى "أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد"⁽⁴⁰⁾. كما فرق الأخفش بين مستويين من الرجز: الرجز التام وعده من القصيد، أما الرجز فهو ما قام على ثلاثة أجزاء⁽⁴¹⁾، وهو هنا الرجز الفني.

ولعل من قبيل التفريق بين الرجز والقصيد وهما من الشعر، ما عمد إليه ابن سلام من جعل الرجز في الطبقة التاسعة⁽⁴²⁾. ومن الشعراء من يجمع بين الفنين، والبعض الآخر من ينفرد بالقصيد دون الرجز، وكذا العكس، كما قال الجاحظ: "وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرجز، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز إلى القصيد، ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجأ وأبي النجم وحيد الأرقط والعماني"⁽⁴³⁾. ومما يؤكد اختلاف الفنين في كينونتهما رغم انتمائهما إلى الشعر قول ابن رشيق: "وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئاً يسيراً، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أتى العجاج بعد فافتن فيه، فالأغلب والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد"⁽⁴⁴⁾، ونقل أيضاً عن أبي عمرو بن العلاء قوله: "ختم الشعر بذي الرمة، والرجز برؤية بن العجاج"⁽⁴⁵⁾.

كما فرق بعض الدارسين المعاصرين بين الرجز والقصيد من حيث الوزن والغرض والاستعمال، فيرى محمد العلمي أن ما يميز الرجز عن القصيد هو السرعة والخفة في الإنشاد على وفق معيارين أحدهما وظيفي، والآخر إيقاعي⁽⁴⁶⁾، وهو يفصل في أن العرب تقسم الشعر على أساس معيارين: "أولهما وظيفي مرده إلى الإنشاد والترنم، وثانيهما إيقاعي... وقد طغى المعيار الأول على الثاني لدرجة أن التفريق بين القصيد والرجز يتكئ على التغني، وهو مفهوم وظيفي، وليست أغراض المتغنى به كأغراض الرجز، وذلك معيار وظيفي آخر"⁽⁴⁷⁾.

وعليه، فثمة "أمور يتميز بها الرجز عن القصيد من حيث: صلته بواقع المنتج، وطبيعة الأداء، والجانب الموسيقي، وطبيعة البناء، والمستوى اللغوي"⁽⁴⁸⁾، ومن تلك المفارقات أيضاً الموضوع الشعري الخاص بالرجز؛ فالرجز تطرق إلى أغراض لم يكن بإمكان القصيد الخوض فيها، كالحدا والمفتح والصيد، إضافة إلى المنظومات التعليمية⁽⁴⁹⁾.

وخلاصة القول، إن الأرجوزة الشعرية هي فن شعري يقابل القصيدة، وتنازع عنها في البناء الإيقاعي والأداء اللغوي، لتحقيق وظائف شعرية وإيقاعية أو تعليمية. وهي تبنى على وزن واحد وهو الرجز، وتكون وحدة بنائها الشطر لا البيت، وتتعدد أنظمة بنائها الإيقاعي ما بين نظام موحد القافية كما في المشطور غالباً، أو المنهوك، أو منوع القافية كالمزدوج وغيره.

أنواع الأرجوزة:

الأرجوزة نوعان: أرجوزة فنية أو شعرية، تحمل من مقومات القصيدة بناء وصورة وموضوعاً شعرياً، كالمدح والغزل والوصف والطرود وغير ذلك، وهو ما سيكون حديثنا عنه في الشعر الأندلسي.

والأرجوزة العلمية: وهي منظومة تأتي غالباً على وزن الرجز المزدوج، تنظم فيها العلوم والمعارف، والتاريخ وغير ذلك، فيما يسمى بالشعر التعليمي "وقد كان الرجز والمزدوج منه في الغالب هو الشكل الذي اعتمد عليه الشعر التعليمي اعتماداً كلياً في القرن الثاني، ولعل أقدم ما وصلنا من هذا الرجز المزدوج، تلك الخطبة التي ألقاها الوليد بن يزيد على منبر المسجد يوم الجمعة"⁽⁵⁰⁾

وأخذ فن الرجز المزدوج في التوسع والانتشار أكثر في العصر العباسي وما بعده، فنظم أبان بن عبد الحميد اللاحقي أرجوزة في الفقه، وأخرى حوّل بها كتاب كليله ودمنة من منشور إلى موزون مقفى، ونظم أبو العتاهية أرجوزته الطويلة المسماة ذات المثال، كما لم ينظموا فيه في النحو والفقه والأمثال فحسب، ولكن في الرياضيات والمنطق وغير ذلك من العلوم، كأرجوزة ابن المعتز الطويلة في أحداث عصره، وأرجوزة ابن عبدربه في تاريخ الأندلس⁽⁵¹⁾.

لم يكن شعراء الأندلس بمعزل عما يستجد في المشرق من قوالب فنية أو شعرية، وهم يفعلون ذلك لا عن تقليد صامت، بقدر ما يسعون إلى الانخراط في مضمار الإبداع الشعري، وتسجيل اسم الأندلس في عالم الشعر العربي مع الاحتفاظ بالخصوصية الأندلسية.

وفن الأرجوزة عرفها الشعر الأندلسي، وكان ممن يذكر من الأوائل في الأندلس من حفظة الأراجيز سعيد بن فرج الرشاش أبو عثمان في المائة الثالثة، فهو من أوائل العلماء الحافظين للغة، العالمين بالشعر، حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة، ضرب به المثل في الفصاحة في الأندلس⁽⁵²⁾.

كما نظموا العلوم والفنون والتاريخ في أراجيزهم العلمية، وسجلت الأرجوزة التاريخية الأندلسية حضوراً، بما نظمته شعراء على قدر من الألمعية كالغزال وابن عبدربه، فالأول نظم أرجوزة مطولة في فتح الأندلس، ذكر فيها السبب في غزوها وتفصيل الوقائع وعداد الأمراء وأسمائهم⁽⁵³⁾. يقول فيها:

أدركتُ في مصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه⁽⁵⁴⁾

ونظم ابن عبدربه أرجوزة تاريخية مزدوجة في مغازي الأمير عبدالرحمن الناصر من سنة (301 - 322هـ)⁽⁵⁵⁾، وصنع تمام بن عامر الثقفي أرجوزة في ذكر افتتاح الأندلس⁽⁵⁶⁾، ولأبي طالب عبد الجبار الأندلسي أرجوزة في أربعمئة وخمسين بيتاً، وهي كما يصفها شوقي ضيف بأنها "رائعة في نسيجها وصياغتها الجزلة الرصينة، ونسقها المحكم في اختيار الألفاظ والقوافي دون تكلف ودون محسنات بدیعة تستر المعاني أو تضيي عليها شيئاً من الإبهام"⁽⁵⁷⁾، ولأبي جعفر أحمد بن علي البنسولي "الأرجوزة المستغربة في وصف دخول النصارى قرطبة"⁽⁵⁸⁾. ومن هنا، كان إحساس هؤلاء الشعراء بالتاريخ الأندلسي، فصنعوا مثل هذه الأراجيز، وهذا يدخل في "الشعور بالأندلسية، ومحاولة تخليد كل ما يتصل بالجزيرة من أخبار وآثار"⁽⁵⁹⁾.

أما الأرجوزة العلمية فقد نظم الشعراء في مختلف العلوم والفنون، من نحو وقافية وعروض، وكذا في اللغة، وفي القراءات والفرائض، فلا ابن عبدربه أرجوزة طويلة في العروض⁽⁶⁰⁾، ولا ابن سيده أرجوزة عارضها غير واحد من الأدباء منهم علي بن محمد بن زنون، وابن حريق⁽⁶¹⁾، وابن عمران ابن المناصف الذي بلغ في أرجوزته الغاية من الاحتفال⁽⁶²⁾، ولا ابن زنون أرجوزة ضمنها أسماء خيل العرب والمشاهير من أهل الإسلام، وأرجوزة ضمنها مناقله رحلة فرحلة من بلنسية إلى سحلماسة⁽⁶³⁾.

كما لابن عمران ابن المناصف أراجيز عدة، منها أرجوزة في قصة مقتل الحسين رضي الله عنه⁽⁶⁴⁾، وله أرجوزة في "قرعة الفال" بديعة، إلى غير ذلك من الأراجيز التي أجاد فيها ودلت على اقتداره وتمكن انطباعه⁽⁶⁵⁾، وله طول نفس في هذه الأراجيز، إذ بلغت ألفي بيت مزدوج، كما قال:

وحين أكملت المراد فكمل
ووفقَّ الله إلى خير العمل
انتهت الأبيات منه عدا
مزدوجات إن بلغت الحدَّ
ألفين في نظامها مرصعه
وإن ترد أفرادها فأربعه⁽⁶⁶⁾

ولالأديب النحوي اللغوي أبي بكر محمد بن محمد بن إدريس ابن مالك الأندلسي المعروف بالقللوسي أرجوزة في الفرائض، وسمها بـ "إثارة المسائل الغوامض من مغلفات مشكل الفرائض"، وله أيضاً أرجوزة حسنة في القوافي⁽⁶⁷⁾. وللشيخ الأديب أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني أرجوزة في الفرائض، وسمها بـ "تبصرة البادي في الفرائض تذكرة الشادي المجيد الفارض"⁽⁶⁸⁾. كما لابن مالك المرحل أرجوزة حسنة مفيدة، نظم فيها من أول كتاب الأدب إلى باب إقامة الهجاء⁽⁶⁹⁾، ولأحمد بن عبدالعزيز بن هشام بن خلف بن غزوان الفهري أراجيز مزدوجة كثيرة، منها في القراءات السبع: مجموعة العروس، وحاسمة دعاوي، وفي النحو أرجوزة الإعراب في مجمل الإعراب "وشرح عليها في أرجوزة وسمها بـ "العنوان"⁽⁷⁰⁾.

المبحث الثاني: الأرجوزة الأندلسية وموضوعها الشعري:

عرف شعراء الأندلس الرجز، على أن فن الرجز كثيراً ما تحاشاه كبار شعراء الأندلس، لنظرهم له بأنه دون شعر القصيد، وإنما يطرقونه للتدليل على مقدرتهم الخوض في أي فن من فنون الشعر وقوالبه، فابن زيدون شاعر الأندلس الكبير إنما نظم الأرجوزة "ليثبت قدرته على كتابة الأنماط الشعرية المختلفة"⁽⁷¹⁾، غير أنه لم يكتب إلا أرجوزة واحدة؛ لأنه ربما رأى أن الأراجيز دون القصيد، ولا تدل على فحولة الشاعر⁽⁷²⁾. ومثل هذه المشاركات القليلة جداً من لدن شعراء الأندلس إذا ما قيسَتْ بأراجيز مشرقية، ربما مرجعها أيضاً إلى ظهور أنماط شعرية أخرى في بيئتهم، تمثل ثورة في عالم الشعر والفن والموسيقى كالמושحات والأزجال، التي استقطبت كثيراً من الشعراء، فأنتجوا نصوصاً كثيرة، وكالمخمصات التي نظم فيها غير واحد من الشعراء⁽⁷³⁾. ومن هنا، يمكن القول إنه لم يظهر اسم لامع في عالم الأرجوزة الفنية أندلسياً، يمكن أن نطلق عليه راجزاً، إلا من باب كونه نظم على بحر الرجز، واحدة أو بعضاً، ولم يصل إلى درجة المكثرين كالعجاج ورؤبة وأشياعهما.

تنوعت موضوعات الأرجوزة الشعرية في الأندلس من المدح والوصف، والحنين، وتأملات في الرحلة إلى الدار الآخرة بما يدخل في الوعظ والزهد، وكذا في الطرد والصيد، إلى غير ذلك، تتناولها الآن بالتفصيل.

1. **الشوق والحنين:** استبد الشوق والحنين بالشاعر ابن زيدون، وهو بمقامه ببطليوس، فحنَّ إلى قرطبة، وأحبَّته فيها ولادة، فأطلق هذه النفثة الشعرية الوجدانية، وحمل هذا البوح أرجوزة بائية، حافلة بالحديث عن الذات الشاعرة، حديثاً ذا شجون، وهو موضوع شعري جلل، يمكن أن يسعه غير بحر الرجز، كالبحر

الطويل، أو الكامل، بيد أن الشاعر ارتضى بحرًا مفردًا، بأيقونته الموسيقية السباعية ذات السببين والوند، في قالب شعري، "يكون الشطر فيه هو الوحدة الرئيسية الأساسية في القصيدة، ويقوم هذا الشطر مقام البيت فيسمى (بيتًا)، وهذا ما يعرف في علم العروض بـ (الشطر) أو (المشطور)"⁽⁷⁴⁾.
تكشفت تجربة الذات الشاعرة ومعاناتها منذ استهلال الأرجوزة، من خلال مخاطبة الدمع أن يأخذ طريقه للأنهمار بغزارة، فلم تعد العين تملك من أمرها شيئًا، وهنا يقتنص الشاعر دألاً بائيًا مشحونًا بالتدفق والانصباب: "صُبْ/ تصوبا"، وهو شأن حق للقلب المكوم بفراق أحبته، ونأيه عنهم، أن يدوبا. لقد بدت لنا الذات الشاعرة ذاتًا منهكة، معذبة، مغرّية، عليلة، يكويها الشوق والحنين:

يا دَمْعُ صُـبْ ما شِئْتُ أَنْ تَصُـوْبَا
ويـا فـؤادي آَنَ أَنْ تـَـذُوبَا
إِذِ الرِّزَايَا أَصْـبَحَتْ ضُـرُوبَا
لَمْ أَرِ لِي فِي أَهْلِهَا ضَـرِيْبَا
قَدْ مَلَأَ الشُّوْقُ الْحِشَا نُـدُوبَا
فِي الْغُرْبِ إِذْ رَحِثْتُ بِهِ غُرِيْبَا
عَلِيْلَ دَهْرٍ سَـامِنِي تَغْـذِيْبَا
أَدْنَى الضَّرَنِ إِذْ أَبْعَدَ الطَّبِيْبَا⁽⁷⁵⁾

كشف هذا المقطع عن تجربة الذات الشاعرة، ومعاناتها جراء الاغتراب عن الوطن والأحبة، وحفل - أي المقطع - بدوال ذات حمولة نفسية ووجدانية، فيها حديث نجوى أو حوار نفسي، تخاطب الذات نفسها، ودمعها، وقلبها، فتشعر بغربة نفسية مع الغربة الواقعية، وتواجه الدهر والزاياء وحيدة فريدة، وكأنها مستهدفة بكل هذه العذابات، وهنا، تلتاع النفس الشاعرة، فتجرح إلى التشقيق والاقطاع اللغوي: الرزايا ضروبا/ لي ضريبا، الغرب/ غريبا، وهو أمانة التحرق والتمزق النفسي التي تعيشه وتكابده، فانعكس في هذا التجنيس الاشتقائي، ويعمل الشوق فعله في الحشا، فيملأه ندوبًا، والندوب هي آثار الجروح، فالشوق جرح قد أحدث هذه الندوب، وحفرها في الحشا، فتشُّ منها الذات الشاعرة، وتصطلي بنارها، ويأتيها السقم والمرض، ولا علاج أو دواء إلا بقلها الأحبة، الذين هم الطبيب المنتظر المنشود، مما يعمق هذه المعاناة، فكيف بمريض أن يتعافى وطيبه بعيد المنال، إذ حيل بينهما! وهذا لعمرى من فتنة الشعر، وهو يتحدث عن مثل هذه المشاعر الجياشة والمواقف الإنسانية الأصيلة⁽⁷⁶⁾، التي تأسر المتلقي، وتشركه مع الذات الشاعرة متعاطفًا ومتأثرًا. إن أهم محور تدور حوله حنينيات ابن زيدون هو المزج بين وصف الطبيعة والمرأة وقرطبة⁽⁷⁷⁾ ومنها أرجوزته الحنينية هذه، التي يعرج فيها على طبيعة قرطبة، ووصف ربوعها الماتعة، ويسترجع ذكرياته الجميلة مع أحبته، لاسيما محبوبته ولادة، وهنا يمتزج الحنين بالحسرة، فتتعمق التجربة وتبلغ مبلغًا، فيتوسل بوساطة رسول أن يحْيِي قرطبة وربوعها ويبلغها أشواقه:

إذا أتيتَ الـوطنَ الحبيـبـا
والجانـبَ المستـوضـحَ العجـيبـا
والحاضـرَ المنفسـحَ الرحيـبـا
فحـيِّ منـه ما أرى الجنـوبـا
مصـانـع يـجتـذبُ القلوبـا
حيث ألفـتُ الرشـأ الربيـبا⁽⁷⁸⁾

ويختتم أرجوزته بالتوجه إلى محبوبته أن تقبل أوبته حال عودته، وهذا المختتم يأتي متناغمًا مع رغبة ملحة للذات الشاعرة للعودة لقرطبة وأحبته بها، ويعد ذلك أمنية غالية يتطلع نحو تحقيقها، وتنداح ألفاظ دالة على ذلك من مثل: قَرَّت العين، أوؤوبا، يؤوبا، أحرم المغيبا، فهو "لن يدخر وسعًا في سبيل استرضاء محبوبته الغاضبة، إذا كتبت له العودة وقرت بها عيناه، ويكفي ان يحرم - على نفسه - الغياب عنها مرة أخرى"⁽⁷⁹⁾.

إن قـرَّت العـيـنُ أن أوؤـوبـا
لم آل أن أـسـتـرضـي الحبيـبـا
حسـبـي أن أحـرمَ المغيـبـا
قـد ينفـغ المـذنب أن يؤؤـوبـا⁽⁸⁰⁾

2. المدح:

تطرقت الأراجيز للحديث عن الآخر، لاسيما في غرض المدح، وهنا يتشكل الخطاب بحسب مكانة الشخصية الممدوحة، والمحتفى بها، والسياق أو المقام، ففي مقام الجد وجدنا ابن الأبار ينظم أرجوزة دالية، بمناسبة بيعة الولاية للأمير الحفصي أبي يحيى زكرياء سنة 638هـ، ذهب فيها مهنتًا ومادحًا إياه، معليًا من شأنه، ومن شأن أبيه وبيت الحفصيين، وبذا كان المدح فرديًا وجماعيًا أو أسريًا.

استهل ابن الأبار أرجوزته بتعظيم أمر البيعة وأنها جاءت على قدر وبركة، حسمت مكائد وخلافات، فكانت كبيعة الرضوان، وإن للفعل الاستهلاكي: أشدو دلالة الفرحة والغبطة في مشهد مهيب، وحشد عظيم، تفد الوفود مباركة لولي العهد، مادة يبنى البيعة والطاعة، وتنشد فيه القصائد، والمدائح فكان بحق عرس تنويع وابتهاج.

أشـدو بـها وسـطَ النـديِّ الحاشـدِ	وضـاحـةً مـن غـررِ المـراشـدِ
سـنا الصـباح مـن سـناها الواقـدِ	شـيدتْ مـبانيها عـلى قـواعـدِ
... واتسـبـت في أشـرف المـحاتـدِ	فـليس عـنها أحـدٌ بـحائـدِ
ولا لـها في الأـرض مـن معانـدِ	يـعـة رـضـوانٍ وهـذي خالـدِ
ما بـين مـعهودٍ لـه وعاهـدِ	مـثاقـها حـلٌّ غـرى المـكائـدِ
وعقـدُها حـلٌّ عـن العقائـدِ	كانت لـها السُّعـودُ بالمـراصـدِ ⁽⁸¹⁾

ثم يدلّف إلى الممدوح، فيجعل منه قطبًا تجتمع فيه كل صفات العلا والسيادة من قوة وعظمة، وجود وكرم، فيطنّب في تعداد هذه الصفات والخلال، مقلّبًا فيها هذه المعاني والمدلولات بدوال متنوعة، وأن هذه القيم اكتسبها وورثها عن والده وأسرته:

إِنَّ الْعُلَىَّ مَجْمُوعَةٌ فِي وَاحِدٍ مِنْ زَكِيَاءِ الْأُمِيرِ الْمَاجِدِ
مَلِكٌ يَجَلِّي عَنْ ثَنَاءِ الْحَامِدِ وَأَيُّنَ وَصَفُ شَاكِرٍ مِنْ شَاكِدِ
وَهَابُ كُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٍ لِلْوَفْدَيْنِ مِنْهُ حِطُّ الرَّافِدِ
كَمْ مَقْتَرٍ أَلْحَقَهُ بِوَاكِدٍ وَكَمْ أَصَابَ مَلْحَدًا بِلَا حِدِ⁽⁸²⁾

فالنص المدحي هنا يقوم على الثنائية والتضاد، من ناحية، وعلى الملامسة أو المقاربة الصوتية بين الألفاظ، حتى على مستوى الاستعمال اللغوي أو اللهجيّ فإنّ للفظي "شاكر/شاكّد"، معنى واحدًا، فالشكّد كالشكر لغة أهل اليمن⁽⁸³⁾، وبينهما جناس ناقص، وكما بين ملحد/ لاحد، فإنّ لهما معنى متقاربًا وهو الميل والجور والظلم، ونجد مقابلته بين الطارف والتالد، والمقتر والواجد، مما عزز معنى الكرم وكثفه لدى الممدوح. كما كثف معنى القوة والشكيمة في الآيات الآتية:

أُنْجِبَ فِي مَعَادِنِ الْجَرَاءِدِ لَشَوْكَةِ الْأَعْدَاءِ خَاضِدِ
يَبْرُكُ بِالْخُدُودِ كَالْأَخْدَادِ لَهُ بَنْقَرِ الْهَامِ خَرْقُ النَّاقِدِ
يُنْجَاذُهُ مِنْهُ عَلَى مُنَاجِدِ أَرْضُهُ لَخَاتِرِ وَعَاقِدِ
حَيْثُ الْخُتُوفُ مُرَّةُ الْمَوَارِدِ بِمَعَزِلِ مِنَ الزَّلَالِ الْبَارِدِ
وَالْهَامُ زَنْجٌ يُجْتَنِي بِحَاصِدِ هُنَاكَ تَلْقَاهُ أَعَزُّ عَاضِدِ
يَنْهَدُ فَرْدًا لِلْخَمِيسِ النَّاهِدِ فِي بَادِيٍّ مِنْ بَأْسِهِ وَعَائِدِ⁽⁸⁴⁾

إنّنا معزوفة حربية، تصور مشهد الحرب والقتال، ومناجزة الأمير البطل مفردًا لجيش عرمرم خميس، غاية في المبالغة في شجاعته وإقدامه واستبساله. وإنّنا لحركة ميدانية عززتها حركة إيقاعية نابعة من طبيعة بحر الرجز، فإنّ "إيقاعات بحر الرجز تلائم المواقف الحماسية، والمواطن التي تظهر فيها قوة التأثير والانفعال، لهذا خصصوا استعمال بحر الرجز بمواطن الحماسة"⁽⁸⁵⁾.

ثم ينتقل انتقاليًا مناسبًا للشاء على أرومة بيت بني حفص، وملكهم المرتضى يحيى بن عبد الواحد، ويصبح المدح هنا جماعيًّا أو أسريًّا، فامتدحهم بأنهم عصابة قدسية الموالد، وأنهم مصاييح الظلام، وهم من الشجاعة فيغدو كل راعٍ لسمرهم وساجد⁽⁸⁶⁾، ثم يختتم الأرجوزة بالتوجه إلى الأمير لقبول مدحته هذه⁽⁸⁷⁾:

مولاي صفحاً فهو جُهدُ الجاهدِ أفتُخّه من حسن حسٍ خامدِ
 يأبى المبوب من سناتِ الرائدِ قلت: لك الأمداح كالفراقِدِ
 والـروض في أزهاره النضائدِ قد صُغْتُ معناها بلفظٍ خالدِ
 كما قد يأتي المدح في نص رجزِي، في سياق التسلية والهزل، يدور حول وصف يوم أنس، ورحلة صيد وطرْد، تقودها شخصية رفيعة، فيعمد الراجز إلى التمدح بهذه الشخصية، مثلما نجد في أرجوزة مزدوجة لأبي محمد أشهب العربي في مدح أبي الحسن علي بن محمد القسطلِي (ت625هـ)⁽⁸⁸⁾، ويستهل أرجوزته بوصف مقتضب لهذا اليوم السعيد، في قوله⁽⁸⁹⁾:

أفضل ما جاءت به الدهورُ يومٌ حواه كلُّه السـرورُ
 وتمّ فيه الأنسُ والحبورُ ولم يشب صفاؤه تـكـديـرُ
 ثم يعطف بمديح ضافٍ، جاء بمعانٍ تبرز صفات الممدوح الذاتية من وضاعة غرته وصباحة وجهه، والمعنوية كالشجاعة والجلود والكرم، يستهلها بأسلوب التعجب، الذي يفيد هنا الإكبار والإجلال، متكئاً على الصورة التشبيهية، ليجلي الصورة البهية للممدوح فجوده يفضح الغاديات الممع، وصلابته أشد من الحسام البتار:

لله دُرٌّ ماجـدٍ سـمـيـدٍ أغرّ وضّاح الجبـين أروع
 يفضّح صوب الغاديات الهـمـع بجوده العذب المعين المشـرع
 صلت كمثني المقتضب الحسام جلّ عن المماء والمسام
 يلقي الغفاه مـشـرق القسام والجيش يوم الرّوع ذا البسام
 إن شئت أن تبصر بدر المحفل وساعة النّزال ليث الجحفـل
 والسّنة الشّهاء غيث المـحـل فقف بمعناه وناد "ياعلي"⁽⁹⁰⁾

والنص المدحي يتكئ على المقابلة الفنية، معززاً إيقاعياً بالموازنة، فالممدوح تراه في مشهدين: مشهد الجود والعطاء، فيبدو مشرق القسامات، وفي مشهد الروع مبتسمًا، وهنا يتناص مع المتنبي في مدحه سيف الدولة "وثرعك باسم"، فهو بين لين جانب وإقبال على طالبي كرمه، وقسوة وشدة لمن ناوأه. ونجد الموازنة مع الصورة التشبيهية في قوله: بدر المحفل/ ليث الجحفل. على أنا واجدون حرص الراجز في مدحه هذا على إبراز فروسية ممدوحه، وحسن امتطائه الجواد والانطلاق به انطلاقًا سريعًا، لأن الموقف موقف طراد وصيد، ومن هنا أتى

التركيز على هذه الصفة، موظفًا عنصر الجناس: العِنا/ العِنا، الشِّمالا/ الشِّمالا، والطباق: الجنوب/ الشِّمال، اليمين/ الشِّمال، الإقبال/ الإقبال، يقول⁽⁹¹⁾:

تُزْهِى إِذَا يَرْكَبُهَا الْجِيَادُ وَإِنْ بَرَاهَا تَحْتَهُ الطُّرَادُ
فِي السُّرُوعِ لَا يَثْنِي لَهَا عِنَانَا حَتَّى يَرَوِّي السَّيْفَ وَالسِّنَانَا
وَفِي الطُّرَادِ يَوَهُمُ الْعِيَانَا بِأَنَّهُ قَدْ امْتَطَى الْعِنَانَا
يَسْبِقُ الْجَنُوبَ وَالشُّمَالَا وَيَخْلُطُ الْإِدْبَارَ وَالْإِقْبَالَا
يَصْرِفُهَا الْيَمِينَ وَالشُّمَالَا مَمْتَثَلَاتٍ مَا نَوَى امْتَثَالَا

ولعل أرجوزة جاءت مدحية خالصة، تلك التي نظمها أبو الحسن السلمي أحد شعراء مدينة أوريولة في الوزير أبي جعفر أحمد بن عصام، مهنتًا إياه بالعيد، أتت في شكل إيقاعي مزدوج القافية، رباعي الأشرط، الثلاثة الأول منها متفقة القافية، بينما الرابع منها بقافية أخرى، وتطرّد قافية الشطر الرابع في الأرجوزة عامة، وهذه أرجوزة دالية لا طراد حرف الروي الدال فيها.

يفتتحها مباشرة بالتهنئة للوزير المذكور، ليجعل من ذلك مدخلًا في تلاوة سور المديح العصامي، سالگًا من أسلوب النداء أداة للتواصل مع المتلقي، مستعملًا "يا" مكررة، للدلالة على رفعة مكانة الممدوح وعلو درجته ومنزلته، فجاء المديح بتعداد صفات العدل والحزم، والرفعة والوضاءة، وكذلك بالكرم وكونه ملجأ للناس يعتصمون به من عثرات الدهر، وسهام الأعداء.

أَهْلًا بَعِيدٍ عَادَ فِيهِ السُّعْدُ الشُّكْرُ لِلَّهِ بِهِ وَالْحَمْدُ
فَكُنَّا لَدَى "الْوَزِيرِ" يَشْدُو جَاءَتْ بِمَا أَمَلْتَهُ الْأَعْيَادُ
يَا كَعْبَةً طَافَ بِهَا حُجَّاجُهَا يَنْبِزُ فِي جُنْحِ الدُّجَى سِرَاجُهَا
وَلِلَّهِ دَى سَيَّرْنَا مِنْهَا جُهَا فَيَحْمَدُ الْإِصْدَارُ وَالْإِيْرَادُ
يَا مَنْ تَحَلَّى بِالسَّنَاءِ وَالسَّنَى وَخَوْفُنَا مِنَ الزَّمَانِ أَمْنَا
يَا جَنَّةً يُجْنَى بِهَا زَهْرُ الْمَنَى وَمُورَدًا يُرَوَّى بِهَا الْوَرَادُ⁽⁹²⁾

كما امتدحه بنصرة السنة المطهرة، وبالشجاعة في مقارعة أعداء الملة المحمدية، وبالطاعة لله عز وجل، ويسترسل في إضفاء السجايا الحميدة على ابن عصام، مستغلًا اسمه في العصمة من دوائر الزمان.

أنت الذي تُحي رسوم السُّنة بالصَّارم القَضَّابِ والأسَّنة
 لم تُثْنِ عن أسدِ الوغى أعنَّه ولا نجت من سيفك الآسادُ
 أنت مبيدُ الكفر والأوثانِ وناصرُ الإسلام والإيمانِ
 وطائعُ للملكِ الديانِ ربُّ له تعبَّ العبادُ
 ... "يا ابن عصامٍ" عُصِمَ الزمانُ ونيْلَ فيه اليُمنُ والأمانُ
 ولاخ منه الحسنُ والإحسانُ فالعينُ لا يحسُّها الفؤادُ⁽⁹³⁾

وينهي مدحته بأن ليس له نظير ولا شبيه في الصفات. وهكذا، جاءت هذه الأرجوزة المدحية في لغة واضحة، بعيدة عن الإغراب، ضاربة بسهم وافٍ في الشعرية، من حيث مقوماتها التصويرية، والإيقاعية، والتعبيرية، مما جعله نداءً للقصيد، لا فرق بينهما سوى تعدد القافية، وكون وحدته البنائية الشطر، لا البيت ذا الشطرين.

3. الوصف: يكون لمظاهر الطبيعة الأندلسية كالنواوير أو غيرها، كأرجوزة أمية بن أبي الصلت الحمزية في وصف مدينة الإسكندرية، إذ تناول وصف قدم بنائها، ورحابة أرائها، وجمال مناظر أوداحها ورياضها، كما التقط صورة لطبيعتها الخلابة بعد نزول مطر أحيا أرضها، وأحالها دوحة فينانة، كالمرأة الحسناء المترجمة:

وبلدةٍ عاديّةٍ البنيةِ فسيحة الأقطارِ والأرجاءِ
 نديّةٍ الظلالِ والأفياءِ مؤشّية الأجرارِ والأنقاءِ
 كما بدت حاشية الرداءِ من حوك كل ديمةٍ وطفاءِ
 مذهبّة الأعطافِ والأثناءِ تنسخ عهد السنة الشهباءِ
 وتطرّد البأساءِ بالنعماءِ لما بكت في أرضها الظمءاءِ
 جاءت بكل دوحةٍ غنّاءِ تحجب عنها لفحة الرماءِ
 تبرّجت تبرّج الحسناءِ مرقومة الحديقة والملاءِ⁽⁹⁴⁾

لقد جاءت لغة هذه الأرجوزة رقيقة، واضحة المعاني، بعيدة عن الغرابة، لا كما عهدنا ذلك في الأراجيز المتقدمة، مما يمكن القول إن لغة الأرجوزة تخضع لطبيعة موضوعها، وثقافة الراجز.

ثم ذهب يصف مجلس خمر، وما فيه، فبدت لنا أرجوزة خمرية، تذكرنا بخمريات أبي نواس، حيث الاعتناء بوصف الخمرة وأثرها في النفوس، ووصف الساقى، وليونته وجماله.

وَعِـادٍ بِـأَكْوَـبٍ مـلأٍ مـن قهـوَةٍ صـافِيَةٍ صـهـبـاءٍ

يـصـفـو بـهـا العـيـشُ مـن الأـقـذـاءِ يـجـلـو سـنـاها جـنـدِسَ الظـلـمـاءِ

تـبـعـثُ الرـوحَ فـي الأـحـشـاءِ تـجـري مـجـاري الرـوحَ فـي الأـعـضـاءِ

تأخـذُ أخـذَ النـومِ والإغـفـاءِ يـسـعى بـها ذو مـقـلـةٍ حـوراءِ⁽⁹⁵⁾

كما لابن أبي الصلت أيضاً أرجوزة فائية في وصف شعر أحد أصدقائه:

شـعـرُ السـلامـيِّ إذا اسـتُشـشـقّا حـديـقـةٌ رَـبَّـا الغـصـونَ لَقّا⁽⁹⁶⁾

ونجده في أراجيزه يتغنى بالطبيعة والخمرة، وعادة ما يدجمها معاً، فيكون متنقلاً في وصفه بين هذين الحقلين، فيشبه هذا الشعر بالديمة الوطفاء، ثم يخلص إلى وصف الطبيعة، ومنها إلى وصف الخمرة ومجلسها، في لوحة فنية رائعة، ولغة غاية في السلاسة والاسترسال⁽⁹⁷⁾. وله أرجوزة قافية في وصف ليلة ليلاء، سلك فيها مسلك العشاق الذين أرقهم طول ليلهم، فذهب يقص علينا تجربة حبه وهيامه:

ولـيـلـةٍ دأئـمـةٍ الغـسـوقِ بـعـيـدةٍ المـسـى مـن الشـروقِ

كـلـيـلـةٍ المـتـيـمِ المـشـوقِ أـطـالَ فـي ظـلـمـائـها تـأـرـيـقـي⁽⁹⁸⁾

ومن الموضوعات الوصفية وصف النواوير، كما جاء في أرجوزة رائية لابن هانئ الأندلسي في وصف نوار الجلنار، وهي غاية في الجمال والوصف الفني، يقوم على الصورة الفنية، سواء اللونية أو الغزلية؛ إذ استثمر لونها الأحمر القاني، وذهب يقاربه مرةً بجنان بازٍ أو صقر، أو كالدم نرف من نحر، أو نبث سقي من جدول خمر، أو نما في تربة من جمر، ويصف شكل ثمرتها "الرمان" الدائري كمثل النهدي فوق الصدر، في صورة غزلية مغرية، وفي لغة تسيل عذوبة ورقة وسلاسة:

وـنـبـتِ أـيـلٍ كـالـشـبـابِ النـضـرِ كـأثـمـا بـيـن الغـصـونِ الحـضـرِ

جـنـانُ بـازٍ أو جـنـانِ صـقـرٍ قـد خـلـقـتـه لَقـوَةٍ بـوـكـرٍ

كـأثـمـا جـجـت دَمـاً مـن نـحـرٍ أو نـشـأت فـي تـرـبـةٍ مـن جـمـرٍ

أو رويـت بـجـدول مـن خـمـرٍ أو كـفَّ عـنـها الدـهـرُ صـرـفِ الدـهـرِ

جاءت بمثل النهدي فوق الصدرِ تـفـتـرُّ عـن مـثـل اللـثـاثِ الحـمـرِ

في مثل طعم الوصل بعد الهجر⁽⁹⁹⁾

4. **الخمريات:** قد مرّ بنا كيف جاء الحديث عن الخمرة منبثًا في بعض الأراجيز، غير أنا قد وجدنا أرجوزة خمرية قافية لابن هانئ خالصة، يصف زيارته لحنوت خمار نصراني، بل إنه جاثليق وهو رئيس النصاري، لذلك، فإن الراجز قد وظف ألفاظًا ذات صلة بالنصاري، من مثل بطريق، ولاهوتية. استهل أرجوزته بوصف خارجي للخمار النصراني، بأنه ذو شخصية أنفة، فهو شامخ العرنين كناية عن اعتداده بنفسه وتكبره، وهو أصيد: أي يرفع رأسه متكبراً⁽¹⁰⁰⁾، يجر ذيله كالبطريق وهو القائد أو المقدم عند النصاري، وخمارته في حصن عالٍ، طرقة الراجز في آخرة من الليل، فتنبه ونهض من رقدته كأنه فحل من الإبل.

وشامخ العرنين جاثليق مُرَّوعٌ بمثلنا مطروق
بات بليلى الكالى القروق في أخريات الأطم السحوق
تبهتته فهبَّ كالفتيق يسحب ذيل الأصيد البطريق⁽¹⁰¹⁾

وظف الراجز لغة جزلة رصينة، في سبكٍ قوي، واصفًا مهارة الخمار في تقديمه الخمرة، فأتى بالفعل: استلّ، بما يدل على مهارته في استخلاص الخمرة من دنانها الصافنات بالمزل، آلة خرق الدن، ثم كان التقديم أشبه بزف العروس، واصفًا الخمرة بلاهوتية الشروق، وأن ما بقي منها وخلص، شيء قليل جدًا، كأنه لم يكن أو غير حقيقي، وذهب يصور ما بقي منها بشكل تجريدي، كيقين الملحد الزنديق، أو حشاشة العاشق المشوق، وهذه من الحدة الشعرية التي عرف بها ابن هانئ، ومنها حدته في معانيه وصوره، وفي ألفاظه وتعايره⁽¹⁰²⁾، بل وفي أفكاره. يقول⁽¹⁰³⁾:

إلى دنان صافنات السوقي فاستلّها بمزل رقيق
مثل لسان الحية الدقيق كأنه من صبغة العقيق
مضمخ الكفّين بالحلوق فزف لاهوتية الشروق
لم يبق منها الدن للراووق إلا كيانًا ليس بالحقيق
مثل يقين الملحد الزنديق كأنه حشاشة المشوق

ثم ينتقل إلى وصف الساقى، وذهب يتغزل به في دلالة وجماله، وحلاوة ريقه، وظل يُسقى من قدحه إلى أن انبلج الفجر، وانسدل ستار الليل، مصورًا ذلك في روعة تصويرية خلابة، بقوله⁽¹⁰⁴⁾:

ما زلت أسقى غير مستفيق حتى رأيت النجم كالغريق
والصبغ في سرباله الفتيق يرمي الدجى بلحظ شوذنيق

ويختتم أرجوزته الخمرية بالاعتداد بصديقه، وحبه إياه، ودعوته إياه، يجعل شعاره "مواصلة الغبوق بالصبح"⁽¹⁰⁵⁾.

5. في التأمل والوعظ: يطالعنا أبو الربيع الكلاعي بأرجوزة ميمية، في الحديث عن الموت، والرحلة للدار الآخرة، يفتتحها بتحية إخوانية عبقة، يلاطف فيها أحد إخوانه الكرام، بلغة رقيقة، نثر فيها كل دوال الحب والود والإجلال، موظفًا ثقافته اللغوية، لاسيما وهو يتكئ على مثلث قطرب⁽¹⁰⁶⁾؛ إذ نجده يستعمل ألفاظًا تختلف معانيها باختلاف حركة فائها أو عينها، من مثل: السّلام، وكلام، والعمر، مثلثة الفاء.

زارك من مُؤثرك السّلام
مُكرراً ما كرت الأيّام
واعتقبت الضيأ والظلام
وبرحت بالماضغ السّلام
تحيةً ليس لها انصرام
تجري بها الأنقاس والأقلام⁽¹⁰⁷⁾

ثم ذهب يصور التحية: رائحة، وإشراقاً، ولذة؛ فهي كالمسك ولا ختام، وكالشمس ولا غمام، وكاللذة في المنام، موظفًا حرف التشبيه "كأنّ" مكرراً إياه، بما يشي بقوة التشبيه وجماليته، مؤكداً على استمرار الوداد والبر والتبجيل والإكرام.

كأنّها المسك ولا ختام
كأنّها الشمس ولا غمام
كأنّها في اللذة المنام
... هيّهات ذو الإخلاص يُلام
أنى وشحب جده سجام⁽¹⁰⁸⁾

تناول الراجز في أرجوزته الوعظية التذكير بالمصير المحتوم للإنسان، الذي لا مفر منه، ألا وهو الموت، وهو خطب داؤه عقام، ولا يلد معه منام، والناس في الأحلام نيام، فإذا حل بساحتهم استقيظوا، وهي مواعظ استمدّها من الدين الإسلامي قرآناً وسنة، اللذان تحدثنا عن الموت والرحلة للدار الآخرة، والحديث عنه ذو شجون:

لوعُثُّه طَيِّ الحشَا ضِرَامُ
 لَيْسَ عَلَيْهِ لَامِرِيٌّ مُقَامُ
 ذَلِكْ خَطْبُ دَاوَهُ عُقَامُ
 تُنْكِرُ عَنْدَ ذَكَرِهِ الْأَحَامُ
 وَتَرْعُ الدُّ الْأَحْشَاءُ وَالْعِظَامُ
 ...وَلِلْمَنَائِيَا فَوْقَنَا خِيَامُ
 وَإِنَّمَا حَيَاتُنَا أَحْزَامُ
 نَفُوسُنَا فِي ظِلِّهَا نِيَامُ
 حَتَّى إِذَا أَيْقَظَهَا الْحِمَامُ
 بَانَ لَهَا أَنَّ زَلَّتْ الْأَقْدَامُ⁽¹⁰⁹⁾

ثم يبين أن في الدنيا الخير والشر، والهداية والغي، ويحث بالدعوة إلى التوبة والتزود بالصالحات، لعل رحمة الله تناله⁽¹¹⁰⁾.

6. في الألباز: ناسب النظم في الألباز قالب الأرجوزة، وهي أقرب إلى النظم منها إلى الشعر، كأرجوزة ابن المرباط المزدوجة في الإلباز باسم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. يقول:

يَا مَنْ أَتَى بِالسَّحَرِ فِي الْغَاظِ وَبَلَّغَ الْغَايَةَ فِي الْبِجَاظِ
 إِنَّ الَّذِي أَخْفَيْتَهُ قَدْ ظَهَرَ وَكَيْفَ يَخْفَى مَنْ سَنَاهُ بِهَرَا
 إِنَّ تُسْقِطِ الْأَوَّلَ مِنْهُ عَدْدُ أَوْ ثَانِيًا جَاءَكَ مِنْهُ بِلْدُ⁽¹¹¹⁾

7. الطرديات: إن أبرز موضوع شعري، طرقة الأرجوزة الأندلسية هو الصيد والطراد، وهو موضوع كانت الأرجوزة العربية قد مرسته مرسًا، بل عدَّ مما اختص به الرجز دون القصيدة أو كاد، لأن شعر الرجز في هذا المقام "أطوع للبدئية وأصلح للارتجال، وأقدر على تصوير خلجات الصائد وحركاته، إذ كان الصائد يتغنى - وهو يرمي بسهمه أو يرسل كلبه أو يطلق عقابه - برجز يذكر فيه مقدرة على إصابة الهدف، أو يذكر فيه شجاعة كلبه واقتناصه صيده أو ما إلى هذه الأمور"⁽¹¹²⁾. ولعل أول راجز نمَّاه ونظم فيه أراجيز مستقلة هو أبو النجم العجلي، ثم طوره معاصره الشمردل اليربوعي، وغيرهما من الرجاز كأبي نخيلة، الذي يقول عنه ابن المعتز: "له في الطرد أراجيز كثيرة مشهورة، ... وأعاجيب أبي نخيلة في القنص وغيره كثيرة"⁽¹¹³⁾، كما يعد أبو نواس زعيم الطرديات في القرن الثاني؛ إذ تربو طردياته على خمس وخمسين⁽¹¹⁴⁾، كما ولع الأمراء بالطرد كابن المعتز⁽¹¹⁵⁾، وأبي فراس الحمداني في العصر العباسي.

والأرحوزة الطردية في الأندلس إنما هي مظهر من مظاهر اللهو الذي يمارسه الشعراء بمعية عليّة القوم سواء أمراء أو وزراء، يخرجون في رحلة صيد جماعية، يلهون ويلعبون، ويتساقون الخمر في مجلس أنس، ليلاً، حتى إذا ما بدا ينقشع الصبح أخذوا أهبتهم في الصيد على خيولهم وأفراسهم، مستعينين بكلاب صيد تارة، وبصقور يرسلونها تطارد الطيور من الحجل وغيره، أو الأرانب، أو الكلاب المعلّمة في إثر الطباء أو النعام. وتأتي الأرحوزة واصفة وقت الصيد، ووسيلته من كلاب وصقور وعقبان، ومطاردات للطرائد التي عادة ما تكون حيوانات برية كالنعم والأرانب والظباء وغيرها. وغالباً تنتهي الأرحوزة بمشهد إعداد الطرائد للأكل والشواء، والالتذاذ بطعومها.

ولابن حمديس ثلاث أراجيز طردية، دالية، ورائية، وميمية⁽¹¹⁶⁾، يصف في إحداها أنه قد خرج للصيد مع فتية من أصحابه في وقت الصبح باكراً، وهو الوقت المؤثر للقنص، كما عند كثير من رجاز الطرد، حتى إن كثيراً من الأراجيز لتفتتح بالتصريح به، نحو قول أبي نخيلة⁽¹¹⁷⁾:

قد أغتدي والصبح في حجابهِ

ويفتن في تصوير زمن البكور، بانتشار ضوء الصباح كالسيل الجارف، وتواري ظلمة الليل، كما لو كانت عيوناً أصابها الرمد فأطبقت جفونها.

لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْحَ قَدْ تَبَدَّى
كَأَنَّه فِي الشَّرْقِ سَيْلٌ مَدَّ
وَحَاجِبُ الْجَوْنَةِ قَدْ تَصَدَّى
شُهِبًا فَأَطْبَقْنَ عَيُونَنَا رَمْدًا⁽¹¹⁸⁾

ثم يصف وسيلة الصيد، وهي هنا "شودق": أي الصقر، له مخلب أسود، كالخنجر، يطارد الطيور طردًا.

أَرْكَبْتُ نَفْسِي شَوْذَقًا مُعَدًّا
يَهْدُ أَرْكَانَ الطَّيُورِ هَدًّا
بِمَخْلَبٍ تَبْصُرُهُ مَسُودًّا
كَأَنَّهُ مِنْ خَنْجَرٍ قَدْ قُدَّ
حَرَصًا عَلَى الصَّيْدِ بِنَا فِي الرَّمْدِ⁽¹¹⁹⁾

ويكتمل مشهد الصيد، بوصف الرفقاء الذين يعتلون صهوات خيولهم، لابسين ثياباً من حديد، وبأيديهم أدوات صيدهم من سهام وغيرها، وهم من الشجاعة بمكان، يصرعون الأسد، ويقنصون الحمار الوحشي والنعام أو كل ما لونه أريد من الطيور. وهنا ينتهي مشهد القنص.

ونقف على مشهد الغنيمة والشواء، فما ظفروا به من الصيد يفوق العد، مكرراً لفظ صادوا مرتين، ليدل بذلك على عظم الصيد وكثرته. وتتوزع الأدوار بينهم، بين قاذح للنار، وجامع للحطب، وشاؤٍ للحم، مستعرضاً أنواع الصيد من طيور وغيره. وكل ذلك جاء في سبك حسن، ولغة جميلة رصينة.

صادوا وصادوا ما يفوق العدداً
فمن فتى يقدح منه زُنْداً
وحاطبٍ طلحاً له ورُنْداً
ومُشْتَوٍ يوسع ناراً وقداً
وفاتحٍ عن لَدَّةٍ ما سداً
عن ذات عَرَفٍ أعرفته النداً
ياقوتةً تلبس دُرّاً عقداً⁽¹²⁰⁾

ويصف في أخرى رحلة صيد مع جماعة، كانوا قد أنسوا في مجلس خمر في ليلة حالكة السواد، وما إن انبلج الصبح إلا وهم يتطايرون على صهوات خيولهم منطلقين للصيد.

وليلةٍ حالكةٍ الإزار
مدّت جناحاً كسواد القار
يحجبُ عنا غُرّة النهار
عقرتُ فيها الهمم بالُعقار
بجسم ماءٍ فيه روح نار
في مجلس ضمّ بنى الفخار⁽¹²¹⁾

لقد أعد هؤلاء الفتية أنفسهم منذ الليل، يتهيأون للصيد باكراً، فهم قد قضوا ليلهم في مجلس خمر، يتعاطون العقار، وإن في قول الراجز: عقرتُ فيها الهمم بالعقار، روعة تصويرية في إزهاق الهم والتخلص منه البتة، بشرب الخمر.

وعرضت هذه الأرجوزة الطردية لوصف الخيول، فوصفتها بالسلهب وهو الطويل من الخيل، وبالسرعة الشديدة، وأنها تسابق الريح.

حتى إذا ما غنّت القماري
... صوافراً والصَّبْحُ في الإسفار
قمنا لننفي عرض الحمار
... بكل طرفٍ سلْهَبٍ مُطارٍ⁽¹²²⁾

أما أبرز ما جاء به الوصف، فوسيلة الصيد ألا وهي الكلب؛ إذ أسهب في وصفه، فهو صيود ضارٍ، متعطش للدماء، ضامر الخصور كناية عن شدة سرعته، له أعين ترمي بشرر، ذنبه كأنها عقارب القفار، سريع سرعة البرق مدمر كالإعصار، لونه أصفر كأنه صيغ من نُضار، أي: من ذهب، وقد أطلقه على الظبي وهو مستنفر، فقصه، وأتى به وجبة لذيذة لصاحبه، وقد لقبه بأبي العقار، ونجد الراجز وظف مادة عقر، توظيفاً اشتقاقياً: عقرتُ الهمَّ / العُقار / العقار.

يتبعه كل صيودٍ ضارٍ
ظامي الضلوع، ضامر الأخصارٍ
كأنَّه في عقدة الزنَّارِ
بأعينٍ لم تُغضِ من عُوارٍ
كالجمر بين الهُذْبِ والأشفارِ
.. أسرعُ من برقٍ ومن إعصارٍ
أصفر من لون جنى بهارٍ
كأنما صيغ من النُّضارِ⁽¹²³⁾

كما جاءت لوحة طردية في أرجوزة مزدوجة، وصف فيها الراجز رحلة صيد جماعية بحضرة رئيس لهم، في وقت الصباح، جمع بين وصف الخيل سرعة ولوناً وقوة، وبين وسيلة الصيد من بزاة وكلاب، وبين طرائد من وحش الفلاة، وأرانب، وظباء، والطيور من حجل وغيره.

واصطفتِ الفرسانُ والمشاهُ
وُفليت عن وحشها الفلاةُ
وأرسلت لحتفها الكلابُ
كأنها نارٌ لها طُلابُ
... لكن بأيدينا لها قيودُ
وضاريات طاويزاتٌ قُودُ
من كلِّ مسودِّ الإهابِ داجٍ
وأصفرٍ يلتاح في العجاجِ
وإن أثارت أرنباً أو خشفاً
كانت له دون تَوانٍ حتفاً⁽¹²⁴⁾

ويختتم مشهد الطرد بالاستمتاع بلذائذ ما قنصوه من طرائد، فمدت مائدة بما من الطبخ والشواء وكل ملذوذ من الغذاء⁽¹²⁵⁾.

هكذا بدت لنا الأرجوزة الأندلسية في موضوعها الشعري، فهي قد تناولت موضوعات تكاد تكون نفسها موضوعات شعر القصيد، كالممدح والوصف والخمريات، والطرديات، والشوق والحنين، والزهد والوعظ، فإن هذه الموضوعات تكشف عن الواقع الأندلسي من حيث ظاهرة النزوح الطردية في بلاد الأندلس، حيث وفرة الوحش بأنواعه، والطيور، والحيوانات البرية من أرانب، وظباء ونعام وغيرها، وممارسة فن الفروسية بامتطاء الخيول والصيد بهن، والسباق عليهن، إضافة إلى ما يكون أثناء تلك الأجواء الطبيعية من انعقاد مجالس اللهو والأنس والخمرة، والتهيه للعبة الطرد والصيد بشكل جماعي. كما كشفت عن تغلغل فن الأرجوزة في الشؤون السياسية؛ لتعالج موضوعات هي من الخطورة بمكان، كالحديث عن البيعة وشأنها وعقدها وميثاقها، مما له بعد سياسي واجتماعي بمبايعة المجتمع بفئاته ولي عهد البلاد كبيعة أبي يحيى زكرياء الحفصي، حيث جاءته جموع المهنيين والمبايعين، وقامت سوق الأدب والإنشاد، وتحول المقام إلى مشهد عرس اجتماعي بهذه المناسبة. كما كشفت الأرجوزة أيضاً عن تجارب بعض الشعراء في معاناتهم من الغربة، ليدق جرس الشوق والحنين في قلوبهم، فيخرجوا تلك المشاعر الجياشة شعراً في قالب رجزي بديع كما عند ابن زيدون.

المبحث الثالث: البناء الفني والإيقاعي:

أولاً: نهج الأرجوزة:

لقد لاحظنا كثيراً أن الأرجوزة في الأندلس لم تسلك في نهجها البنائي مسلكاً معهوداً أو مقيداً، مثلما هي عليه القصيدة من حيث الابتداء بمقدمة من طللية أو غزلية أو غيرها، حتى في الأراجيز المدحية، كمدحية ابن الأبار؛ إذ لم يفتتحها بإحدى تلك المقدمات التقليدية، بل استهلها بالتوطئة بالحديث عن البيعة (مناسبة الأرجوزة)، ثم خلص منها إلى موضوع الممدح، بيد أننا نجد في قصائد المديح كثيراً ما يفتتحها بمقدمة غزلية، بلغت خمساً وعشرين مرة، إضافة إلى مقدمات أخر قليلة الورد كالطللية والخمرية والبحرية⁽¹²⁶⁾.

إن خلو الأرجوزة من أية مقدمة تذكر، وانعاقها من مثل هذه التقاليد الصارمة، كان إحدى العلامات المائزة بينها وبين القصيدة، وإذا كانت الأرجوزة الأموية قد نحت منحى القصيدة في بنائها الافتتاحي بالمقدمة، فإن الأندلسية خلعت من كل ذلك، ولعل مرد ذلك - في نظرنا - إلى طبيعة هذا النوع الشعري وكونيته، من حيث ما يتيح من سهولة النظم عليه وسرعته والارتجال في الموقف والمقام، والانطلاق في ذلك دون تقاليد معينة.

تعددت طرائق الافتتاح وصيغها، فمن الأراجيز ما تفتتح بالواو الداخلة على نكرة، ومن أمثلة ذلك قول ابن أبي الصلت في وصف مدينة الإسكندرية⁽¹²⁷⁾:

وبلدةٍ عاديّةٍ البناءِ فسريحة الأقطار والأرجاءِ

وافتاح ابن هانئ خمرته بقوله⁽¹²⁸⁾:

وشـامخ العـزّين جـاثليقٍ مُـرَوِّعٍ بمثلنا مطـروقي
ويأتي هذا الأسلوب كذلك في افتتاح بعض أراجيز الطرد، كقول ابن حمديس⁽¹²⁹⁾:

وليلـةٍ حالكةٍ الإزارِ

مدّت جناحاً كسوادِ القارِ

وكقول ابن هانئ في افتتاح وصف جلّانة:

وبنتِ أيكٍ كالشباب النضّرِ كأنّهما بين الغصون الخضرِ⁽¹³⁰⁾

ولعل الاستهلال هنا بحرف الواو، التي تسمى بواو ربّ أو عوض من ربّ⁽¹³¹⁾، يفيد القص أو الحكى، وسرد وقائع معينة، لاسيما في الطرد والخمر، على أن الأمر متروك للراجز أن يختار ما يناسب الموقف الشعوري، كافتتاح ابن زيدون أرجوزته بأسلوب النداء، إذ ينقلنا مباشرة إلى عالمه الشعوري والنفسي البئيس، حيث انصباب الدمع، وذوبان القلب! وفي موقف آخر حيث الفرح والحبور، تستهل أرجوزة التهئة للوزير ابن عصام بأسلوب فرائحي غامر:

أهلاً بعيدٍ عادٍ فيه السعدُ الشكرُ لله بهـ والحمدُ

فكلّنا لدى "الوزير" يشدو جاءت بما أتمّته الأعيادُ⁽¹³²⁾

إن لبعض هذه المطالع من البراعة والبلاغة، من حيث الدلالة على موضوعها المسوق، وإحداث الدهشة أو التأثير في المتلقي، والاهتمام بالمطلع أمر مقرر نقدياً، "فإن الشعر قفلٌ أوّلُه مفتاحه، وينبغي على الشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"⁽¹³³⁾.

فابن الأبار في أرجوزته المدحية يستهلها بمطلع، يشي بأمر فيه غبطة وفرحة وسرور، وهو تقلّد ولاية العهد للأمير الحفصي أبي يحيى، ويستعمل دالاً افتتاحياً يختزن هذه الغبطة، فيعلن عنها بأهازيج أو أناشيد في مجمع ومهرجان حاشد، بقوله: أشدو.

أشدو بها وسطَ النديّ الحاشدِ وضّاحةً من غرر المرشدِ⁽¹³⁴⁾

وتختزل هذه المطالع ما يريد الراجز التعبير عنه في أرجوزته، مثلما يطالعنا به أشهب العربي في رباعيته في مدح القسطلي؛ إذ وصف ذلك اليوم البهيج وصفاً جميلاً، تحقق له فيه من الهناء والأنس والحبور، ولم يكدر صفاءه شيء⁽¹³⁵⁾:

أفضل ما جاءت به الدهورُ يومٌ حواه كلّـه السـرورُ

وتمّ فيه الأنس والحبورُ ولم يشبب صفاءه تكديرُ

على أن بعض الأراجيز كالطردية، تؤثر الاستهلال بالزمن مدخلاً ملائماً للصيد، ونقطة انطلاق لاسيما في وقت الصباح الباكر، وهو ما طالعنا به ابن حمديس في إحدى طردياته:

لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْحَ قَدْ تَبَدَّى

كَأَنَّه فِي الشَّرْقِ سَيْلٌ مَدَّ⁽¹³⁶⁾

ثانياً: الصورة الفنية في الأرجوزة:

تمثل الصورة الشعرية أحد أبرز عناصر الشعرية في النص الأدبي عامة؛ إذ ينقل مستوى الخطاب من النفعية إلى الجمالية، ومن الإقناع إلى الإمتاع، ويضخ في النص رونق الفن، ويسافر به على بساط الخيال الخلاق.

والصورة تشكيل لغوي خاص، يرتفع الشاعر والراجز بها إلى درجة الشعرية من خلال استعمالها استعمالاً فنياً، فتجد الدال مشحوناً بإيحاءات غنية، تتجاوز مدلوله المعجمي إلى دلالات جديدة، ينهض في رسمها الخيال والسياق والتركيب والمقصد الفني الذي يتوخاه المبدع من ذلك.

ومن ينعم النظر في التشكيل الصوري في الأرجوزة، يرجع بصره بطاقة تصويرية، يشكلها عنصر التشبيه بقدر كبير، تعضده الاستعارة، والأمر اللافت أن الصورة الفنية تتشكل في صور جزئية متعددة، متتابعة، تشكل في النهاية لوحة فنية رائعة.

يعد التشبيه فن العرب الأكثر حضوراً في تشكيل الصورة الشعرية، وقد أدرك النقاد والبلاغيون العرب هذه الأهمية القصوى للتشبيه في الشعر وأنه مكنم الشاعرية، وأشرف الكلام ومظهر الفطنة والبراعة، كما أنه مقتل من مقاتل البلاغة⁽¹³⁷⁾، بل نجده أيضاً ليستحوذ على الذوق الأندلسي كثيراً، ويعد كتاب "التشبيهات من أشعار أهل الأندلس" خير شاهد على ذلك، فهو يعرض في شواهد واختياراته لملكة التصوير عند الأندلسيين في زمن مبكر من تاريخ الشعر الأندلسي "حتى أصبح طلب الصورة فيه غاية كبرى بل أصبح بعد زمن أكبر غاية"⁽¹³⁸⁾.

ولنا أن نقف عند بعض النماذج، نحلل بنية التشبيه، ووظيفته، من ذلك وصف ابن هانئ للجنارة⁽¹³⁹⁾:

وَبُنْتُ أَيْكُ كَالشَّبَابِ النَّضْرِ كَأَنَّهَا بَيْنَ الْغُصُونِ الْخُضْرِ

جَنَّانٌ بَازٍ أَوْ جَنَّانٌ صَقْرٍ قَدْ خَلَفْتَهُ لَقْوَةٌ بُوْكَرٍ

كَأَنَّهَا جَحَّتْ دَمًّا مِنْ نَحْرِ أَوْ نَشَأَتْ فِي تَرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ

أَوْ رُوِيَتْ بِجَدُولٍ مِنْ خَمْرِ أَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرُ صَرْفَ الدَّهْرِ

جَاءَتْ بِمِثْلِ النِّهْدِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَفَتَّرُ عَنْ مِثْلِ الثَّلَاثِ الْحَمْرِ

فابن هانئ في تصويره للجلنارة، يرسم لها صورة تتأسس على التشبيه المتتابع، في بنية يعدد فيها المشبه به، دون ذكر وجه الشبه، ليترك للخيال تخيل هذه النواة، كما ينوع في أداة التشبيه بين الكاف، وكأن، ومثل، مستخدماً حرف العطف: أو للتخيير، مستعرضاً هذه اللقطات، وكأنني به يقلب بصره ويمتحن خياله، لا يدري أي صورة يختار ليقدمها للمتلقي، فمشهد الجلنارة مغرٍ لدرجة أن الراجز ذهب يلتقط لها كل هذه الصور المتنوعة المتتابعة.

يستهل لوحته بتركيب استعاري موجز، في قوله: وبنت أيلك، فهي في انتمائها إلى عالم النبات، أنثى، فبدت لنا الجلنارة من أول منظر أنها بنت على سبيل الاستعارة التصريحية، أو أنه عبر بالبنت كناية عن الجلنارة، ثم ينسج لها صوراً تشبيهية متتابعة في ريعانها ولونها وشكلها، فهي في عنفوانها ونضجها وإشراقه تفتحها، كأنها بنت شابة في مقبل العمر والرونق، وهي ذات لون أحمر قانٍ، وهنا يبرز لنا صورتها اللونية بأكثر من زاوية، فهي في احمرارها كأنها قلب باز أو صقر، أو صغير أنثى عقاب وهو يبدو بلونه الأحمر، واستعمل حرف التشبيه "كأن"، للدلالة على شدة التشابه وعمقه بينها وبين شكل القلب واحمراره، ولم يكتف بذلك، بل دهنه هذه الحمرة الشديدة التي اكتسبتها الجلنارة، وذهب يعلل سرها ومصدرها، موظفاً مرة أخرى "كأن"، فهي كأنها قطعة دم مجت من نحر، أو نزت منه، بل ربما نشأت في تربة من جمرٍ، فهي قطعة جمر، أو لعلها سقيت من خمر، فأخذت لونها، ليصل في النهاية إلى رسم لوحة غزلية تكشف شكلها، وتناسب كونها بنت وأنثى، في بنية تشبيهية من نوع التشبيه التمثيلي، فشبه ثمره الرمان في كرويتها وبروزها من زهرة الجلنارة بالنهد فوق الصدر، وكأنها تفتت، أي تخرج وتتفتح عن اللثا وهو ما حول الأسنان من اللحم، وفي تشبيه الرمان بالنهد صورة معكوسة أو مقلوبة عما دُرَج من تشبيه النهد بالرمان.

إن أكثر أشكال التشبيه دوراناً في الشعر، وأعظمها قدراً من الشاعرية والبلاغة هو الذي تستخدم فيه كأن، لما تقيمه من تخيل، وتنهض به من صورة فنية⁽¹⁴⁰⁾؛ حتى إنها لتعد الأداة الأساسية للتشبيه في الشعر الأندلسي في كتاب "التشبيهات" السالف الذكر⁽¹⁴¹⁾، إذ تستأثر بما يربو على نصف النماذج الشعرية الواردة فيه⁽¹⁴²⁾.

ومما يعزز هذا الأمر ما طالعنا به الكلاعي في تصوير التحية الأخوية التي زفّها لأحد أصدقائه، بقوله⁽¹⁴³⁾:

كأنَّها المسكُ ولا ختمٌ
كأنَّها الشمسُ ولا غمٌ
كأنَّها في اللذة المنمُّ

إن لاستعمال "كأن" هنا دون الكاف، وتكرارها ثلاث مرات أغراضاً بلاغية، فهي أولاً أبلغ من الكاف، في إفادتها تقوية التشبيه، "وهي إنما تستعمل حيث يقوى الشبه، حيث يكاد الرائي يشك في أن المشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس: (كأنه هو)"⁽¹⁴⁴⁾، فأفادت هذه الأداة شدة قرب المشبه وهو هنا

سر لذة الخمرة وفعلها الساحر إنما تأثيرها باجتماع هذين العنصرين، ماء يشعل ويلهب في النفس نار اللذة والنشوة.

هذا، ولم تخل الأرجوزة من الصورة الكنائية، لاسيما في وصف حيوان الصيد كالكلاب، كما في قول ابن حمديس:

يتبعُه كل صيودٍ ضارٍ
ظامي الضلوع، ضامر الأخصارِ
كأنَّه في عقدة الزنَّارِ
بأعينٍ لم تُغضِ من عُوارِ
كالجمر بين الهُدب والأشفار⁽¹⁴⁸⁾

فابن حمديس يرسم صورة ضافية بل قل لوحة فنية لكلب الصيد، منها الصورة الكنائية في قوله: ظامي الضلوع، ضامر الأخصارِ

فإن: ظمأه هنا كناية عن تعطشه للدم، كما إن ضمور أخصاره كناية عن قوته وسرعة جريه وطراده، موظفًا الجناس الناقص بين: ظامي / ضامر، لتعميق دلالة الاختلاء، ومن ثمة السعي لمثله وإشباعه.

هكذا، بدت لنا الصورة الفنية في الأرجوزة، عنصرًا شعريًا يرتقي بالأرجوزة إلى الشعرية، ويضمن لها مكانًا مكيًا في عالم الإبداع الفني.

ثالثًا: الإيقاع الموسيقي:

أ - وزن الأرجوزة:

يعد بحر الرجز هو القالب الوزني الذي نظمت عليه الأرجوزة، وهو بحر مفرد، يتألف من وحدة وزنية سباعية: مستفععلن، المؤلفة من سببين ووتد، "والرجز شعر ابتداءً أجزائه سبيان ثم وتد، وهو وزن سهل في السمع ويقع في النفس، ولذلك جاز أن يقع فيه المشطور وهو الذي ذهب شطره، والمنهوك وهو الذي قد ذهب منه أربعة أجزائه، وبقي جزآن"⁽¹⁴⁹⁾.

وينماز هذا البحر بأنه أكثر البحور اضطرابًا، من حيث تعدد تشكيلاته وصوره، "وسبب اضطرابه جواز حذف حرفين من كل تفعيلة من تفعيلاته، وكثرة إصابته بالزحافات، والعلل، والشطر، والنهك، والجزء، فهو من أكثر البحور تقلبًا، فلا يبقى على حال واحدة. وقيل سمي بذلك؛ لأن الشائع منه المشطور ذو الثلاثة الأجزاء، فهو بهذا شبيه بالراجز من الإبل، وهو ما شُدَّ إحدى يديه، وبقي قائمًا على ثلاث قوائم"⁽¹⁵⁰⁾.

كما إنه "من البحور الكثيرة الاستعمال حتى سمي بمطية الشعراء لكثرة ما ركبوه نظمًا، ونوعوا في تشكيلاته"⁽¹⁵¹⁾. ومن أهم تشكيلاته: الرجز التام الصحيح، التام المقطوع، الرجز المجزوء الصحيح، الرجز

المشطور، وله تشكيلات: المشطور المقطوع: وهو ما كانت عروضه مقطوعة "مستفعل"، وتنقل إلى "مفعولن"، وعروضه هذه هي ضربه على وفق ما يرى العروضيون.

الأنماط الإيقاعية للأرجوزة الأندلسية:

تعددت التشكيلات الإيقاعية وأنماطها في الأرجوزة، تتمثل في الآتي:

1. الرجز المشطور، أو كما تسميه الجواهري مصرع التمام، وهو أن تأتي جميع أبيات الأرجوزة مصرعة، بالتزام القافية الموحدة في كل شطر من أشطر الأرجوزة مهما بلغت من أبيات⁽¹⁵²⁾، وهذا النوع هو الجاري الاستعمال منذ العصر الأموي، كما في أراجيز الشماخ وأبي النجم العجلي والعجاج، وجرير وذو الرمة، وغيرهم ممن نظموا من المخضرمين في الرجز كأبي نخيلة والعماني ورؤبة وبشار⁽¹⁵³⁾. ونظرة في ديوان رؤبة بن العجاج بوصفه أشهر الرجّاز المخضرمين وأكثرهم رجّزاً، نجد أن أراجيزه جميعها قد جاءت من هذا النوع من الرجز المشطور، بل إنه ليعد الصورة الوزنية المفضلة كذلك لأراجيز المدائح والأهاجي والوصف والطرث في العصر العباسي⁽¹⁵⁴⁾.

يمثل هذا النمط الإيقاعي أكثر الأنماط حضوراً في الأرجوزة الأندلسية، وله تشكيلان: المشطور الصحيح والمشطور المقطوع.

أ. المشطور الصحيح: وتأتي تفعيلة عروضه وضربه صحيحة "مستفعلن"، مع جواز أن يدخلها زحاف الخنن أو الطي أو كلاهما. كقول ابن الأبار في مدحته:

أَشْدُو بِهَا وَسَطَ النَّدِيِّ الْحَاشِدِ وَضَّاحَةً مِّنْ غُرْرِ الْمَرَاشِدِ

سَنَا الصَّبَاحَ مِّنْ سَنَاهَا الْوَاقِدِ شَيْدَتْ مَبَانِيهَا عَلَى قَوَاعِدِ⁽¹⁵⁵⁾

ب. المشطور المقطوع: وفيه تكون تفعيلة عروضه وضربه في صيغة "مستفعل"، وتنقل إلى "مفعولن"، وكثيراً ما يدخل عليها زحاف الخنن، فتكون: معولن فتنتقل إلى فعولن. ويكاد هذا الشكل يستحوذ على كثير من الأراجيز. كقول ابن زيدون في أرجوزته البائية:

يَا دَمْعُ صُوبَ مَاشِئْتِ أَنْ تَصُوبَا

وَيَا فُؤَادِي آتِ أَنْ تَذُوبَا⁽¹⁵⁶⁾

وكقول ابن حمديس في طرديته الدالية:

لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْحَ قَدْ تَبَدَّى

كَأَنَّه فِي الشَّرْقِ سَيْلٌ مَدَا⁽¹⁵⁷⁾

وكقول الكلاعي:

زَارَكَ مِّنْ مُّؤْثَرِكَ السَّلَامُ

مُكَرَّرًا مَا كَرَّتِ الْيَّامُ⁽¹⁵⁸⁾

ولعل إيثار هذا الشكل الإيقاعي لأنه يركز الإيقاع أكثر في كلمة القافية، ويمنحها سرعة في الانطلاق، بسبب هذا الاختصار الذي طرأ على التفعيلة، فضمرت حتى بقي منها خمسة حروف في الغالب.

2. **الرجز المزدوج:** "وهو الذي يشتمل كل بيت فيه على قافية ملتزمة بين شطريه، تخالف قافية البيت الذي قبله والبيت الذي بعده"⁽¹⁵⁹⁾، وقد لجأ إليه الشعراء لنظم العلوم والحكمة والمواعظ متحليلين من قيود القافية⁽¹⁶⁰⁾. وقد وقفنا من ذلك على أرجوزة ابن المرباط في إلغازه باسم الصحابي الجليل عثمان بن عفان، في قوله:

يا من أتى بالسحر في إلغازه وبلغ الغاية في إلجازه
إن الذي أخفيته قد ظهرا وكيف يخفى من سناه بهرا
إن تُسقط الأول منه عدد أو ثانيًا جاءك منه بلد⁽¹⁶¹⁾

فأنت ترى بأن القافية تتحد في كل شطري بيت، وتتعدد الأرواء، وتتنوع النغمات، مما خلق إيقاعًا متنوع الموسيقي، والمزدوج هنا يأتي صحيح العروض والقافية عادة.

وفي هذا النمط أو الشكل الإيقاعي صيغت الأراجيز العلمية والتاريخية الأندلسية كأرجوزة الغزال في قوله:

أدركت في المصير ملوكًا أربعة وخامسًا هذا الذي نحن معه⁽¹⁶²⁾

3. **الرجز المثلث:** وتتغير فيه القافية كل ثلاثة أشطر، وتمثل قافية الشطر الرابع القافية المركزية، قافية العمود، وهي التي تتكرر في الأرجوزة كلها. ولعل هذا الشكل الإيقاعي مهد لظهور المخمس الشعري.

من أمثلة ذلك كالأرجوزة المدحية الدالية في الوزير ابن عصام:

أهلاً بعيد عاد فيه السعد الشكر لله به والحمد
فكلنا لدى "الوزير" يشدو جاءت بما أملت به الأعياد
يا كعبة طاف بها حجاجها ينير في جُنب الدجى سراجها
وللهدى سيرا منهاجها فيحمد الإصدار والإيراد
يا من تحلى بالسناء والسنى وخوفنا من الزمان أمانا
يا جنة يجنى بها زهر المني وموردًا يُروى بها الورد⁽¹⁶³⁾

ونلاحظ أن في هذا التناوب الإيقاعي من انتقالات موسيقية، تغني الإيقاع والدلالة معًا، كما أنه يجمع بين عنصري التماثل والاختلاف، فالثلاثة الأشطر الأولى تتفق في قافية واحدة، وتختلف مع نظيراتها في المجموعات التالية، بينما تتفق جميعها في قافية الدال، التي تمثل الخيط الذي يجمع الجميع.

أَغْرَرَ وَضَّاحِ الْجَبِينِ أَرْوَعَ	لِلَّهِ دُرٌّ مَاجِدٌ سَمِيحٌ دَعِ
بِحُودِهِ الْعَذْبِ الْمَعِينِ الْمَشْرِعِ	يَقْضُحُ صَوْبَ الْغَادِيَاتِ الْهُمَّعِ
جَلَّ عَنْ الْمِيزَانِ وَالْمِيزَامِ	صَلَّتِ كَمَثْنِ الْمُقْضَبِ الْحُسَامِ
وَالْجَيْشِ يَوْمَ الرُّوعِ ذَا الْبِسامِ	يَلْقَى الْغَفَاءَةَ مُشْرِقَ الْقَسَامِ
وَسَاعَةَ النَّزَالِ لَيْثَ الْجَحْفَلِ	إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْصُرَ بَدْرَ الْحَفْلِ
فَقِفْ بِمَعْنَاهِ وَنَادِ "يَاعَلِي" (164)	وَالسَّانَةَ الشَّهْبَاءَ غِيثَ الْمُحْلِ

أَلْبَسْنَا تَنَا فَالْبَسْنَا تَنَا ثَوْبَ الرِّضَا وَاعْنَيْتَنَا

هَدَيْتَنَا أَهْمَ دَيْتَنَا لَحِظْتَنَا أَحْظَيْتَنَا

ب - القافية والروي:

(167) **وَبُلْدَةٍ عَادِيَّةٍ الْبَنَاءِ** **فَسِيحَةُ الْأَقْطَارِ وَالْأَرْجَاءِ**

ففي أرجوزة ابن أبي الصلت في وصفه مدينة الإسكندرية جاءت القافية مطلقة بالكسر مردفة بالألف وهي من نوع المتواتر: "جاء"، وروبيها الهمزة، ومجراها الكسرة، وقد منحت الألفات المتتابعة في: عادية/ البناء/ الأقطار/ الأرجاء دلالة الامتداد الصوتي الذي اتسق مع الامتداد المكاني والجغرافي.

تعد القافية من نوع المردفة والمؤسسة من أغنى القوافي موسيقية، فهي "تمثل مظهر الثراء الموسيقي والكثافة الصوتية، باهتمامها على أعلى قدر من الأصوات المتكررة"⁽¹⁶⁹⁾، وهي كثيرًا ما تأتي عليها الأرجوزة كما في بائية ابن زيدون؛ إذ جاءت القافية مطلقة، مردفة بالواو، معززة بألف الإطلاق، ومن نوع المتواتر، وروبيها الباء، ومجراها الفتحة، وهذان المدان يمنحان أيضًا امتدادًا صوتيًا يعزز هذا الانصباب للدمع.

يا دَمْعُ صُـبِّ مَاشِئْتِ أَنْ تَصُوبَا⁽¹⁷⁰⁾

وأحيانًا نجد الراجز يجمع في القافية المردفة بين الواو والياء، كما في قول ابن أبي الصلت:

وليلةٍ دائمة الغسـوقِ بعيـدة الممسـى من الشـروقِ

كليلة المتـسيم المشـوقِ أطالَ في ظلمائـها تـأريـقي⁽¹⁷¹⁾

ومن المؤسسة قول ابن الأبار في دليته:

أشدو بها وسطَ النديِّ الحاشـدِ وضّاحةً من عُـررِ المراشـدِ⁽¹⁷²⁾

فالقافية: "راشد، قافية مطلقة، مؤسسة، متدارك، وروبيها الدال المكسور.

أما القافية في الأشكال الإيقاعية الأخرى، فإنها تأتي متعددة كما رأينا، فتجمع الأرجوزة الواحدة أكثر من قافية، ومن روي. ونجد هذا التنوع القافوي مثلًا في الرجز المربع:

لله دُرٌّ ماجـدٍ سَمِيـدٍ أغـرَّ وضّاح الجبـين أروـعِ

يفضـح صوبَ الغاـديـاتِ الهُـمِّعِ بجوده العذـبِ المعين المشـرعِ

صَلَّتْ كَمَثْنِ الْمُقْضَبِ الحُـسَامِ جَلَّ عَن المِـرْءِ والمُـسَامِ

يلقى العُفَاةَ مُشْرِقَ القَسَامِ والجيشَ يوم الرُّوعِ ذا البَسَامِ

إِنْ شِئْتُ أَنْ تَبْصُرَ بَدْرَ المَحْفَلِ وساعةَ النَّزَالِ لَيْثَ الجَحْفَلِ

والسَّنةَ الشَّهْبَاءَ غِيثَ المَحْمَلِ فقفْ بمعناه ونادِ "ياعلي"⁽¹⁷³⁾

ففي هذا المقطع تجتمع ثلاث قوافٍ مطلقة عينية، ميمية، لامية، وهنّ: أروع/ سام، جحفَل. فالأولى والثالثة لهما شكل قافوي واحد كونهما مجردتين، خلتا من حرفي الردف والتأسيس، ومن نوع المتدارك، توسطتهما القافية المردفة بالألف. وكل نوع منها يتكرر أربع مرات في مجموعته، فكان الإيقاع منازحًا صوتيًا، فينتقل بسرعة ما، ثم يتمهل بسبب مد الألف في القافية المتوسطة، ثم يرجع سيرته الأولى بسرعة. هكذا: أروع (0//0/)، سَام (0/0/)، جَحْفَل (0//0/).

الإيقاع الداخلي: يتآزر الإيقاع الشعري بعناصر صوتية تنبع من التكرار بأنواعه، الحرفي، واللفظي، والبديعي. فمن أمثلة ذلك قول ابن الأبار في مديحه:

أشدو بها وسطَ النديِّ الحاشدِ وضّاحةً من غُررِ المَرشَدِ
سنا الصّباح من سناها الواقدِ شيدت مبانيها على قواعد⁽¹⁷⁴⁾

أتت هذه الأشطر غنية بإيقاع داخلي ملؤه تكرار حروف بعينها وألفاظ، فتكرر حرف الشين في: أشدو/ الحاشد/ المَرشد/ شيدت، مما أغنى البيتين إيقاعياً، بما فيها من صفة التفشي وهي انتشار الصوت والهواء محدثاً جرساً متساوفاً مع الرغبة في الإعلان والإعلام بالفرحة، يعضده إيقاع الفعل: أشدو الدال على الترم، وفي: سنا/ سناها، تكرار لفظي، وفيهما السين والمد، مما منح الموقف طاقة صوتية كثيفة عززت من وظيفة هذا الإيقاع ودلالته في البوح بالحبور والسرور الذي يتجلى على الحيا إشراقاً وبهاءً.

وعند ابن زيدون يتجلى الإيقاع واضحاً في أرجوزته منذ المطلع، فإن في قوله "صُب" ، وانتهاءً بـ "تصوبا"، تناغماً موسيقياً قوامه هذا التكرار في المادة، حيث الجناس الاشتقاقي، وكذا في مقارنته بين حرف "أَنْ" والفعل "أَنْ"، من المجانسة التي كثفت الإيقاع، ناهيك عن تكرار أسلوب النداء بـ "يا"، والإلحاح عليه، مما عزز دلالة الحاجة إلى البوح النفسي وطلب التخفف من معاناة الغربة عن طريق ذرف الدموع.

يا دَمْعُ صُوبٍ ما شِئْتُ أَنْ تصوباً
ويا فـؤادي أَنْ تـذوباً⁽¹⁷⁵⁾

ونجد التردد لفعل الأوبة في منتهى الأرجوزة، مما يشي برغبة الذات الراجزة أن تحرزه وتنجح في تحقيقه، فهو مرادها، وأملها، وبه ترسو على بر الأمان.

إِنْ قـرّت العـينُ أَنْ أووبـاً
... قد ينفـع المـذنبُ أَنْ يؤوبـاً⁽¹⁷⁶⁾

ويتعاضم الإيقاع الداخلي في هذا المقطع الرجزى:

أهلاً بعيدٍ عادَ فيه السعدُ الشـكرُ لله بهـ والحمـدُ
فكلُّنا لدى "الوزير" يشدو جاءت بما أمّلتـه الأعيـادُ
يا كعبةً طافَ بها حُجّاجُها ينيرُ في جُـنحِ الدُّجى سـراجُها
وللهـدى سـيرنا منهاجُها فيحمـدُ الإصـدارُ والإيـرادُ
يا من تحلّى بالسـناء والسنى وخوفُنا من الزـمانِ أـمنا
يا جنّةً يُجنى بها زهرُ المـنى ومـورداً يُروى بها الـورادُ⁽¹⁷⁷⁾

حفل هذا المقطع بطاقة إيقاعية تولدت من تكرار حرف الدال في مستهله: بعيد/ عاد/ السعد/ الحمد، ثم بدلالة الفعل: "يشدو" الصوتية، ومن تكرار أسلوب النداء ثلاث مرات، وهو أسلوب إنشائي انزاح عن معناه الأصلي من طلب الإقبال إلى معنى بلاغي وهو الإشادة بخلال المنادى وإكباره وإجلاله، لذلك فقد بثّ الراجز قيمًا موسيقية حقّت بهذا الأسلوب، من الجناس الاشتقائي في: السناء: السنى، جنّة/ يُجنّى، موردًا/ الورد، وكل ذلك ضحّ في هذا المقطع من مظاهر الإيقاع الصوتي والموسيقى، بما عزز من دلالة الإشادة والمدح والإطراء.

غير أن أبرز عنصر إيقاعي كان معلمًا من معالم الإيقاع في الأرجوزة هو التصريع، الذي تبنى عليه، وهو توافق نهايات الأشرطة وزنًا وتقفية، مما يوحد النغمة الموسيقية في هذه المراكز القافوية. والتصريع يكون عادة في المطالع في القصيدة، بينما يشمل كل الأشرطة في الأرجوزة، وهو ميسم التمايز الإيقاعي بين النوعين الشعريين. ولك أن تأخذ أي مثال من أي أرجوزة تجد التصريع عنصرًا بنائيًا إيقاعيًا، كما في أرجوزة ابن حمديس الميمية مثلًا⁽¹⁷⁸⁾:

وصاحبٍ بصحةٍ بلا سقمٍ مساعدٍ في كلٍّ أمرٍ لا يُذمُّ
يقول في لا: لا، وفي نعم: نعم لا ناكبٌ عن فتيةٍ ولا برمٍ
فأنت ترى التقابل والتناظر الإيقاعي بين: بلا سقمٍ/ رٍ لا يذمُّ، نعم نعم/ ولا برمٍ، فجاءت الأشرطة مصرعةً، صحيحة التفعيلة "مستفعلن"، التي خضعت لرحاف الخبن، مع اتفاقها في روي الميم الساكن.
وكقول ابن هانئ في وصف جلنارة⁽¹⁷⁹⁾:

وبنتٍ أيكٍ كالشباب النضرٍ كأثها بين الغصون الحضرٍ
جنانٌ بازٍ أو جنان صقرٍ قد خلفته لَقْوَةٌ بوكرٍ
كأثما مجّث دَمًا من نحرٍ أو نشأت في تربةٍ من جمرٍ
فكان التصريع في المطالع كالآتي: بِ التُّضْرِ/ زِ الحُضْرِ: مستفعل/ مستفعل. ثم عقبه تصريع بوزن: فعولن في الشطرين التاليين: نُ صَقْرٍ/ بُوكرٍ، وبوزن: مستفعل في الشطرين الخامس والسادس: مِنْ نَحْرٍ/ مِنْ جَمْرٍ. ولا شك أن التشابه في الوزن الصرفي في كلمات القافية كونهن ثلاثية البناء، عزز من الإيقاع الداخلي أيضًا.

وبذا، حققت الأرجوزة عنصرًا شعريًا آخر، يتمثل في الإيقاع الموسيقي على مستوى بحرهما وتشكلاته، وقوافيها، التي يأتي منها المنساب والمتناوب، ليكتمل ويتكامل بجرس التكرار المنبعث من الحروف والألفاظ والأساليب.

خاتمة:

سعى البحث إلى دراسة فن الأرجوزة في الشعر الأندلسي، كاشفًا عن إبداع شعراء الأندلس في هذا النوع الشعري، منطلقًا من تنظير القدماء عن مفهوم شعر الرجز، ومعرفًا به لغة واصطلاحًا، كما سعى البحث إلى رفع اللبس والخلط بين الرجز فنًا شعريًا، ووزنًا عروضيًا، ومباينة للقصيد، من أوجه معلومة. كما تناول البحث أبرز مكونات الأرجوزة الشعرية، الموضوع الشعري، والصورة الفنية، والإيقاع الموسيقي. وخلص إلى الآتي:

1. الأرجوزة الشعرية هي فن شعري، يقابل القصيدة، تنزاح عنها في البناء الإيقاعي والأداء اللغوي، وتبنى على وزن واحد وهو الرجز، موحد القافية كما في صورة المشطور غالبًا، أو المنهوك، أو منوع القافية كالمزدوج وغيره من أنماط إيقاعية أخرى، ونادرًا ما تكون في غير ذلك إلا إذا سلك فيها مسلك الترم. وبذا، فإننا قد استبعدنا نصوصًا شعرية نظمت على بحر الرجز التام والمجزوء، كونها تنتمي إلى شعر القصيد، وتباين الأرجوزة في بنائها ووظيفتها الإيقاعية.

2. شارك بعض شعراء الأندلس في هذا الفن، دون استكثار منه، ولعل مرجع ذلك نظرة البعض إلى الرجز أنه دون مستوى القصيد، ولا يليق بفحول الشعراء، وإنما كانت المشاركة للتدليل على الاقتدار في النظم فيه، ولعل ظهور فنون شعرية كالموشحات والأزجال والمخمصات استقطبت كثيرًا من الشعراء.

3. تناولت الأرجوزة في الأندلس موضوعات شعرية، نافست فيها القصيد، كالشوق والحنين، والمدح، والوصف، والخمرة، والمواظ، كما اختصت الأرجوزة بالحديث عن الطرد والصيد، إذ جاء مستقلًا، لا ضمن موضوعات القصيدة. وكشفت لنا هذه الموضوعات كيف استطاعت الأرجوزة في وزن واحد أن تعبر عن كل هذه الموضوعات الشعرية الذاتية والغيرية، في بناء شعري مكتمل.

4. عاجلت الأرجوزة العلمية الموضوعات العلمية، فنظمت العلوم والمعارف والتاريخ، فعرفت المنظومات التاريخية كمنظومة الغزال، وابن عبدربه، وغيرهما، وكذلك المنظومات العلمية في النحو والعروض، والفرائض والقراءات وغير ذلك في قالب الرجز المزدوج.

5. لم تسلك الأرجوزة في نهجها البنائي مسلكًا معهودًا أو مقيّدًا، مثلما هي عليه القصيدة من حيث الابتداء بمقدمة طلبية أو غزلية أو غيرها، حتى في الأراجيز المدحية، بل خلت من ذلك كله، ويعد هذا الأمر أحد العلامات المائزة بين الأرجوزة الأندلسية والقصيدة، ومرد ذلك - في نظرنا - إلى طبيعة هذا النوع الشعري وكيونته، من حيث ما يتيح من سهولة النظم عليه وسرعته والارتجال في الموقف والمقام، والانطلاق في ذلك دون تقاليد معينة.

6. تنوعت لغة الأرجوزة الأندلسية فاتسمت تارة بالجزالة والرصانة والغربة، وهو أمر يبرز تضلع رجاز الأندلس في اللغة وتمكنهم فيها، كابن حمديس وابن الأبار والكلاعي، كما جاءت اللغة عند البعض الآخر متممة بالركة والوضوح كما عند ابن أبي الصلت وابن هانئ الأندلسي، مما يدل على تفاوت لغة الأرجوزة جزالة وسلاسة بحسب طبيعة موضوعها، وثقافة الراجز.

7. جاءت الصورة الفنية في الأرجوزة، عنصرًا شعريًا ارتقى بها إلى الشعرية، وضمن لها مكانًا مكيّنًا في عالم الإبداع الفني، وتشكلت من الصورة التشبيهية لاسيما التي بنيت كثيرًا على حرف التشبيه "كأن"، للدلالة على قوة الشبه بين طرفي التشبيه، كما أضفت الاستعارة الحركية والحيوية على الصورة، وكان للون فعالية في رسم العديد من الصور، واستطاع رجاز الأندلس أن يبدعوا صورًا فيها من الطرافة والنضج الفني ما جعلها تأتي في شكل لوحات فنية رائعة الرونق والمنظر.
8. للأرجوزة أنماط إيقاعية متعددة، كلها تبنى على بحر الرجز، يأتي على رأسها الرجز المشطور الذي يكاد يستحوذ على أراجيز الأندلس الشعرية، وهو شكل أو نمط ميّز الأرجوزة بنائياً وإيقاعياً عن القصيدة، كون الوحدة البنائية هي الشطر لا البيت. ومن هذه الأنماط أيضًا الرجز المزدوج ولعله شكل أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، ثم الرجز المثلث، والمربع، وأخيرًا الرجز المجزوء، الذي جاء محققًا لوظيفة إيقاعية هي من مظاهر فن الأرجوزة من الترم والتغني.
- عزز التصريح الإيقاع الداخلي في الأرجوزة، ويعد التصريح أحد ما يميز الأرجوزة عن القصيدة الذي يختص بمطلعها غالبًا، ليتجاوز ذلك ويشمل كل أجزاء وأشطر الأرجوزة، فيشيع فيها إيقاعًا متسقًا ترنيمياً. كما أن هناك عناصر عززت من الإيقاع تنسلّ من عنصر التكرار في الحروف والألفاظ والأساليب، وللتشقيق والتجنيس وظيفة إيقاعية لا تخفى.

الهوامش:

- (1) المدخل إلى الأرجوزة العربية، د. المهدي لعرج، ص5.
- (2) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ج3/ ص829.
- (3) معجم مقاييس اللغة، لأبن فارس، ج2/ 489.
- (4) الرجز، نشأته ص13.
- (5) تاج العروس، ج15/ ص148.
- (6) الرجز، نشأته، ص14.
- (7) فن الرجز في العصر العباسي، ص20.
- (8) لسان العرب، مادة "رجز".
- (9) لسان العرب: مادة "رجز".
- (10) أراجيز العرب، محمد توفيق البكري، ص4.
- (11) نفسه، ص3.
- (12) فن الرجز وتطوره في العصر الأموي، ص162.
- (13) بنية القصيدة حتى نهاية العصر الأموي قصيدة المديح نموذجاً، د. وهب رومية، ص377.
- (14) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1/ ص613. وانظر: العمدة لابن رشيق ج1/ ص78.
- (15) مقدمة ديوان العجاج، ص21.
- (16) الشعر العربي في القرن الأول الهجري، د. هدارة، ص72.
- (17) مقدمة ديوان العجاج، ص21.
- (18) انظر: فن الرجز في العصر العباسي، ص397.
- (19) المدخل إلى الأرجوزة: ص11
- (20) أراجيز العرب، البكري، ص3.
- (21) فن التقطيع العروضي، ص123.
- (22) انظر مثلاً: موسيقى الشعر العربي، محمود فاخوري، ص69. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. إميل بديع يعقوب، ص23.
- (23) مقدمة تحقيق ديوان العجاج، تحقيق عزة حسن، ص19.
- (24) البناء العروضي لقصيدة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص65.
- (25) نفسه ص230، 231.
- (26) لسان العرب، مادة رجز.
- (27) الرجز، نشأته وأنواعه، ص50.
- (28) المدخل إلى الأرجوزة العربية، ص17.
- (29) فن الرجز في العصر العباسي، د. رجاء السيد الجوهري، ص10.
- (30) موسيقى الشعر، ص130.
- (31) فن الرجز في العصر العباسي، ص324.
- (32) انظر مثلاً أرجوزة مهيار الديلمي ص486.
- (33) نفسه، ص424.

- (34) قصائد ومقطعات، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ص11.
- (35) ديوان ابن حمديس: ص85.
- (36) نفسه: ص300.
- (37) ديوان أمية بن أبي الصلت: ص69.
- (38) ديوان ابن الخطيب: ج2/ ص512.
- (39) ديوان ابن زمرك: ص150.
- (40) العمدة لابن رشيق: ج1/ ص78.
- (41) انظر: القوافي للأخفش، تحقيق عزت حسن، ص68.
- (42) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، ج2/ 737. 767.
- (43) البيان والتبيين ج1/ ص209، 282.
- (44) العمدة لابن رشيق ج1/ ص158.
- (45) العمدة لابن رشيق: ج1/ ص78.
- (46) العروض والقافية دراسة في التأسيس والاستدراك ص36
- (47) المرجع السابق نفسه.
- (48) فن الرجز وتطوره في العصر الأموي، د. محمد أحمد العامري، ص160.
- (49) الرجز، نشأته: ص161،
- (50) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. هدارة، ص357.
- (51) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ص241.
- (52) انظر: المغرب في حلى المغرب: ج1/ ص114، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ص306. و "تاريخ آداب العرب"، للرافعي، ج3/ ص207.
- (53) تاريخ الأدب العربي، ص230. وانظر "شعر يحيى بن حكم الغزال" جمع وتوثيق ودراسة د. علي الغريب محمد الشناوي، ص198. نفع الطيب: ج1/ ص282. تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، د. إحسان، ص94.
- (54) شعر يحيى بن حكم الغزال، ص198.
- (55) انظر الأرجوزة: العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ج4/ ص501.
- (56) تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة، ص94.
- (57) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات "الأندلس"، د. شوقي ضيف ص249. ونص الأرجوزة في "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام بتحقيق سالم مصطفى البدر، ج1/ ص576.
- (58) برنامج التحجيج، ص266.
- (59) تاريخ الأدب الأندلسي . عصر سيادة قرطبة، ص95.
- (60) انظرها في العقد الفريد، ج5/ ص430.
- (61) السفر الخامس من الذيل والتكملة، ج1/ ص276.
- (62) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، للمراكشي، تحقيق د. محمد بن شريفة، السفر الثامن، القسم الثاني، ص282.
- (63) الذيل والتكملة، ج3/ ص312. السفر الخامس/ ج1، ص372.
- (64) نفسه، تحقيق د. محمد بن شريفة، السفر الثامن، القسم الثاني، ص282.

- (65) المصدر السابق، ص384.
- (66) المصدر السابق، ص384.
- (67) انظر: برنامج التجيبي، ص276.
- (68) المصدر السابق.
- (69) المصدر السابق، ص282.
- (70) الذيل والتكملة، ج1/ ص426.
- (71) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر، ص74.
- (72) نفسه، ص74.
- (73) انظر: بحثنا عن: "المخمس الشعري عند ابن زيدون، دراسة فنية إيقاعية، بحث قيد النشر في مجلة إريد للبحوث . الأردن.
- (74) الرجز، نشأته وأنواعه، ص50.
- (75) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص184.
- (76) بنية القصيدة: ص411.
- (77) الغرية والحنين في الشعر الأندلسي، د. فاطمة طحطح، ص80.
- (78) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص185.
- (79) عناصر الإبداع الشعري ص73.
- (80) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص186.
- (81) ديوان ابن الأبار: ص141.
- (82) نفسه: ص142.
- (83) انظر: العين: ج5/ ص290، تاج العروس: ج8/ ص251. لسان العرب: مادة "شكد".
- (84) المصدر نفسه: ص142، 143.
- (85) الرجز، نشأته، ص161.
- (86) ديوان ابن الأبار: ص144.
- (87) المصدر نفسه: ص144.
- (88) انظر ترجمته: هامش زواهر الفكر وجواهر الفقر، لأبي العلاء محمد بن علي ابن المرباط المرادي، تحقيق د. أحمد المصباحي، ج2/ ص447.
- (89) زواهر الفكر: ج2/ ص456.
- (90) المصدر السابق: ج2/ ص456، 457.
- (91) نفسه: ج2/ ص458..
- (92) نفسه: ج2/ ص483.
- (93) المصدر نفسه: ج2/ ص484.
- (94) ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، تحقيق عبد الله محمد الهوني، ص29.
- (95) المصدر نفسه، ص29، 30.
- (96) ديوان ابن أبي الصلت: ص77.
- (97) المصدر نفسه، ص77.
- (98) المصدر نفسه: ص84.

- (99) انظر ديوان ابن هانئ الأندلسي: ص175.
- (100) الصحاح: ج2/ ص499
- (101) الديوان ص238.
- (102) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص236.
- (103) ديوان ابن هانئ ص238.
- (104) المصدر السابق ص239.
- (105) المصدر نفسه: ص239.
- (106) انظر البيت 36، من هذه الأرجوزة: زواجر الفكر: ج1/ ص131.
- (107) زواجر الفكر: ج1/ ص129، 130.
- (108) المصدر نفسه: ج1/ ص130، 131.
- (109) المصدر نفسه: ج1/ ص132.
- (110) المصدر نفسه: ج1/ ص133.
- (111) زواجر الفكر: ج1/ ص90.
- (112) الرجز، نشأته، ص347.
- (113) طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ص66، 67.
- (114) فن الرجز في العصر العباسي: ص245.
- (115) نفسه: ص266.
- (116) انظرهن في ديوانه: ص127، 188، 421.
- (117) فن الرجز في الشعر العباسي: ص79. وانظر ص409 فما فوق.
- (118) ديوان ابن حمديس: ص127..
- (119) المصدر نفسه: ص127..
- (120) المصدر نفسه: ص128.
- (121) ديوان ابن حمديس: ص188.
- (122) المصدر نفسه: ص189.
- (123) ديوان ابن حمديس: ص190. وانظر ص191.
- (124) زواجر الفكر: ج2/ ص460.
- (125) المصدر نفسه: ج2/ ص462.
- (126) انظر: بناء القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي (595هـ - 658هـ) شاكرك لقمان، أطروحة دكتوراه، كلية اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر. باتنة، الجزائر، ص140.
- (127) ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، ص29.
- (128) ديوان ابن هانئ: ص238.
- (129) ديوان ابن حمديس: ص188.
- (130) ديوان ابن هانئ الأندلسي: ص175.
- (131) تفسير أرجوزة أبي نواس: ص10.
- (132) زواجر الفكر: ج2/ ص483.

- (133) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1/ص181.
- (134) ديوان ابن الأبار: ص141.
- (135) زواهر الفكر: ج2/ص456.
- (136) ديوان ابن حمديس: ص127..
- (137) إنتاج الدلالة الأدبية، ص220.
- (138) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن الكتاني الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ص16. وانظر تحليل عن الكتاب: "إنتاج الدلالة الأدبية: ص217. 254.
- (139) ديوان ابن هانئ الأندلسي: ص175.
- (140) إنتاج الدلالة: ص250.
- (141) نفسه: ص249.
- (142) نفسه: ص250.
- (143) زواهر الفكر: ج1/ص130، 131.
- (144) منهاج البلغاء: ص390.
- (145) إنتاج الدلالة: ص249.
- (146) نفسه ص262.
- (147) ديوان ابن حمديس: ص188.
- (148) نفسه: ص190. وانظر ص191.
- (149) لسان العرب: مادة "رجز" ..
- (150) المرشد الكافي إلى العروض والقوافي، د. محمد بن حسن بن عثمان، ص79.
- (151) موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي، ص53.
- (152) فن الرجز في العصر العباسي، ص419.
- (153) نفسه: ص419.
- (154) نفسه: ص420..
- (155) ديوان ابن الأبار: ص141.
- (156) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص184.
- (157) ديوان ابن حمديس: ص127..
- (158) زواهر الفكر: ج1/ص129، 130.
- (159) فن الرجز، ص426.
- (160) نفسه.
- (161) زواهر الفكر: ج1/ص90.
- (162) شعر يحيى بن حكم الغزال، ص198.
- (163) زواهر الفكر: ج2/ص483.
- (164) المصدر نفسه: ج2/ص456، 457.
- (165) علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، ص74.
- (166) ديوان ابن زمرك: ص150.

- (167) ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، ص29.
- (168) البناء العروضي ص176.
- (169) خصائص القافية في شعر ابن خفاجة، د. خالد عمر باوزير، مجلة الريان للعلوم الإنسانية والتطبيقية، مج3، ع2، ديسمبر 2020، ص159.
- (170) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص184.
- (171) ديوان ابن أبي الصلت: ص84.
- (172) ديوان ابن الأبار: ص141.
- (173) زواهر الفكر: ج2/ ص456، 457.
- (174) ديوان ابن الأبار: ص141.
- (175) ديوان ابن زيدون، ورسائله، ص184.
- (176) المصدر نفسه، ص186.
- (177) زواهر الفكر: ج2/ ص483.
- (178) ديوان ابن حمديس: ص421.
- (179) ديوان ابن هانئ الأندلسي: ص175.

قائمة المصادر والمراجع:

1. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، القاهرة 1963م.
2. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، دار المعارف، 1985م.
3. أراجيز العرب، محمد توفيق البكري، ط2، 1346هـ. مصر.
4. إنتاج الدلالة الأدبية، د. صلاح فضل، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
5. برنامج التحجي، القاسم بن يوسف التحجي السبتي (ت730هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب.
6. البناء العروضي للقصيد العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ، 1999م.
7. بناء القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي (595هـ - 658هـ) شاعر لقمان، أطروحة دكتوراه، كلية اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 1433هـ / 1434هـ. 2012م / 2013م.
8. بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي، (قصيدة المديح نموذجًا)، د. وهب رومية، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1418هـ. 1997م.
9. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي. القاهرة، 1960م.
10. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
11. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.
12. تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة"، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع/عمان، ط1، 1997م.
13. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات "الأندلس"، د. شوقي ضيف، ط3، دار المعارف.

14. تفسير أرجوزة أبي نواس في تقرّظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2.
15. خصائص القافية في شعر ابن خفاجة، د. خالد عمر باوزير، مجلة الريان للعلوم الإنسانية والتطبيقية، مج3، ع2، ديسمبر 2020م.
16. ديوان ابن الأبار لأبي عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، قراءة وتعليق الأستاذ عبد السلام الهزاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1420هـ. 1999م.
17. ديوان ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب السليماني، صنعه وحققه وقدم له د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء. المغرب، ط2، 1428هـ. 2007م.
18. ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د. إحسان عباس، دار صادر. بيروت.
19. ديوان ابن زمرك الأندلسي: محمد بن يوسف الصريحي، تحقيق، د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
20. ديوان ابن زيدون ورسائله شرح وتحقيق علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة الدكتور محمد إحسان النص، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط3، 2004م.
21. ديوان ابن هانئ الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1400هـ، 1980م.
22. ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريش الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت لبنان، حلب سورية 1416هـ/ 1995م.
23. ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي، تحقيق عبد الله محمد الهوني، دار الأوزاعي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1410هـ. 1990م.
24. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتري (ت 542هـ)، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 1419هـ. 1998م.
25. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق د. محمد بن شريفة، السفر الثامن، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
26. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي، السفر الخامس، حققه وعلق عليه د. إحسان عباس، ود. محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.
27. الرجز، نشأته، أشهر شعرائه، جمال نجم العبيدي، مطبعة الأديب البغدادية، 1971م.
28. زواهر الفكر وجواهر الفقر، لأبي العلاء محمد بن علي ابن المرباط المرادي، تحقيق د. أحمد المصباحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية، ط1، 1431هـ. 2010.
29. الشعر العربي في القرن الأول الهجري، د. محمد مصطفى هدارة، (د. ت.).

30. الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
31. شعر يحيى بن حكم الغزال "جمع وتوثيق ودراسة د. علي الغريب الشناوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004م.
32. الصحاح لأبي نصر الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
33. طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر.
34. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجهمي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة 1974م.
35. العروض والقافية، دراسة في التأسيس والاستدراك، د. محمد العلمي، دار الثقافة . الدار البيضاء المغرب، ط1، 1404هـ. 1983م.
36. العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1363هـ. 1944م.
37. علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1407هـ. 1987م.
38. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، ط1، 2006م.
39. عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر، مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين، الكويت، 2004م.
40. العين للتحليل، تحقيق د. محمد المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
41. الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، د. فاطمة طحطح، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1/ 1993م.
42. فن الرجز في العصر العباسي، د. رجاء السيد الجوهري، منشأة المعارف . الإسكندرية.
43. فن الرجز وتطوره في العصر الأموي، د. محمد أحمد العامري، مجلة المهرة للعلوم الإنسانية، / كلية التربية، المهرة، ع10، شوال/ ذي القعدة 1442هـ/ يونيو 2021م.
44. قصائد ومقطعات، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس 1972م.
45. كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن الكتاني الطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
46. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.
47. المخمس الشعري عند ابن زيدون، دراسة فنية وإيقاعية، بحث قيد النشر في مجلة إريد للبحوث، الأردن.
48. المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربية، د. المهدي لعرج، أفريقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، 2011م.
49. المرشد الكافي إلى العروض والقوافي، د. محمد بن حسن بن عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1425هـ. 2004م.
50. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبدالله الطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1970م.

51. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1411هـ. 1991م.
52. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج489/2.
53. المغرب في حلى المغرب لأبي سعيد علي المغربي، حققه وعلق عليه د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط4.
54. منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط3، 1986م.
55. موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997م.
56. موسيقى الشعر العربي، محمود فاحوري، منشورات جامعة حلب، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1416هـ/1996م.
57. موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م.
58. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن المقرئ التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، لبنان، بيروت، 2004م.

The Art of *Argoza* (Work Songs) in Andalusians Poetry

Dr. Khalid Omer Mohammed Bawazir

Abstract:

The research seeks to reveal the creativity of the Andalusians in the art of *Argoza* (work songs), starting from the concept of *rajaz*, which is the denominator of the poem, and is based on the rhyme of the often divided *rajaz*. Then the second topic came to know the topics of the art of the *Argoza* such as longing, praise, description, wine, eviction, and so on. In the third topic, we dealt with the artistic construction such as artistic image and others, and the rhythmic construction, highlighting the rhythmic patterns of the *Argoza* and its formations of the fragmented and double, the triangle, the square and all of which reached the Andalusian *Arjoza* is a poetic quantity, which competed with the poem.

In our research, we followed a method where technical and objective description and analysis were used, to reach our goal, which is to reveal the artistry and poeticity of this creativity, especially in its three axes or components of the poetic subject, an artistic image and a musical rhythm

تفشي ظاهرة الفساد الإداري والمالي في ظل وجود أجهزة رقابية للدولة (دراسة استكشافية)

د. محمد أبوبكر محمد باعبد
أستاذ المحاسبة المساعد، قسم المحاسبة
كلية العلوم الإدارية، جامعة حضرموت

الملخص:

يستهدف البحث اكتشاف العوامل التي تؤثر في كفاية أعمال الأجهزة الرقابية في الدولة، والتي كانت نتاجاً واضحاً لانتشار الفساد المالي والإداري بشكل كبير. ولاكتشاف هذا الوضع كان لابد من تحديد الأسلوب المناسب للدراسة. فمن الطبيعي لمعرفة الوضع المجهول من إجراء دراسة استكشافية تكون فيها أداة المقابلات الشخصية هي الأداة الأفضل لهذا النوع من الدراسات. تم اختيار عينات عشوائية من الأجهزة الرقابية جميعها باستثناء هيئة مكافحة الفساد؛ نظراً لعدم توفر الكادر الفني في فروعها. تم أخذ خمسة مستجيبين من كل مجموعة (من كل جهاز رقابي)، الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (رقابة مالية وإدارية لاحقة)، ومكاتب وزارة المالية (رقابة مالية مصاحبة)، ومكاتب وزارة الخدمة المدنية (رقابة إدارية مصاحبة)، كذلك تم أخذ عينة عشوائية من المسؤولين الحكوميين، تتكون من خمسة أشخاص وهم من يحملون لقب وكيل فما فوق. وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن العوامل التي تؤثر في كفاية الأجهزة الرقابية للدولة وانتشار الفساد الإداري والمالي فيها، كانت على النحو الآتي: (1) ضعف القوانين النافذة، (2) عدم الترابط بين الأجهزة الرقابية، (3) عدم أنظمة الرقابة الداخلية في الدوائر الحكومية، (4) عدم إمكانية الجهاز المركزي للرقابة من تتبع الملفات التي قدمت لنيابة الأموال العامة والمحكمة، (5) عدم تنفيذ العقوبات المنصوص عليها في لائحة الجزاءات والمخالفات المالية والإدارية لسنة 1998م الصادرة من رئاسة الوزراء، (6) عدم اهتمام السلطات التنفيذية بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وبخاصة التقارير المتعلقة بالمخالفات، (7) الحماية القانونية لشاغلي الوظائف العليا، (8) تخفيض الاعتمادات المالية في الموازنات العامة للدولة للسنة القادمة بالمبالغ غير المستغلة في السنة الحالية للموازنة، (9) عدم تدوير موظفي الأجهزة الرقابية في المرافق الحكومية، (10) التدخلات العليا في الأعمال والتوظيفات، (11) التأخير في إصدار تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، (12) عدم الرقابة على التقارير الفنية للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، (13) ضعف مرتبات موظفي الأجهزة الرقابية، (14) ضعف التدريب والتأهيل، (15) عدم توفر آلية مناسبة للتبليغ عن الفساد.

كلمات مفتاحية: الفساد، أجهزة الرقابة، اليمن.

1. المقدمة:

يعد الفساد مرضاً كالسرطان يتغلغل في النواة الثقافية والسياسية والاقتصادية للمجتمع، ويؤدي إلى فشل الأعضاء الحيوية للدولة بشكل عام (Amundsen, 1999). فالفساد هو إساءة استخدام السلطة العامة

لمصالح شخصية (Bardhan, 1997)، في حين أكد Larmour & Wolanin (2001) على حقيقة الفساد أنه هو أكثر بكثير من مجرد اختلاس الأموال أو إساءة استخدام السلطة؛ لأنه قد يؤدي إلى انتهاك حقوق الإنسان.

هناك ممارسات مختلفة مرتبطة بالفساد بما في ذلك الرشوة والاختلاس والاحتيال والابتزاز والمحسوبية، من بين الممارسات المذكورة أعلاه، تعد الرشوة الأكثر شيوعًا وانتشارًا في كثير من البلدان على مستوى العالم، حتى أن تسميتها طورت بمصطلحات متكافئة متفاوتة، منها: الرشوة، والبقشيش، والمحليات، وأموال الشحوم، والمكافآت من بين عدد من مفاهيم الفساد. تشير هذه الشروط إلى المدفوعات المطلوبة لتحقيق الأشياء بسرعة وبطريقة سلسلة وأكثر ملاءمة من البيروقراطية، أو الابتعاد عن بعض المشاكل (Amundsen, 1999).

ويمكن أن تحدث الرشوة في مجال واسع من الأنشطة التجارية تحت سيطرة بعض المسؤولين الحكوميين. فعلى سبيل المثال، قد تقدم الشركات رشاوى للموظفين العموميين بغرض تجنب الضرائب أو تخفيضها، أو تأمين عقود المشتريات العامة، أو تجاوز القوانين واللوائح، أو منع دخول المنافسين المحتملين (Wu, 2005). ومن ثم، من المعتقد أنه يجب رشوة أطراف معينة لتظل قادرة على المنافسة في الأسواق الناشئة. دائمًا ما يُنظر إلى تسهيلات الرشوة، بما في ذلك المدفوعات الصغيرة أو الهدايا أو الخدمات، بأنها عنصر ضروري لتسهيل الأعمال (Wyk, Dahmer, & Custy, 2004). وفي هذا الصدد، تم إجراء دراسات عدة تتحدث عن دور المراجعة في كبح الفساد؛ كونها أداة الرقابة الفاعلة للحد من الفساد.

2. مشكلة البحث:

وفقًا لتصنيف منظمة الشفافية العالمية فإن اليمن أتت في المركز 141، 154، 146 من أصل 180 دولة للسنوات 2008، 2009، 2010 على التوالي (تعد الدولة المصنفة رقم 1 أقل فسادًا أو خالية من الفساد والدول في آخر القائمة التي تأتي في المراكز الأخيرة هي الدول الأعلى في معدلات الفساد) إذ صنفت اليمن في المرتبة 164 من أصل 182، وصنفت رقم 167 من أصل 177 دولة في عام 2013م. وقد ذكرت منظمة الشفافية العالمية أن هذا يرجع إلى تفشي الفساد والرشوة في البلاد نظرًا لضعف أنظمة الرقابة. كما صنفت رقم 161 من أصل 174 عام 2014م، 147 من أصل 162 عام 2015م، و170 من أصل 176 عام 2016م، و175-176-177-176 من أصل 180 دولة للأعوام 2017م - 2018م - 2019م - 2020م على التوالي (تقارير الفساد السنوية لمنظمة الشفافية العالمية). (جدول 1 يوضح تصنيف اليمن مأخوذ من تقارير الفساد لمنظمة الشفافية العالمية)

العام	تصنيفها من إجمال الدول الداخلية في التصنيف العالمي	إجمالي الدول الداخلة في التصنيف العالمي	ترتيبها العالمي من الدول الأعلى فسادًا
2008	141	180	صنفت رقم (40) فسادًا في العالم
2009	154	180	صنفت رقم (27) فسادًا في العالم

العام	تصنيفها من إجمال الدول الداخلية في التصنيف العالمي	إجمالي الدول الداخلة في التصنيف العالمي	ترتيبها العالمي من الدول الأعلى فسادًا
2010	146	180	صنفت رقم (35) فسادًا في العالم
2011	164	182	صنفت رقم (19) فسادًا في العالم
2012	156	174	صنفت رقم (11) فسادًا في العالم
2013	167	177	صنفت رقم (11) فسادًا في العالم
2014	161	174	صنفت رقم (8) فسادًا في العالم
2015	147	162	صنفت رقم (16) فسادًا في العالم
2016	170	176	صنفت رقم (7) فسادًا في العالم
2017	175	180	صنفت رقم (6) فسادًا في العالم
2018	176	180	صنفت رقم (5) فسادًا في العالم
2019	177	180	صنفت رقم (4) فسادًا في العالم
2020	176	180	صنفت رقم (5) فسادًا في العالم

* الجدول من إعداد الباحث، بالاعتماد على تقارير منظمة الشفافية الدولية السنوية من عام 2008 إلى 2020م

ويرجع ذلك إلى ضعف هيكل الحكومة، وعدم شفافية هيكل المؤسسات الحكومية، والتقليد الطويل لخرق القوانين من قبل كبار المسؤولين. لذلك، لا يمكن تحسين جودة أداء الحكومة في اليمن دون الحد من الفساد (محسن، 2010؛ وزارة التخطيط والتعاون الدولي، 2020).

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الرشوة تؤدي دورًا في المساهمة بشكل سلبي في الاقتصاد اليمني والاستثمار في عدد من الجوانب، مثل الجمارك والضرائب والتراخيص والمناقصات العامة. والأهم من ذلك، أن الرشوة لا توجد فقط في سياق الاستثمار والمناقصات، ولكنها تشمل أيضًا الالتحاق بالمدارس والجامعات الحكومية، وإصدار رخص القيادة، وتسجيل المواليد والوفيات وحتى تحصين الأطفال. كما أن الرشوة منتشرة في حدود المحاكم (عبد الحافظ والعديني، 2006). وبالرغم من وجود أجهزة رقابية في اليمن كالجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وهيئة مكافحة الفساد وكذلك وجود قوانين لمكافحة الفساد فإن الفساد لا يزال منتشرًا وبشكل مخيف. لذلك، تبحث هذه الدراسة في اكتشاف العوامل المؤثرة في أداء تلك الأجهزة الرقابية والأسباب التي أدت إلى ذلك. وتسعى هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ماهي الأسباب التي أدت إلى تفشي الفساد المالي والإداري في اليمن بالرغم من وجود أجهزة رقابية؟ ومنه يمكن أن نشق الأسئلة الآتية:

- 1) ماهي العوامل التي تؤثر في كفاءة الأجهزة الرقابية للدولة؟
- 2) هل يوجد ترابط بين أعمال الأجهزة الرقابية للدولة لتحقيق الرقابة بشكل فعال؟

3. الدراسات السابقة:

تعد الدراسة الحالية دراسة فريدة عن الدراسات الأخرى؛ إذ هي من الدراسات الاستكشافية لحالات وأوضاع معينة؛ إذ تقوم هذه الدراسة باستكشاف حالة اليمن من انتشار الفساد بأنواعه، بالرغم من أن الدولة يوجد بها أجهزة رقابية. ففي هذه الحالة يجب الكشف عن الأسباب أو العوامل التي أدت إلى ذلك. وهنا يمكن التطرق إلى الأبحاث التي تتحدث عن كفاءة الأداء من منظور رقابي؛ فقد ذهب بعض الباحثين للتطرق إلى تقييم أنظمة الرقابة الداخلية للوحدات الحكومية، وتقييم العمل في منظمات الرقابة الحكومية (أبحاث اهتمت بالرقابة ومراجعة الحسابات الحكومية). وهنا يمكن التعرف على أهمها:

- درس القرني (2008) عددًا من القضايا المتصلة بعمل الديوان ومراجعة الحسابات في المملكة العربية السعودية، وهدفت إلى التعرف على آراء مراجعي الحسابات الحكوميين بديوان المراقبة. وقد استخدمت استبانة، وزعت على المراجعين، بلغت الاستبانات المحصلة الخاضعة للتحليل (106)، وخلصت إلى أن السبب في الجهل بالدور الذي يقوم به الديوان يعود إلى التكتم على النتائج التي توصل إليها الديوان، وكذلك عدم التعاون بشكل كامل من قبل الجهات الخاضعة للرقابة، وكذلك تعرض المراجع لبعض الضغوط التي تعرقل أعماله بشكل سليم.
- درست خصاونة (2010) تقييم إجراءات الرقابة الحكومية في ضوء تطبيق الحكومة الإلكترونية في الأردن، تطرق بحثها إلى مجموعة من الإجراءات والخطوات المقترحة للرقابة الحكومية، والتي تشمل على: إجراءات التخطيط للرقابة، الحكومية وتصميم نموذج لتنفيذ عملية الرقابة الحكومية، وإجراءات تحديد مجالات الرقابة الحكومية وتنفيذها في مجال الأنظمة الإلكترونية. وقد كانت أهم نتائجها أنه لا يتوفر لدى ديوان المحاسبة إجراءات رقابية ملائمة لتخطيط وتصميم نماذج لتنفيذها في عمليات الرقاب الحكومية. وقد استخدمت الباحثة الاستبانة التي صممت للإجابة عن أسئلة الدراسة.
- درس الدوسري (2011) أيضًا أثر الرقابة المالية التي يمارسها ديوان المحاسبة على المؤسسات العامة في دولة الكويت، وكانت عينة الدراسة تتكون من (72) مدققًا على المؤسسات العامة، وتم استخدام التحليل الوصفي، وقد كان هناك تأثير إيجابي للدعم الذي تقدمه الإدارة العليا بديوان المحاسبة للأساليب العلمية التي يستخدمها مدققو الديوان، وكذلك هناك دور إيجابي للكفاءة في المجال الرقابي في ديوان المحاسبة في دولة الكويت على المؤسسات.
- كما درس المطيري (2012) في دولة الكويت أيضًا مدى فاعلية إجراءات الرقابة المالية على النفقات الحكومية التي يطبقها ديوان المحاسبة، وقد درس وجهات نظر الجهات الخاضعة لرقابة ديوان المحاسبة، أجريت الدراسة على (86 جهة) خاضعة لرقابة الديوان، وبلغت حجم عينة الدراسة (211 موظفًا)، وتم استخدام استبانة لقياس المتغيرات، وانتهت الدراسة إلى أن الإجراءات الرقابية المالية المسبقة واللاحقة وإجراءات الرقابة المحاسبية تعد فعالة.

4. تصميم الدراسة ومنهجيتها:

1.4. طريقة البحث للدراسة الحالية:

اعتمدت هذه الدراسة على المقابلات الشخصية، أي البحث النوعي؛ لكي يتم الخوض بعمق في أساس المشكلة القائمة؛ والحصول على إجابات أكثر دقة، ولكي يتم استكشاف الواقع بشكل دقيق مع تفسير للواقع وطرح الحلول الممكنة وبشكل علمي وعملي (Zikmund, 2003).

فالمقابلة الشخصية في البحث العلمي هي: لقاء يعقد بين الباحث وعينة الدراسة أو المبحوث مباشرة وبدون وسيط. تستخدم المقابلة العلمية كأداة من أدوات الدراسات والأبحاث العلمية. كما تستخدم المقابلات في الأبحاث في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية والطبية والأبحاث النوعية. تستخدم المقابلة وسيلة لجمع المادة العلمية حول الظاهرة واستكشاف العوامل المحيطة بها (Bryman, 1984).

وهدفت هذه الدراسة إلى جمع البيانات من خلال مقابلات شبه منظمة مع أعضاء العينة من مجتمع الدراسة المستهدف. إذ تم اختيار هذا النوع من المقابلات (شبه منظمة) لأنه تعد أفضل أداة إذ يُطلب من الباحث جمع معلومات منتظمة ومعلومات غير منظمة بشأن مواقف أو معتقدات المشاركين (Smith, 1972). المقابلة شبه المنظمة هي عملية يستهدف فيها المحاور عددًا محدودًا من الأسئلة / النقاط. الهدف من هذا النوع من المقابلات هو تشجيع الشخص الذي تتم مقابلته على التحدث، وتقديم المعلومات بأمانة، مما قد يزيل بعض الصرامة المرتبطة بالمقابلات المنظمة. في مقابلة شبه منظمة، يمكن للباحث تعديل أسئلة، أي صياغة الأسئلة بناءً على إجابات أعضاء العينة. ويمكن أيضًا إضافة أسئلة أخرى في محاولة لاستكشاف أسئلة البحث.

2.4. مجتمع الدراسة:

مجتمع الدراسة في هذا البحث هو كل موظفي الرقابة في الدولة، وتم اختيار هذا المجتمع بسبب أنه ملم بالإجراءات الرقابية التي هدفها بشكل رئيس محاربة الفساد والحد منه. إذ يتكون مجتمع الدراسة من موظفي الأجهزة الرقابية الثلاثة في الجمهورية اليمنية، وكذلك المسؤولين الحكوميين الذين يحملون لقب وكيل فما فوق لإبداء وجهة نظرهم من جانب السلطة؛ وبالتالي فإن مجموعات تتكون من الآتي:

1. مجموعة موظفي الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة.
2. مجموعة موظفي مكاتب وزارة المالية.
3. مجموعة موظفي مكاتب وزارة الخدمة المدنية.
4. مجموعة المسؤولين في الدولة.

تم استثناء هيئة مكافحة الفساد بسبب عدم توفر الكادر الفني في فروعها.

3.4. عينة الدراسة:

تم إجراء ما مجموعه 20 مقابلة شبه منظمة مع أعضاء من المجموعات الأربع المستهدفة. وقد تم الاختيار بحيث يتكون كل خمسة أعضاء مجموعة (خمسة مراجعي الجهاز المركزي، وخمسة من موظفي مكاتب وزارة المالية، خمسة من موظفي مكاتب وزارة الخدمة المدنية، خمسة من المسؤولين الحكوميين). أجريت المقابلات شبه المنظمة على مدى ثلاثة أشهر في المكلا وعدن. يتم عرض تقسيم المشاركين في الدراسة حسب المجموعات في الجدول (2).

جدول رقم (2)

المقابلات الشخصية شبه المنظمة التي أجريت مع المستجيبين حسب مجموعاتهم

م	المستجيبين حسب مجموعاتهم	سنوات خبرة العمل	تاريخ المقابلة
1	موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (1)	7	17 يناير 2021م
2	موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (2)	26	17 يناير 2021م
3	موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (3)	15	18 يناير 2021م
4	موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (4)	24	2 فبراير 2021م
5	موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة (5)	10	2 فبراير 2021م
6	موظف مكاتب وزارة المالية (1)	30	19 يناير 2021م
7	موظف مكاتب وزارة المالية (2)	14	20 يناير 2021م
8	موظف مكاتب وزارة المالية (3)	15	21 يناير 2021م
9	موظف مكاتب وزارة المالية (4)	22	15 مارس 2021م
10	موظف مكاتب وزارة المالية (5)	9	15 مارس 2021م
11	موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية (1)	23	17 مارس 2021م
12	موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية (2)	19	18 مارس 2021م
13	موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية (3)	21	18 مارس 2021م
14	موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية (4)	7	5 أبريل 2021م
15	موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية (5)	6	5 أبريل 2021م
16	مسؤول حكومي رتبة وكيل فما فوق (1)	4	2 فبراير 2021م
17	مسؤول حكومي رتبة وكيل فما فوق (2)	5	3 فبراير 2021م
18	مسؤول حكومي رتبة وكيل فما فوق (3)	4	6 أبريل 2021م
19	مسؤول حكومي رتبة وكيل فما فوق (4)	أقل من سنة	6 أبريل 2021م
20	مسؤول حكومي رتبة وكيل فما فوق (5)	7	7 أبريل 2021م

قبل جلسة المقابلة، يقدم الباحث نفسه وشرح أهمية البحث من أجل كسب الثقة قبل المناقشة. ثم تم أخذ إذن الأشخاص الذين تمت مقابلتهم بكتابة الإجابات، إذ وافق الجميع بشرط عدم كتابة الأسماء وعدم الإباحة بها (أي الترميز بدل كتابة الاسم لكي يعرف مجموعة المقابليين: حيث يحمل رقم 1 من أجريت معه أول مقابلة في مجموعته وهكذا، فمثلاً: موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة 1؛ يعد أول شخص أجريت معه مقابلة في مجموعة الجهاز المركزي). إذ استغرقت كل مقابلة حوالي من 25 دقيقة إلى 45 دقيقة.

لضمان عدم ظهور تحيز محتمل في المقابلة، (Saunders, Lewis, and Thornhill (2007) اقترح أن يقرأ القائم بإجراء المقابلة الأسئلة بصوت عالٍ بنبرة الصوت نفسها، تم اعتماد هذه الطريقة في الدراسة الحالية. زيادة على ذلك، أوصى (Healey and Rawlinson (1994 بترك الأسئلة الحساسة حتى قرب نهاية المقابلة لأنه يتيح مزيداً من الوقت للمستجيب لتنمية الثقة في الباحث.

4.4. تحليل المقابلات الشخصية:

البيانات النوعية هي ما يتم تجميعه من تفاصيل حول ظاهرة أو عامل معين ويتم بالكتابة الحرفية (غير عددية). إذ يتم تحليل تلك البيانات بتصنيف تلك البيانات إلى معلومات حسب صفات تلك البيانات وأنواع طبيعتها. فيتم ملاحظة كل كبيرة وصغيرة من السلوكيات والكلمات وكل ردود الأفعال المختلفة لما ورد من المستجيبين في مجتمع الدراسة. إن المعلومات الناتجة من المقابلات الشخصية (البيانات النوعية) في البحث العلمي تنقسم نوعين، هما:

1.4.4 البيانات الاسمية:

هي بيانات حرفية، تكون على مجموعات غير متجانسة أو غير متشابهة ولا يمكن إجراء العمليات الحسابية الإحصائية عليها أثناء تحليل المقابلات.

2.4.4 البيانات الترتيبية:

هي بيانات حرفية ومن الممكن أن يتم ترميز البيانات وترتيبها في أبواب تصنيفية (أي يمكن تصنيفها وتجميعها في مجموعات متجانسة)، مثل مستويات الذكاء، أو التعليم، أو الدخل الشهري للأفراد، إذ لا يمكن إجراء المعادلات الإحصائية عليها أيضاً (Saunders et al., 2007 ; Bryman, 1984).

لأن البيانات المتحصل عليها من المقابلات تعد بيانات اسمية غير متجانسة، إذ يعطي كل مستجيب ما يدور في عصاره أفكاره من خلال ممارسته وخبراته في العمل الرقابي الحكومي.

وقد قام الباحث بالتحليل لكل المعلومات المتوفرة والتعامل معها حسب طبيعتها، إذ تم ترتيب العوامل المؤثرة وتصنيفها حسب ما تم جمعه من بيانات، وكذلك استخدام البيانات غير المتجانسة في تفسير بعض العوامل ودرجة تأثيره وتعليلها، بالإضافة إلى تحليل بيان مساهمة المستجيبين في طرح حلول للمشكلة القائمة.

5. مناقشة نتائج المقابلات وتحليلها:

يتم عرض المعلومات الأساسية للأشخاص الذين تمت مقابلتهم في الجدول رقم (2) وتم إجراء ما مجموعه 20 مقابلة شبه منظمة مع أعضاء من المجموعات الأربع المستهدفة التي تم اختيارها عشوائيًا. وكان الاختيار على هذا النحو، خمسة أشخاص من الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، وخمسة أشخاص من مجموعة مكاتب وزارة المالية، وخمسة أشخاص من مجموعة مكاتب وزارة الخدمة المدنية، وخمسة أشخاص من مسؤولين حكوميين. وتم إعداد الأسئلة الخاصة بالمقابلات مقدمًا، إذ تمت إضافة أسئلة خلال بعض المقابلات لاستيضاح أكثر حول أمر معين أو اقتراح وضع حلول حول بعض القضايا. من المواقف التي واجهت الباحث هو تحفظ بعض من تم مقابلتهم في الإجابة عن بعض أسئلة. وتم التمييز للذين تم مقابلتهم من 1 إلى 5 في كل مجموعة، فمثلاً: إذا توافق كلام موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة رقم 1 ومع رقم 2 مع رقم 3 يتم التمييز كآلاتي: (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3) وهكذا بالنسبة لباقي المجموعات.

تم تحليل المقابلات الشخصية باستخدام الأسلوب القصصي في تحليل البيانات الكمية حيث تم استخلاص أهم النقاط والعوامل التي أدت إلى انتشار الفساد في ظل وجود أجهزة رقابية للدولة وهي:

1) ضعف القوانين النافذة:

تعتقد الغالبية العظمى من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم أن هناك أوجه قصور في القانون من حيث إنه توجد نصوص قانونية على الجنايات والجناح فقط، ولكن لا توجد نصوص عقوبات واضحة على المخالفات⁽¹⁾. حيث توضح التعليقات التالية آراء الأشخاص الذين تمت مقابلتهم من مجموعات العينة الأربع حول سبب تفشي الفساد في ظل وجود أجهزة رقابية وكانت على النحو الآتي:

"ضعف القوانين السارية، حيث أنه لا يوجد نصوص عقاب على المخالفات، ولكن قد يصل ضرر بعض المخالفات على اقتصاد الدولة إلى حد يفوق الجناية والجناية²، وخاصة قانون المناقصات والمزايدات لا يوجد عقوبات على المخالفات في هذا القانون، فتتم مشاريع بالتكليف المباشر. فقد يصل حجم الضرر فيها إلى ملايين الريالات، وهو مخالف للقانون ولكن لا يوجد نص عقاب على هذه المخالفة" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 5 ; موظف مكتب وزارة المالية 3، 5 ; مسؤول حكومي 1)

"ضعف القوانين حيث لا توجد نصوص عقابية واضحة للمخالفات مثلاً: قانون الضرائب والجمارك وقانون أراضي وعقارات الدولة وقانون تحصيل الأموال العامة، وغيرها" (موظف الجهاز المركزي 3، 4 ; موظف مكتب وزارة المالية 2 ; مسؤول حكومي 2، 4)

"أن ضعف القوانين هو السبب الأساسي في ضعف الأداء الإداري وانتشار المحسوبية في التعيينات" (موظفي مكتب الخدمة المدنية 2، 4، 5 ; موظف الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة 3)

نلاحظ من هنا أن المستجيبين ركز على ضعف القوانين وعدم احتوائها على عقوبات تنظيমে للمخالفات المالية والإدارية؛ وهو ما يستدعي المشرعين أخذ هذه النقطة بعين الاعتبار. فعدم وجود نصوص

عقاب على نصوص مخالفات قانونية سيؤدي لا محالة إلى عدم خوف مرتكبي تلك المخالفات من رصدها؛ حتى تم رصد تلك المخالفات؛ إذ يعد رصدها لا فائدة منه.

2) الترابط شبه معدوم بين الأجهزة الرقابية:

ذكر كل من تم مقابلتهم من الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وعددهم (5) واثنان من المسؤولين الحكوميين، أنه لا يوجد ترابط بين الأجهزة الرقابية في عملها. إذ ذكر موظفو الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة "عدم قيام مكتب وزارة المالية والخدمة المدنية بمهامها الرقابية المساندة للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة" (موظف الجهاز المركزي 3، 4).

في حين قال البعض الآخر: "إن مكتب وزارة المالية لا يرفع لنا أي مخالفات بالرغم أنهم يعبر جهة رقابية. وبعد الفحص يتبين لنا خروقات عدة. وكذلك لا نستلم أي خروقات إدارية من الخدمة المدنية. بماذا تفسروها" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 5).

في حين اكتفى المسؤولون الحكوميون بعبارة "لا يوجد ترابط بين الأجهزة الرقابية" (مسؤول حكومي 1، 4) وهنا يمكن تلخيص أن عدم الترابط يؤدي إلى عدم رفع المخالفات المالية من مكاتب وزارة المالية، وكذلك عدم رفع المخالفات الإدارية من قبل مكاتب الخدمة المدنية بالرغم من وجود مخالفات جسيمة؛ إذ أدى عدم الترابط إلى إضعاف دور تلك الأجهزة وعدم فاعليتها. وهذا يستوجب ضرورة ربط جميع الأجهزة الرقابية للوصول إلى رقابة ذات كفاءة عالية.

من ناحية أخرى هناك نزعة عدائية بين موظفي المالية وموظفي الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة إذ ذكر أحد المستجيبين من أعضاء الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة رقم (4) "أن هناك نزعة العدائية على مراجعي الجهاز المركزي في المرافق". في حين ذكر أحد المستجيبين من مجموعة موظفي مكاتب وزارة المالية رقم (2) قائلاً: "يوجد تشاحن في التعامل بين موظفي الجهاز المركزي للرقابة ومندوبي المالية حيث إن مراجع الجهاز المركزي يتعامل معك بعنجهية. ويجي وهو مسبقاً حاكم عليك إنك فاسد".

3) عدم وجود الرقابة الداخلية وفعاليتها في الدوائر الحكومية:

للرقابة الداخلية دور كبير في ضبط الأمور المالية والإدارية إذ أبدى عدد من المستجيبين قلقهم بهذا الخصوص:

"أن عدم وجود رقابة داخلية في المؤسسات الحكومية أدى إلى تفاقم مشكلة الفساد بشكل كبير، وكذلك غياب الرقابة المصاحبة للمالية في مضمونها ووجودها من الناحية الشكلية فقط" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3، 5).

"عندما يكون أصحاب الرقابة المصاحبة (مندوبي وزارة المالية) وإدارة الدائرة الحكومية في الخندق نفسه، لا يمكن انتشالهم معاً" (مسؤول حكومي 1 ; موظف مكتب وزارة المالية 2)

من ناحية فقد ذكر أحد موظفي الجهاز المركزي رقم (1) "أن هناك قانونًا خاصًا للرقابة الداخلية تم إصداره في عام 2010م ولكنه غير مفعّل، فضلًا عن عدم فاعلية الرقابة المصاحبة المالية والإدارية".
 مما تقدم يتضح أن تعطيل دور هذا النوع من الرقابة وهو خط الدفاع الأول لمكافحة الفساد، له دور كبير في تفشي الفساد بمختلف أنواعه المالية والإدارية. إذ يجب إعادة تنشيط ما يعرف بخط الدفاع الأول.
 (4) عدم إمكانية الجهاز المركزي للرقابة من تتبع ملفات التي قدمت لنيابة الأموال العامة والمحكمة⁽³⁾:

إن هذه المشكلة واقعة في النظام الحالي؛ إذ ينفصل تتبع القضايا المحولة لنيابة الأموال العامة والمحكمة عن المتابعة. ولهذا السبب يفلت الكثير من العدالة القانونية وتعد آخر حلقات إنهاء قضايا الفساد في المال العام بتطبيق العقاب المناسب لنوع القضية.

فقد عبر معظم المستجيبين من الجهاز المركزي عن استيائهم من الأمر:
 "لا يحق لنا كجهاز تتبع قضايا الفاسد بعد تسليمها لنيابة الأموال العامة وهنا يكمن الخلل" (موظف الجهاز المركزي 1، 3، 4).

من ناحية أخرى فقد ذكر اثنان من موظفي الجهاز المركزي (1، 3) أنه "يجب توحيد كل الأجهزة في إطار واحد (الجهاز المركزي - هيئة مكافحة الفساد - نيابة الأموال العامة - محكمة الأموال العامة - مجلس التأديب - شرطة الرقابة والمحاسبة) توحيد جميع هذه الأجهزة في هيئة واحدة. وهذا مثل تجربة دولة المغرب".
 ويعد هذا الحل من الحلول الممكنة. من ناحية أخرى فقد اقترح اثنان آخرون من موظفي الجهاز المركزي (2، 5) بضم نيابة الأموال العامة فقط إلى الجهاز المركزي ليسهل تتبع القضايا في المال العام.

(5) عدم تنفيذ العقوبات المنصوص عليها في لائحة الجزاءات والمخالفات المالية والإدارية لسنة 1998م الصادرة من رئاسة الوزراء:

يعد العقاب السبيل الرادع لخفض معدلات الفساد في البلاد. فعدم وجود نصوص عقابية على المخالفات الإدارية في نصوص القوانين، دعت الحاجة إلى استصدار لائحة خاصة للجزاءات لعام 1998م. تم إصدارها عند استلام الدكتور فرج بن غانم رحمة الله عليه رئاسة الوزراء في تلك الفترة. وفي هذه النقطة بالتحديد أفرد لنا المستجيبون وجهات نظرهم، وأعطوا لنا صورة كاملة عن ما ستحققه اللائحة من الحد من الفساد في حال تطبيقها من وجهة نظرهم.

فقد أوضح اثنان موظفي الجهاز المركزي (1، 2) "أن المخالفات الإدارية والمالية لا يوجد فيها نصوص قانونية واضحة للعقاب مما يجعل الأمر صعبًا. ولكن هناك لائحة للجزاء والمخالفات التي وضعت في عهد الدكتور فرج بن غانم رحمة الله عليه بشأن المخالفات المالية والإدارية وفيها عقوبات بأدق التفاصيل؛ إذ يتكون مجلس التأديب في الوزارة المعنية، ويمكن تطبيقها السلطة المحلية في المحافظات وتكون من:

□ وكيل، رئيس لجنة التأديب، وعضوية كل من:

□ مدير فرع الجهاز المركزي.

□ مدير مكتب المالية.

□ مدير مكتب الخدمة المدنية.

□ مدير مكتب الشؤون القانونية.

□ قاضي يرشحه رئيس محكمة الاستئناف.

□ عضو لجنة نقابية أو عضو يختاره الموظف الواقع عليه التأديب".

"بتفعيل لائحة الجزاءات لعام 1998م سوف يتم ردع بعض الممارسات غير المسؤولة" (مسؤول حكومي 2). من الجدير ذكره أن هذه اللائحة هي المخرج لردع بعض ممارسات الفساد وقد وضعت في عام 1998م لتغطي بعض القصور في بعض مواد القوانين التي تحتوي على مخالفات دون تحديد العقاب المناسب.

6) عدم اهتمام السلطات التنفيذية بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وخاصة التقارير المتعلقة بالمخالفات:

عدم اهتمام السلطات التنفيذية بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة رغم أنها تحتوي على مخالفات قد ترتقي إلى حد الجرم في المال العام وقد تزيد عليه، فإن هذه التقارير تكون حبيسة الأدرج، هذا ما لخصته المقابلات الشخصية مع أعضاء الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة.

"عدم اهتمام السلطات التنفيذية العليا بتقارير الجهاز المركزي التي رفعت على إدارات ومرافق تحتوي على مخالفات أو أخطاء مالية أو إدارية أو قانونية ولم يتم العمل على تصحيحها. مما أدى إلى انتشاره تلك المخالفات بشكل كبير.

أي عدم الوعي من قبل السلطات التنفيذية العليا بالاجراءات العقابية والتهاون في أموال البلد" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3، 4، 5).

60 % من القضايا التي يكتشفها الجهاز المركزي هي خرق قانون المناقصات والمزايدات، ولكن لا ينص القانون على عقوبة محددة على هذه الخروقات. إذ يفترض أن كل مخالفة في قانون المناقصات يكون تحتها العقوبة الملائمة لها (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 5) وعلى الرغم من انتقادهم هذا، فإنهم وضعوا حلولاً للخروج من تلك المشكلة، وهي تطبيق لائحة الجزاءات لعام 1998م.، كما هو موضح في السبب أو العامل رقم (5) خمسة وهو (عدم تنفيذ العقوبات المنصوص عليها في لائحة الجزاءات والمخالفات المالية والإدارية لسنة 1998م الصادر عن رئاسة الوزراء.

من جانب آخر فإن السلطة التنفيذية العليا أيضاً لا تتابع توصيات الجهاز المركزي المتعلقة بالتصحيحات في بعض المرافق والمؤسسات. هذا ما نوه إليه اثنان من أعضاء الجهاز المركزي (1، 2)، "إن عدم تنفيذ توصيات الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة من قبل المرافق والمؤسسات يعد من المشاكل الكبرى، إذ تتكرر الملاحظات كل سنة ولا يوجد من يلزمها بالأخذ بتلك الملاحظات".

7 القانون يحمي شاغري الوظائف العليا:

دار حديث المستجيبين حول شاغري الوظائف العليا، وعدم قانونية الجهاز بتحويل ملفات الفساد إلى نيابات الأموال العامة، وإنما بتحويل ملفات فسادهم إلى رئاسة الجمهورية، فالرئاسة هي التي لها أن تحول تلك الملفات للمقاضاة بعد موافقة رئيس الجمهورية. وقد ركز المستجيبون من أعضاء الجهاز المركزي استياءهم من التمييز الذي يحظى به شاغرو الوظائف العليا وعدوه تأصيلًا للفساد بحسب القانون.

"المحافظون والوزراء يمنع تحويلهم لنيابة الأموال العامة حسب القانون في حالة ارتكابهم لجرم ويتم رفع تقريره لرئاسة الجمهورية وهي من تنظر في الأمر" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3؛ مسؤول حكومي 2، 3؛ موظف مكتب وزارة المالية 2).

"تحميد بعض تقارير الفساد وعدم استكمال إجراءاتها القانونية وتقديمها للقضاء لشاغري الوظائف العليا بسبب تبعية الجهاز المركزي للرقابة لرئاسة الجمهورية" (موظف الجهاز المركزي 4، 5).

وفي نهاية نقاش هذه النقطة مع المستجيبين تم سؤالهم. كيف يمكن معالجة الوضع الحالي؟ فأجاب غالب من تطرق لهذه النقطة أنه "يفترض أن الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة لا يخضع للرئاسة وإنما يخضع لمجلس النواب" (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3، 4، 5؛ مسؤول حكومي 2).

8 النظام المتبع من تخفيض الموازنة للمرافق في السنة القادمة للمبالغ غير المستخدمة:

النظام الحالي المتبع في وزارة المالية يؤدي إلى كثير من الخلل في الإنفاق للمرافق الحكومية، إذ أن النظام الحالي يقوم بخصم الفائض في الموازنة للسنة الحالية من موازنة السنة المقبلة. إذ تضطر إدارة المرفق إلى إنفاق الفائض خوفًا من خصمه من موازنة السنة القادمة؛ هذا ما أدلى به غالب موظفي مكاتب وزارة المالية في آرائهم.

"هناك أخطاء في النظام المتبع من وزارة المالية إذ يتم تخفيض موازنة المرافق في السنة القادمة للمبالغ غير المستخدمة، مما تضطر إدارة المرافق لإنفاقها من أجل ضمان عدم خسارتها في السنة القادمة" (موظف مكتب وزارة المالية 1، 2، 3، 5).

بعد اكتمال النقاش حول هذه النقطة تم سؤال المستجيبين ما هو الحل بوجه نظرهم؟ "بالنسبة لنا لا نستطيع ضبط مدير الوحدة الإدارية نظرًا لاكمال الإجراءات ورقيا في كل الأحوال، ولكنها غير حقيقية في واقع الأمر. والحل أننا نرجع للنظام الإنجليزي المتبع بعد الاستقلال" (موظف مكتب وزارة المالية 1).

"الحل هو العودة إلى نظام الخزانة العامة المتبع قبل عام 1990م" (موظف مكتب وزارة المالية 2، 5).

9 عدم تدوير موظفي الأجهزة الرقابية في المرافق الحكومية:

إن بقاء موظف الأجهزة الرقابية فترة طويلة كمندوب في إحدى الدوائر الحكومية يخلق علاقة بينه وبين إدارة ذلك المرفق مما يؤدي إلى عدم استقلاله في عمله، وهو ما أوضحته آراء المستجيبين في غالب المجموعات.

"خلق علاقة بين إداره المرافق وأعضاء الأجهزة الرقابية بسبب طول فترة البقاء (أي عدم التدوير) في المرفق لأكثر من عامين" (موظف الجهاز المركزي 1، 2؛ مسؤول حكومي 2، 3، 4، 5).
 "من الأسباب التي أدت إلى عدم رفع تقارير بالحقوقات من قبل مندوبينا هو عدم التدوير" (موظف مكتب وزارة المالية 2، 4، 5؛ موظف مكتب وزارة الخدمة المدنية 1، 3، 5).

فقد أشار أحد المستجيبين من موظفي مكاتب وزارة المالية (رقم 2) إلى "أن بعض المندوبين لهم أكثر من عشر (10) سنين لم يغيروا؛ وأنه يجب التدوير كل سنتين حسب ما هو منصوص عليه في قانون وزارة المالية؛ لمنع خلق علاقة بين المندوبين والإدارة بسبب طول الفترة الزمنية التي يعملها في المرفق المنتدب فيه". وهذا هو الحل الأمثل للخروج من هذه المشكلة وللتقليل من فرص التواطؤ بين مندوبي الأجهزة الرقابية و مدراء الإدارات الحكومية.

10) التدخلات العليا في الأعمال والتوظيفات:

إن التدخلات في توجيه الأعمال من قبل السلطات التنفيذية العليا، وكذلك التوظيفات أصبحت تدار خارج الإطار القانوني وبشكل فاضح؛ مما يخلق بؤرة كبيرة من الفساد المالي، وتفشي عدم العدالة المجتمعية في التوظيفات بالمحسوبة، هذا كان ملخصاً حديث المستجيبين في هذه النقطة. مما تمت الإشارة إليه من قبل المستجيبين هو:

"أحياناً تتم توجيهات عليا من المحافظ أو الوزير وهي في فحواها خروقات ويتم تمريرها على الكل؛ وهذا ما أدى إلى التسبب الحاصل". (موظف مكاتب وزارة المالية 1، 2، 4).
 "تتم التعيينات عن طريق السلطات العليا وهو تجاوز ومحسوبة". (موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 1، 3، 4).

"جميع التعيينات والتعاقدات تتم عن طريق مدراء المرافق وتجاهل السلطات العليا المختصة في هذا الجانب؛ وهذا خلق المحسوبة". (موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 2، 5).

تم سؤال المستجيبين عن إمكانية الحل في هذا الموضوع فأجابوا:
 "لابد من الرجوع إلى قانون الخدمة المدنية ومكاتب الخدمة المدنية، وأخذ المستحقين بالتوظيف حسب سجل القيد بالخدمة المدنية". (موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 1، 3، 4).

"عدم تدخل السلطات العليا وعدم خرق القوانين والإجراءات السائدة". (موظف مكاتب وزارة المالية 1، 2، 4؛ موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 1، 3، 4، 5).

وهذه الأمور يجب أخذها بعين الاعتبار للحد من الفساد المالي والإداري وتحقيق العدالة الاجتماعية في التوظيفات والتعاقدات.

11) تأخير تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة:

عند سؤال موظفي الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وعددهم خمسة (5) مستجيبين؛ هل يوجد قصور في دور الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة؟ ما هو نوع القصور؟ أجاب المستجيبون بأن أول نقطة هي تأخير تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وهو ما يعوق عملية المحاسبة عن القصور والخروقات في وقته؛ فقد يتغير المدير ولفترة طويلة لم يصدر تقرير الجهاز المركزي بعد، وهو ما يعد قصورًا خارج الإرادة بسبب ضعف الدولة والإمكانيات المتاحة. وقد ذكر كل مستجيب من الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة أسبابًا عدة كان يحمل إجاباتهم على النحو الآتي:

انخفاض الكادر في بعض التخصصات المطلوبة لتعزيز الرقابة (مثل البيئة والطب والكهرباء).

ضعف التدريب والتأهيل.

أ. ضعف الخبرة المهنية.

ب. انخفاض الدعم المادي والفني للأجهزة الرقابية.

ج. ضعف مرتبات موظفي الجهاز، وضعف الامتيازات بل هي غير موجودة، مما يؤدي إلى إصابة الموظفين بالإحباط، ويؤدي إلى تأخير في إنجاز المهام بشكل كبير.

د. تأخر بعض الوحدات الاقتصادية عن أغلاق حساباتها (بعضها لم تغلق منذ 2018م).

هـ. التهديدات الخارجية التي يتعرض لها الطاقم الفني للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة في ظل وجود الانفلات الأمني للبلاد.

و. عدم تمتع أعضاء الجهاز بصفة الضبطية القضائية. هي موجودة في القانون ولكن لا يتمتع بها مراجعو الجهاز المركزي.

ز. عدم اكتمال الهيكل الإداري للجهاز، أي عدم وجود وكلاء في رئاسة الجهاز المركزي في عدن، إذ إن بعض الإدارات معطلة.

ح. بعض الفروع في بعض المحافظات لا تعمل بسبب نقص الكادر.

من الجدير بالذكر، يعد تأخر تقارير الجهاز المركزي المعوق الأساسي للحساب والعقاب في هذه الفترة، فهو المشكلة الأساسية التي يجب أن يتم حلها، وحلحلة جميع المشاكل المصاحبة لها والتي أدت إلى ظهورها، فقد يصل التأخير في تقارير الجهاز المركزي بين السنة إلى السنتين عن سنة الفحص. فهذه المشكلة يستدعي الوقوف عندها بشكل جدي.

12) عدم وجود رقابة على التقارير الفنية للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة:

ذكر بعض المستجيبين من مجموعتي المسؤولين الحكوميين وموظفي مكاتب وزارة المالية أن بعض تقارير الجهاز المركزي ليست بالجودة المطلوبة إذ قد تحوي كثيرًا من التحيز، وقد لا تظهر الحقائق كما هي. وبرر بعض

المستجيبين أن العلاقات الشخصية والعائلية تؤثر في مصداقية التقرير. بالإضافة إلى أن الهدايا والميزات التي توهب تمثل دافعاً أساسياً لبعض الفنيين أن يصدر تقريراً متحيزاً.

"قبول بعض أعضاء الجهاز المركزي للرقابة الهدايا وميزات قد تضعف جودة التقرير الرقابي، وتؤدي إلى إخفاء بعض الحقائق" (مسؤول حكومي 2، 4).

"العلاقات الشخصية والعائلية بين مندوب الجهاز المركزي ومدراء المرافق قد تسبب تحيزاً وعدم ظهور بعض المعلومات". (موظف مكاتب وزارة المالية 2؛ مسؤول حكومي 2).

إن جوهر التقرير يكمن في جودة المعلومات المتضمنة داخله ومصداقيتها؛ فإذا فسد محتواه، ضاعت القيمة الحقيقية له وأصبح بلا معنى. فلهذا، تعد هذه المشكلة من أهم المشاكل التي تحول دون النهوض بمهنة الرقابة والمحاسبة في البلاد، وتعد عائقاً أساسياً للرقابة وللمحاسبة.

13) ضعف مرتبات موظفي الأجهزة الرقابية:

إن ضعف مرتبات موظفي الأجهزة الرقابية قد يؤدي إلى التغاضي عن الخروقات لتلبية احتياجات الحياة؛ وهو ما يبرره البعض (نظراً لتدني المرتبات وعدم تلبيتها الاحتياجات الأساسية).

"قد يؤثر ضعف المرتبات في جودة الرقابة" (موظف الجهاز المركزي 2، 3، 4؛ موظف مكاتب وزارة المالية 1، 2؛ موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 1، 3، 4).

"لا يمكن أن نقوم بتحسين جودة الرقابة في ظل الرواتب المتدنية" (موظف الجهاز المركزي 1؛ موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 5).

"نظام الرواتب والمكافآت المعمول به في البلاد لا يرتقي لتشجيع القائمين على الرقابة من تقديم الأحسن. هنالك دول تقدر موظفي الأجهزة الرقابية لكي يقوموا بأعمالهم بأكثر كفاءة عن طريق التحفيز الجيد لاكتشاف الاختلالات". (مسؤول حكومي 2).

14) ضعف التدريب والتأهيل:

ضعف التدريب والتأهيل يؤدي إلى أداء الأعمال بشكل متدنٍ وأقل جودة. وهو ما ذكرته مجموعات المستجيبين ولما يعانونه نظراً لضعف التدريب والتأهيل في الفترة الأخيرة، ولكون غالب الملتحقين بالطاقتم الوظيفي حديثي خبرة وقرس، ويحتاجون إلى تدريب وتأهيل. ويعد هذا من العوائق للنهوض بالعمل الرقابي بشكل كفاء.

ضعف التدريب والتأهيل كان أحد الأسباب التي أدت إلى تأخير تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة؛ وهذا برره موظفو الجهاز المركزي عند ذكر أسباب تأخر تقارير الجهاز في السبب أو العامل رقم (11) "ضعف التدريب والتأهيل يؤخر العمل بشكل كبير نظراً لكون الطاقم الجديد من المعينين مؤخرًا؛ والطاقتم القديم غالبهم خرج إلى المعاش". (موظف الجهاز المركزي 1، 2، 3، 5).

"هناك جهل بإجراءات العمل لدى المتحقيقين الجدد بالعمل، وهذا يؤدي إلى الجهل بالخروقات ورصدها". (موظف مكاتب وزارة المالية 1، 3، 4؛ موظف مكاتب وزارة الخدمة المدنية 1، 5).

15) عدم وجود آلية مناسبة للتبليغ عن الفساد:

ذكر اثنان من المستجيبين أنه لا توجد آلية معينة للتبليغ عن الفساد رغم وجود قانون لحماية المبلغين، وبالرغم من وجود نصوص قانونية واضحة في قانون هيئة مكافحة الفساد.

"لا توجد هناك آلية مناسبة للتبليغ عن الفساد بالرغم من وجود قانون لحماية المبلغين عن حالات التبليغ عن الفساد". (موظف الجهاز المركزي 1).

"عدم وجود مراكز للتبليغ عن الفساد المالي والإداري بالرغم من أن قانون هيئة مكافحة الفساد توجد به نصوص قانونية بهذا العمل". (مسؤول حكومي 2).

إن فتح المجال أمام المواطنين للتبليغ عن الفساد سوف يتيح الفرصة لمشاركة الشعب للقضاء على الفساد، وهو ما سيساهم في الحد منه بشكل كبير.

6. نتائج الدراسة:

ومما سبق ذكره في فقرة رقم (5) مناقشة نتائج المقابلات وتحليلها يمكن الإجابة عن أسئلة الدراسة الآتية:

1) ماهي العوامل التي تؤثر على كفاءة الأجهزة الرقابية للدولة؟

مما تم تبويبه نتائج تم استخلاصها من المقابلات التي أجريت لأربع مجموعات مختلفة تبين أن العوامل التي تؤثر في كفاءة الأجهزة الرقابية هي:

- 1- ضعف القوانين النافذة.
- 2- الترابط شبه المعدوم بين الأجهزة الرقابية.
- 3- عدم وجود الرقابة الداخلية وفعاليتها في الدوائر الحكومية.
- 4- عدم إمكانية الجهاز المركزي من الرقابة من تتبع الملفات التي قدمت لنيابة الأموال العامة والمحكمة.
- 5- عدم تنفيذ العقوبات المنصوص عليها في لائحة الجزاءات والمخالفات المالية والإدارية لسنة 1998م الصادرة من رئاسة الوزراء.
- 6- عدم اهتمام السلطات التنفيذية بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وخاصة التقارير المتعلقة بالمخالفات.
- 7- القانون يحمي شاغري الوظائف العليا.
- 8- النظام المتبع من تخفيض الموازنة للمرافق في السنة القادمة للمبالغ غير المستخدمة.
- 9- عدم تدوير موظفي الأجهزة الرقابية في المرافق الحكومية.
- 10- التدخلات العليا في الأعمال والتوظيفات.
- 11- تأخير تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة.

12- عدم وجود رقابة على التقارير الفنية للجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة.

13- ضعف مرتبات موظفي الأجهزة الرقابية.

14- ضعف التدريب والتأهيل.

15- عدم وجود آلية مناسبة للتبليغ عن الفساد.

أما فيما ما يتعلق بالسؤال الثاني من أسئلة البحث:

(2) هل يوجد ترابط بين أعمال الأجهزة الرقابية للدولة لتحقيق الرقابة بشكل فعال؟

فقد تمت الإجابة عنه عند عرض العوامل، ويعد من أهم العوامل المؤثرة في كفاءة الأجهزة الرقابية في أداء مهامها. إذ توصل الباحث إلى أنه لا يوجد ترابط بين الأجهزة الرقابية للدولة ولا تكامل في أداء الأعمال، وهو ما أكدته المستجيبون في مقابلاتهم الشخصية. إذ إن العلاقة بينهم إلى حد التنافر، وليس التكامل حسب ما ورد من إجابات المستجيبين في آخر السبب أو العامل رقم (2).

7. الخاتمة والتوصيات:

دعت الحاجة إلى هذه الدراسة بسبب انتشار الفساد بشكل كبير وفي الوقت نفسه هناك أجهزة رقابية للدولة وقوانين تنظم تلك الأعمال، مما دعا إلى الخوض لاستكشاف الوضع الحالي لتشخيص مشكلة انتشار الفساد بشكل أعمق، من خلال الاستماع لآراء الجهات القائمة على الرقابة، لمعرفة المشكلة عن كثب، ومن خلال تحليل نتائج المقابلات تم استخلاص العوامل التي أثرت في عمل الأجهزة الرقابية وكفاءتها، وكذلك استنتاج الحلول الممكنة، وهذا أيضاً ما تم من خلال النقاش المستفيض مع المستجيبين خلال المقابلات الشخصية.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى تلخيص العوامل التي تؤثر في كفاءة الأجهزة الرقابية للدولة. إذ وجدت هذه الدراسة أن العوامل أدت إلى تدني دور المستوى الرقابي في الدولة، وانتشار الفساد، ولعل أهمها هو ضعف القوانين من ناحية عدم اشتغالها على عقوبات للمخالفات المالية والإدارية، وعدم العمل بلائحة الجزاءات والعقوبات لعام 1998م الصادرة عن رئاسة الوزراء. أيضاً عدم وجود ترابط بين الأجهزة الرقابية فيما بينها؛ وهو ما يشكل ضعفاً كبيراً في المستوى الرقابي. أضف إلى ذلك تعطيل دور الرقابة الداخلية باعتبارها خط الدفاع الأول ضد الفساد.

من جانب آخر، نفرد المجال للحديث عن عوامل أثرت في كفاءة الرقابة وانتشار الفساد متعلقة بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة؛ وهنا نذكر انخفاض جودة تقارير الجهاز المركزي للرقابة بسبب المحاباة والعلاقات الشخصية والعائلية والميزات والهدايا؛ كذلك تأخر إصدار تلك التقارير لفترة تصل بين السنة إلى السنتين؛ من جانب آخر عدم اهتمام السلطات التنفيذية بتقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، فضلاً عن أنه لا يمكن تتبع تلك التقارير التي تحمل جنابات في نيابات الأموال العامة؛ إضافة إلى إن الجهاز المركزي لا يمكنه تحويل تقارير الفساد على كبار المسؤولين لنيابة الأموال العامة إلا عن طريق رئاسة الجمهورية.

وتوصلت هذه الدراسة أيضًا إلى أن من العوامل التي أثرت على كفاءة الرقابة وانتشار الفساد هو النظام الحالي المتبع في وزارة المالية، المتعلق بتخفيض الجزء غير المنفق من موازنة السنة الحالية في العام المقبل؛ إضافة إلى التدخلات من السلطات العليا في تسيير الأعمال والتوظيفات بالمحسوبة؛ أيضًا ضعف المرتبات والتأهيل والتدريب للموظفين، مما يعرقل سير الأعمال ويخفض كفاءة العمل الرقابي. أضف إلى ذلك بقاء موظف الرقابة فترة طويلة لدى المرفق الحكومي وعدم تدويره فيؤدي إلى خلق علاقة مع إدارة المرفق. وختام تلك العوامل هو عدم وجود آلية للتبليغ عن الفساد بالرغم من نصوص قانون هيئة الفساد عليها ووجود قانون خاص لحماية المبلغين عن الفساد.

وفي ضوء النتائج السابقة يوصي الباحث بما يأتي:

1. ضرورة اهتمام المشرعين بالأخذ بعين الاعتبار عدم احتواء القوانين السارية على عقوبات تنظيমে للمخالفات المالية والإدارية، فهنا ينصح باستكمال نصوص للعقوبات مقرونة بنوع كل مخالفة في القوانين النافذة.
2. ضرورة ترابط العمل الرقابي بين مكاتب وزارة المالية ومكاتب وزارة الخدمة المدنية مع الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وهيئة مكافحة الفساد للوصول إلى رقابة ذات كفاءة عالية.
3. نوصي بتفعيل دور الرقابة الداخلية وتنشيطه فهو يعد خط الدفاع الأول لمكافحة الفساد.
4. نوصي بتوحيد كل الأجهزة التالية في إطار واحد (الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة - هيئة مكافحة الفساد - نيابة الأموال العامة - نيابة إدارية) وتوحيد جميع هذه الأجهزة في هيئة واحدة؛ لكي يسهل متابعة القضايا في المخالفات المالية والإدارية لدى المحاكم المتخصصة.
5. نوصي بتفعيل العمل بلائحة الجزاءات والعقوبات الصادرة عام 1998م من رئاسة الوزراء في الفترة الحالية؛ إذ يعد العقاب السبيل الرادع لخفض معدلات الفساد.
6. إنشاء نيابات ومحاكم متخصصة للفصل في قضايا المخالفات الإدارية.
7. نوصي بوجود إدارة متخصصة في الوزارات والسلطات المحلية وظيفتها قراءة تقارير الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة وتوصياته وتبليغها، وكذلك متابعة تنفيذ توصيات الجهاز المركزي ومستوى تنفيذها في المرافق الحكومية التي تقع تحت دائرة المسؤولية.
8. نوصي بخضوع الجهاز المركزي وهيئة مكافحة الفساد للبرلمان وعدم خضوعه لرئاسة الجمهورية.
9. نوصي بأن ترتبط جميع الدوائر الحكومية بنظام إلكتروني يكون الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة المراقب لهذه النظام، أي أتمتة الدوائر الحكومية (الحكومة الإلكترونية).
10. نوصي بتعديل نظام وزارة المالية في بناء موازنات المرافق الحكومية السنوية الذي يعتمد على خصم الفائض في الموازنة، كي يتم تجنب الهدر في الفائض في الموازنات للدوائر الحكومية نهاية كل عام.

11. نوصي بالتدوير كل سنتين لمندوبي الأجهزة الرقابية في المرافق الحكومية. لمنع خلق علاقات بمرور الزمن والحفاظ على استقلاليتهم.
12. نوصي بأن تكون كل التعاقدات والتوظيفات بموجب القيد في الخدمة المدنية. لضمان العدالة الاجتماعية والقضاء على المحسوبية. مع الأخذ بعين الاعتبار بوضع آلية للرقابة على القيد في الخدمة المدنية والتوظيفات.
13. تعزيز الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة بالأمر الآتية، لضمان تنفيذ عمليات المراجعة بوقتها:
 - تعزيز الجهاز المركزي بالكادر الكافي في المجالات المطلوبة كافة.
 - تدريب كادر الجهاز المركزي وتأهيله والأجهزة الرقابية الأخرى كافة.
 - إمداد الجهاز المركزي بالإمكانات المادية الكافية لعمله.
 - تعديل الأجور والحوافز بما هو ملائم في الجهاز المركزي والأجهزة الرقابية الأخرى كافة.
 - تمتع أعضاء الجهاز المركزي بصفة الضبطية القضائية.
 - استكمال الهيكل الإداري لرئاسة الجهاز المركزي وتفعيل كل الإدارات فيه.
14. استحداث قطاع في الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة يسمى بقطاع مراقبة الأداء وفحص التقارير (تكون مهمته التحقق من التأكد من جودة التقارير المقدمة من مراجعي الجهاز في الوحدات، والتأكد من خلو تلك التقارير من التحيز).
15. فتح مراكز للتبليغ عن الفساد، مع الأخذ بعين الاعتبار حماية المبلغين عن الفساد.
16. توعية المواطنين بمخاطر الفساد، والحث على الإبلاغ في حالة حدوثه.

الهوامش:

- (1) تعد المخالفة من أخف الجرائم المرتكبة خطورة حسب القانون، فهي تلك الأفعال التي لا ترقى إلى الجنايات أو الجنح،
- (2) الجناية والجنحة يوجد بها نصوص قانونية واضحة للعقاب بعكس المخالفة.
- (3) يتم تحويل التقارير التي تحتوي على جنحة في المال العام إلى نيابة الأموال العامة، بعكس تقارير المخالفات، فهي لا يتم تحويلها إلى نيابة الأموال العامة.

المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية:

- التويجري، ع ؛ والنافعاني ح (1428 هـ) جودة خدمة المراجعة: دراسة ميدانية تحليلية للعوامل المؤثرة فيها من وجهة نظر المراجعين. مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الاقتصاد والإدارة. 22 (1). 219-255.
- الحميد، ع . (١٤١٦ هـ) خصائص جودة المراجعة المالية دراسة ميدانية للمحيط المهني في المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة، ٣٥ (3). 405 - 453.
- الخصاونة، ر (2010). تقييم اجراءات الرقابة الحكومية في ضوء تطبيق الحكومة الإلكترونية "دراسة ميدانية" ديوان المحاسبة في المملكة الأردنية الهاشمية. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). (9) 24. 2728-2691.
- الدوسري، م، م (2011) تقييم أثر الرقابة المالية التي يمارسها ديوان المحاسبة على المؤسسات العامة في دولة الكويت، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، عمان، الأردن.
- القرني، أ، ع (2008) مراجعة الحسابات العامة في المملكة العربية السعودية: آراء المراجعين في ديوان المراقبة العامة، دورية الإدارة العامة، المجلد 48، العدد 1 . ص39.
- المطيري، أ، م (2012) مدى فاعلية اجراءات الرقابة المالية على الإنفاق التي يطبقها ديوان المحاسبة الكويتي من وجهة نظر الجهات الخاضعة لرقابة الديوان، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، عمان، الأردن.
- عبد الحافظ، أ؛ العديني، ك (2006) الرشوة في اليمن (دراسة ميدانية) المركز اليمني لقياس الرأي العام، تم تحميل من: <https://yemenpolling.org/Projects-ar/Bribery-ar.pdf>
- محسن، ي، ص (2010) خارطة الفساد في اليمن، أطرافه النافذة، المرصد اليمني لحقوق الإنسان، (الإصدار الأول) صنعاء، اليمن.
- منظمة الشفافية العالمية، تقارير مؤشر مدركات الفساد (CPI) (Corruption Perceptions Index) للأعوام 2008 - 2020م، استخرجت من الموقع الإلكتروني: <http://cpi.transparency.org>
- وزارة التخطيط والتعاون الدولي؛ نشرة المستحداث الاقتصادية والاجتماعية في اليمن (2020) سبتمبر العدد (52)، قطاع الدراسات والتوقعات الاقتصادية.

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية:

- Adeyemi, S., Okpala, O., Dabor, E (2012). Factors Affecting Audit Quality in Nigeria. *International Journal of Business and Social Science* (3) 20, 198- 209
- Amundsen, I. (1999). Political corruption: An introduction to the issues: Chr. Michelsen Institute Development Studies and Human Right
- Bardhan, P. (1997). Corruption and development: a review of issues. *Journal of Economic Literature*, 35(3), 1320-1346.
- Bryman, A. (1984). The debate about quantitative and qualitative research: a question of method or epistemology? *British Journal of Sociology*, 75-92.
- Dart, E. (2011). UK investors' perceptions of auditor independence. *The British Accounting Review*(43), 173–185
- Firestone, W. A. (1987). Meaning in method: The rhetoric of quantitative and qualitative research. *Educational researcher*, 16(7), 16-21.
- Healey, M. J. and Rawlinson, M. B. (1994), "Interviewing techniques in business and management research", in Wass, V. J. and Wells, P. E. (eds.), *Principles and Practice in Business and Management Research*, Aldershot, Dartmouth.
- Jaffar, N., S. Ali, Z. Selamat and N. Alias (2005) "The Perception of the Audit Partners, Audit Committee and Investment Analyst on the Audit Quality Attributes in Malaysian", *Finance India*, 19(2): 535-545.
- Larmour, P., & Wolanin, N. (2001). *Corruption and Anti-corruption: Asia Pacific Press*.
- Saunders, M., Lewis, P. and Thornhill, A. (2007) *Research Methods for Business Students*. 4th Edition, Financial Times Prentice Hall, Edinburgh Gate, Harlow.
- Smallbone, T., & Quinton, S. (2004). Increasing business students' Confidence in Questioning the Validity and Reliability of their Research. *Electronic Journal of Business Research Methods*, 2(2), 153-162.
- Smith, J. M. (1972) *Interviewing in Social and Market Research*. Routledge and Kegan Paul LTD., London.
- Suyon, E (2012). Determinant Factors Affecting The Audit Quality : An Indonesian Perspective. *Global Review of Accounting and Finance*. (3)2, 42-57
- Transparency International. *Corruption Perceptions Index (CPI)*, Retrieved from web site . <http://cpi.transparency.org>.
- Wu, X. (2005). Corporate governance and corruption: A cross- • country analysis. *Governance: An International Journal of Policy, Administration, and Institutions*, 18(2), 151-170.
- Wyk, J. v., Dahmer, W., & Custy, M. C. (2004). Risk management and the business environment in South Africa. *Long Range Planning*, 37(3), 259-276.
- Zikmund, W. G. (2003). *Business Research Methods* (7th ed.): South-Western Cengage Learning.

The Spread Of Financial And Administrative Corruption In The Presence Of State Control Agencies

(An Exploratory Study)

Dr. Mohammed Abobaker Baabbad

Abstract

This research aims to explore the factors that affect the efficiency of state control agencies, which are main reason to corruption spread. To discover this situation, it was necessary to determine the appropriate method for the study, so the interviews method was the best tool for this type of studies, to know the unknown situation. Random samples were selected from all state control agencies except the Anti-Corruption Commission, due to the lack of technical staff in its branches. Five respondents were taken from each control agencies; The Central Organization for Control and Accountability (financial and administrative control), the offices of the Finance Ministry (financial internal control), and the offices of the Ministry of Civil Service (administrative internal control). A random sample of government officials was also taken, consisting of five persons holding the title of agent and above.

The results of this study concluded that the factors that affect the efficiency of the state control agencies and the spread of corruption, were as follows: (1) Laws weakness, (2) Incoherence between state control agencies, (3) Lack of internal control, (4) The inability of the Central Organization for Control to track the corrupt reports, (5) Failure to implement the penalties stipulated in the Financial and Administrative Penalties Regulations of 1998, (6) The lack of attention by the executive authorities to the Central Organization for Control and Accountability reports, (7) The law protects senior state officials, (8) reducing the budget for government units in the coming year for unused amounts, (9) Non-rotation of employees of state control agencies facilities, (10) Interference in the government units work by senior state officials, (11) Central Organization for Control reports delay, (12) There is no control over reports of the Central Organization for Control and Accountability, (13) Weak salaries of control agencies employees (14) Weakness in the training and qualification, (15) No appropriate mechanism for reporting of corruption.

Keywords: Corruption, Control Agencies , Yemen.

مستوى معرفة معلمي الثانوية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات

(دراسة استكشافية بثانويات المكلا النموذجية بمحافظة حضرموت الساحل)

نوال محفوظ باني³

طالبة دكتوراه

لينا جعفر بوغوي²

طالبة دكتوراه

د. سالم أحمد باوادي¹

أستاذ مساعد

^{1,2,3} كلية التربية، المكلا، جامعة حضرموت

الملخص:

تستهدف الدراسة التعرف إلى مستوى معرفة معلمي ثانويتي المكلا النموذجية بمحافظة حضرموت الساحل بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات، وكذلك التعرف إلى الفروق في مستوى المعرفة بين محاور الدراسة تبعاً لمتغير (التخصص، الخبرة، الجنس)؛ وتم استخدام المنهج الوصفي الاستكشافي. ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام الاستبانة أداة للدراسة مكونة من (35) فقرة، موزعة على المحاور الثلاثة الآتية: (الغرض من الاختبار، الأهداف التعليمية، الوزن النسبي)، وذلك بعد التأكد من صدقها وثباتها، وبلغ عدد أفراد مجتمع الدراسة (48) معلماً ومعلمة، من معلمي ثانويتي المكلا النموذجية بمحافظة حضرموت الساحل، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: أن مستوى معرفة معلمي ثانويتي المكلا النموذجية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات عالية في جميع محاور أداة الدراسة الثلاثة، (الوزن النسبي، الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية، الغرض من الاختبار) على التوالي، كما لم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات (التخصص، الخبرة، والجنس).

الكلمات المفتاحية: بناء الاختبارات التحصيلية، جدول المواصفات، الثانوية النموذجية.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

1-1 مقدمة:

للتقويم مكانة مهمة في حياتنا، وهو مكون أساسي من مكونات المنظومة التعليمية، إذ تؤكد معطيات التاريخ الإنساني على حقيقة، مفادها أن تقدم الأمم ورفيها في السلم الحضاري يرتبط ارتباطاً مباشراً بمدى جودة نظامها التعليمي، ومدى قدرته على مواكبة التطورات المتلاحقة في مجالات الحياة المختلفة. ولعل هذا يبدو واضحاً في حركات إصلاح أنظمة التقويم التربوي في المؤسسات التعليمية في كثير من دول العالم، ولاسيما الدول المتقدمة، منذ العقدين الماضيين، كما يبدو واضحاً في التوجهات الجديدة لبحوث ودراسات القياس والتقويم التي تنخر بها الأدبيات المتخصصة في الفترة الأخيرة.

فالتقويم عملية منهجية تتطلب جمع بيانات موضوعية ومعلومات صادقة من مصادر متعددة، باستخدام أدوات قياس متنوعة، يستند إليها في إصدار أحكام أو اتخاذ قرارات مناسبة تتعلق بالأفراد، ومما لا شك فيه أن

هذه القرارات لا ينعكس أثرها على الفرد فقط، وإنما يمتد ليشمل تقويم المهام والبرامج والمشروعات والمؤسسات؛ للتحقق من فاعليتها في تحقيق أهدافها المحددة (علام، 2009، ص. 32-31).

وتأتي الاختبارات التحصيلية وبنائها مركز الصدارة في البحوث النفسية والتربوية؛ باعتبارها إحدى الوسائل الأساسية المعتمدة في تقويم الطلاب في مختلف مراحل حياتهم التعليمية. وتعد الاختبارات التحصيلية بمختلف أنواعها المقالية، الشفوية، أو الموضوعية من بين أكثر الوسائل التقويمية استخدامًا في مؤسساتنا التربوية وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي إذا ما قلنا إنها الأداة الوحيدة للتقويم في الأنظمة التربوية. (مخائيل، 2016، ص. 123).

لذا أصبح من الضروري بناء الاختبارات التحصيلية بمهارة عالية وفقًا لجدول المواصفات من قبل المعلم؛ لتحقيق الفائدة القصوى من هذه الاختبارات واستعمالها في النحو الملائم، وبما يؤدي إلى رفع فعالية عملية التعلم والتعليم.

إن عملية إعداد الاختبارات ليس بالأمر السهل؛ فليس كل ورقة معنونة بكلمة اختبار يمكن أن ينطبق عليها مواصفات الاختبار الجيد، ويتطلب إعداد الاختبار الجيد. التخطيط الجيد وتمر عملية إعداد الاختبارات التحصيلية بخطوات عدة هي: تحديد الغرض من الاختبار، وتحليل المحتوى وتحديد الأهداف التدريسية، وإعداد جدول المواصفات، وصياغة فقرات الاختبار، وتطبيق الاختبار وتصحيحه (أبو جراد، 2011، ص. 90).

وذكر مارزانو وتوث (2014) أن ضبط قياس نمو الطالب من خلال بناء الاختبارات التحصيلية بمهارة كمحرك لفاعلية المعلم، من خلال عرض إطارًا للقيام بهذا الضبط، والتركيز على الاختبارات، بوصفها المقياس الأساس لتعلم الطلاب، ولتحقيق هذه الأهداف أكدوا على ضرورة استخدام منظومة تقويم للمعلم إذ تتطلب هذه المنظومة خطة تطبيق متعددة المراحل؛ ذلك أن كل طالب يستحق معلمًا فاعلاً، وكل معلم يستحق تغذية راجعة صادقة وموثوقة. ومع هذا فإن بناء قدرة منظمة ما على إيجاد معلمين مهرة في بناء الاختبارات التحصيلية وغيرها من أساليب التقويم، يحتاج لوقت وتدريب ومنظومات جيدة، مع تركيز مزدوج على نمو المعلم، وتحسن في تعلم الطالب (ص. 125).

وبناءً على ما سبق يرى الباحثون أن بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة هي الأداة المساعدة على الكشف عن مسيرة العمل التربوي واتجاهاته، والاستفادة من نتائجه في اتخاذ الكثير من القرارات المتعلقة بمصير الطالب والمعلم وأقطاب العملية التعليمية في المدارس؛ إذ يقع على عاتق معلمي الثانويات - خصوصًا معلمي الثانويات النموذجية - والذين يخضعون مسبقًا لمعايير دقيقة لاختيارهم، الذين يتوقع منهم أن تتوفر لديهم مهارة لبناء الاختبارات التحصيلية وإعدادها وفقًا لجدول المواصفات لطلابهم المتفوقين، واتباع الأسلوب العلمي للحصول على المعلومات والبيانات التي يريدونها عن طلابهم، باستخدام أدوات تقويمية مناسبة، بحيث تكون هذه المعلومات دقيقة وصحيحة؛ ولأجل ذلك جاءت أهمية معرفة المعلم بمبادئ القياس والتقويم التربوي ومهاراته، والتي تقف وراء الكثير من القرارات التدريسية والتربوية في مدارسنا؛ لكون المعلمين في الثانويات

النموذجية لا يحتاجون للاختبارات التحصيلية لتقوم مستوى تعلم الطلبة فقط، بل من أجل توزيعهم في الصفوف المناسبة لهم، وتوفير البرامج الإثرائية للطلبة المتفوقين، من أجل تحفيزهم نحو التعلم المتميز، والحكم على مدى إتقانهم للمواد الدراسية، وخاصة المرحلة الثانوية؛ بوصفها حلقة من حلقات التعليم، ومرحلة انتقالية للحياة الجامعية. يضع الطالب خطواته الأولى في سلم النجاح واختيار تخصصاته الملائمة؛ وفقاً لنتائج الاختبارات الوزارية.

لذلك أصبحت دراسة مستوى معرفة معلمي الثانوية لمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفقاً لجدول المواصفات ضرورة ملحة، تظهر من خلال معرفة المعلم للدور الذي يجب أن يمارسه في مجال إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة، وبالمقابل ترتقي بأدائه المهني إلى مستوى من التمكن، إضافة إلى أن نتائج الطلبة في الاختبارات ووسائل التقويم الأخرى، التي يستخدمها المعلمون سيعتمد عليها في إصدار أحكاماً يترتب عليها قرارات ذات أهمية، تتصل بجوانب مختلفة من أبعاد العملية التعليمية، ولاسيما ما يرتبط بتحديد المسار الذي سيسلكه الطالب في التعليم الجامعي.

2-1 مشكلة الدراسة:

بناء على أهمية الاختبارات التحصيلية في العملية التعليمية كإحدى أهم أدوات التقويم التي تقيس التحصيل المعرفي للمتعلمين، والاعتماد الكبير عليها لاتخاذ عدد من القرارات؛ من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من عملية التعليم والتعلم، إضافة إلى دور المعلم الفعال كخبير ومؤهل لقياس تحصيل الطلاب وتقويمهم عن طريق الاختبارات، والتي تعد محكاً أساسياً للتحقق من مدى النجاح أو الفشل بالنسبة للمتعلمين من جهة وكذا للمعلم من جهة أخرى. وهذا ما أكدته بروخارت ونيكو (2012) على أهمية الإعداد الجيد للاختبارات من حيث استخدام نتائج الطلبة التقييمية لإصدار قرارات مهمة للطلاب في المدارس النموذجية كوضع طالب معين في برنامج تدريسي خاص بالاعتماد على نتيجته في اختبار تحصيلي، إضافة إلى البرامج المخصصة للطلبة الموهوبين والمبدعين (ص 434 - 433).

ونظراً لأهمية الدور الذي تؤديه الاختبارات التحصيلية، خاصة في تحديد مصير المتعلمين، نجد أن معظم الأنظمة التربوية في العالم تولي الأهمية الكبرى للمعلم بوصفه المسؤول الأساسي عن عملية تقويم أداء المتعلمين وتأمين المردود التربوي، وخاصة أن إعداد مثل هذه الاختبارات وتطبيقها وتصحيحها وتحليل نتائجها وتفسيرها تتطلب من المعلم امتلاك مجموعة من المهارات الأساسية في مجال بناء الاختبارات التحصيلية. هذا التوجه بات واضحاً في جميع الأنظمة التربوية التي تسعى إلى الاهتمام بكفايات التقويم، إذ أكدت منظمات رئيسة للمعلمين كالاتحاد الأمريكي للمعلمين (AFT)، والجمعية القومية التربوية (NEA)، والمجلس القومي للقياس التربوي (NCME) على تحديد قائمة من المعايير لكفايات المعلمين في مجال التقويم التربوي حتى يمكن من تقديم اختبارات سليمة تقيس تحصيل التلاميذ (علام، 2009، ص 47-48).

وعلى الرغم من التطورات الحاصلة في الأدوار الجديدة لعملية التقويم فإن نظام الامتحانات الحالية ما زال قاصراً، وبعيداً عن استراتيجيات نظم الامتحانات المعاصرة التي تتوفر فيها عوامل الموضوعية والصدق والثبات، إضافة إلى أن معظم برامج الإعداد التربوي بكليات المعلمين وكليات التربية بالجامعات تتضمن مقرراً أو أكثر؛ لتزويد المعلم بمهارات القياس اللازمة لبناء اختبارات تحصيل جيدة. هناك أبحاث تؤكد أن هناك خللاً في عملية إعداد المعلم في هذا الجانب، فقد توصلت نتائج بعض الدراسات كدراسة عدائكة وزملائه (2018)، ودراسة الزبون (2013)، ودراسة أبو جراد (2011) إلى وجود تدنٍ في مستوى معرفة المعلمين بالقواعد اللازمة لبناء الاختبارات التحصيلية وفقاً لجدول المواصفات.

ولاحظ الباحثون من خلال اطلاعهم على عدد من أوراق الاختبارات لعدد من المدارس الثانوية والأساسية والمشكلات المترتبة على قصور واضح وملحوس في عدد من الاختبارات التحصيلية المعدة من قبل المعلمين، إضافة إلى شكوى أولياء الأمور المتكررة من صعوبة الاختبارات التحصيلية المعدة لتقويم أبنائهم، وظهور بعض السلبيات كمحاولات الغش أو اللجوء إلى الدروس الخصوصية، وغيرها من الظواهر كالرسوب وتكرار التسرب، وكذلك عدم وجود أبحاث ودراسات يمنية _ على حدود علم الباحثين - استهدفت تقويم معرفة أساتذة التعليم الثانوي في مجال إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة. وفي ظل هذه الآثار السلبية في بناء الاختبارات، وانطلاقاً من أهمية تمكين معلمو التعليم الثانوي - وعلى وجه الخصوص معلمي الثانويات النموذجية - من المعرفة الشاملة والكفاءة العالية لإعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة وفق أسس جدول المواصفات. لكونهم لديهم القدرة على تنفيذ برامج إثرائية وتأهيلية للمعلمين .

ومن هذا المنطلق فقد حرص الباحثون على الكشف عن معرفة مستوى معلمي الثانوية لمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفقاً لجدول المواصفات في الثانويات النموذجية في محافظة حضرموت الساحل، والتي تؤثر في نتائج الطلبة، وتنعكس سلباً على مجمل أداء المعلمين والطلبة، ويمكن تلخيص مشكلة الدراسة الحالية في الأسئلة الآتية:

- س1 ما مستوى معرفة معلمي ثانوية المكلا النموذجية بمحافظات حضرموت الساحل بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات من وجهة نظرهم؟
- س2 هل توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى معرفة معلمي ثانوية المكلا النموذجية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات تعزى لمتغيرات التخصص، الخبرة، الجنس؟

3-1 أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية ببناء الاختبارات التحصيلية وفق تحديد (الغرض من الاختبار - الأهداف التعليمية - الوزن النسبي).

- الكشف عن مدى الاختلاف في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات يعزى لمتغير (التخصص، الخبرة، الجنس).
- وضع توصيات تساعد على تطبيق تقنية جدول المواصفات في بناء الاختبارات التحصيلية بشكل عام في المدارس.

4-1 أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة فيما يأتي:

- التركيز على موضوع اكتسب أهميته من خصوصية دوره في العملية التربوية؛ إذ تشكل عملية المعرفة ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات حجر الزاوية في العملية التعليمية؛ لأن القرارات المترتبة على هذه الاختبارات هي قرارات بالغة الأهمية.
- عدم وجود الدراسات المحلية التي تناولت موضوع الاختبارات والمرتبطة بعملية القياس والتقويم.
- إفادة القائمين على العملية التعليمية في التعرف على مستوى معرفة المعلمين في الثانويات ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات .
- لفت انتباه المسؤولين والمهتمين بالعملية التعليمية إلى النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية؛ وذلك لأخذها بعين الاعتبار لمساعدة المعلمين على تطوير قدراتهم في مجال إعداد الاختبارات التحصيلية.
- تقدم الدراسة توصيات مهمة تساعد على التحسين المستمر لنظام التقويم في الثانويات النموذجية، من خلال معرفة القصور لدى المعلمين في بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات وتطبيقها في المدارس، وهي بمثابة الأهمية التطبيقية للدراسة.

5-1 محددات الدراسة:

تحدد الدراسة الحالية بما يأتي:

- **الحدود الموضوعية:** مستوى المعرفة لمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات (تحديد الغرض من الاختبار — تحديد الأهداف التعليمية — تحديد الوزن النسبي).
- **الحدود البشرية:** معلمو الثانوية النموذجية.
- **الحدود المكانية:** ثانويتا المكلا النموذجية في محافظة حضرموت الساحل (بنين، بنات)
- **الحدود الزمانية:** العام الدراسي 2020/2021م.

6-1 متغيرات الدراسة:

- **المتغيرات المستقلة:** (التخصص، الخبرة، الجنس).
- **المتغير التابع:** (آراء أفراد عينة الدراسة حول معرفة مهارات بناء الاختبار التحصيلي).

7-1 مصطلحات الدراسة:

- **7-1-1 مستوى المعرفة: المستوى:** هو الدرجة المكانية التي استوى عليها الشيء.

تعريف المعرفة: عرفها (قاموس أكسفورد): هي الخبرات والمهارات المكتسبة من قبل شخص من خلال التجربة أو التعليم؛ الفهم النظري أو الموضوع.

مستوى المعرفة: تعريف إجرائي: هو حد معين من المعلومات والبيانات والمهارات التي يمتلكها عضو هيئة التدريس في ثانويتي النموذجية بالمكلا حول تقنية جدول المواصفات، والتي تؤثر في أدائهم لبناء الاختبارات التحصيلية. والذي تحدده نتائج الاستبيان.

2-7-1 الاختبارات التحصيلية:

هي إجراء منظم لقياس تحصيل المتعلمين لأهداف تعليمية، أو هي إجراء منظم لقياس ما اكتسبه المتعلمون من حقائق ومفاهيم وتعميمات ومهارات نتيجة لدراسة موضوع ما، أو وحدة تعليمية معينة، وتقع الاختبارات التحصيلية في فئتين: الأولى تمثل الاختبارات المقننة، والأخرى تمثل الاختبارات التي يعدها المعلم التي تعرف بالامتحانات (علي، 2011، ص 299).

2-7-3 التعريف الإجرائي لمهارات بناء الاختبارات التحصيلية:

هي مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات التي يمتلكها معلم التعليم الثانوي بثانويتي المكلا النموذجية، وتظهر من خلال معرفته بالدور الذي يجب ممارسته في مجال إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة، وفقاً لجدول المواصفات، وترتقي بأدائه المهني إلى مستوى من التمكن، والتي تتضمن (تحديد الغرض من الاختبار، تحديد الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية، تحديد الوزن النسبي).

2-7-4 جدول مواصفات الاختبار: "هو عبارة عن جدول ذي بعدين، يوضحان علاقة مخرجات التعلم بمحتوى المقرر، الذي يهدف تحقيق إلى الأهداف التدريسية المنشودة. ويوضح أحد البعدين أهداف المقرر (مخرجات التعلم) ويوضح البعد الثاني محتوى المقرر (موضوع المقرر)". (شحاتة والنجار، 2003، ص 163).

2-7-5 التعريف الإجرائي لجدول المواصفات: مخطط تفصيلي يحدد محتوى الاختبار، ويربط محتوى المادة الدراسية بالأهداف التعليمية السلوكية، ويبين الوزن النسبي الذي يعطيه المعلم لكل موضوع من الموضوعات المختلفة، والأوزان النسبية للأهداف المعرفية السلوكية في مستوياتها المختلفة.

2-7-6 معلمو الثانوية: هم المعلمون الذين تم اختيارهم للتدريس في الثانويات النموذجية وفق معايير تحددها مؤسسة حضرموت للتنمية البشرية.

2-7-7 التعليم الثانوي: التعليم الثانوي يتيح للتلاميذ الذين حصلوا على شهادة المرحلة الأساسية الموحدة متابعة تنمية معارفهم ومهاراتهم العلمية والأدبية، وتستغرق مرحلة الثانوية بقسميها العلمي والأدبي ثلاث سنوات (القانون العام للتربية والتعليم رقم (45) لسنة 1994م، مادة 19).

2-7-8 التعريف الإجرائي:

هو التعليم الثانوي الذي يتيح للتلاميذ الذين حصلوا على شهادة المرحلة الأساسية بتفوق، ومتابعة تنمية معارفهم ومهاراتهم العلمية في ثانويات المكلا النموذجية بساحل حضرموت بقسميها العلمي لمدة ثلاث سنوات

9-7-1 الثانويات النموذجية: "هي الثانويات التي أنشئت بقرار وزاري رقم (340) لعام (2007) الخاصة بالطلاب المتفوقين، والتي يخضع فيها الطالب لامتحان قبول ومفاضلة قبل التحاقه بها، ويشترط أن يكون حاصلًا على (90%) في امتحانات إنهاء المرحلة الأساسية " (مؤسسة حضرموت تنمية بشرية، 2021).

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

يشمل الإطار النظري بعض أدبيات الدراسة حول الاختبارات التحصيلية، ومستوى معرفة المعلمين بمهارات بنائها وفقًا لجدول المواصفات من حيث تحديد الغرض من الاختبار - تحديد الأهداف التعليمية - تحديد الوزن النسبي، وأيضًا عرض دراسات سابقة تتعلق بموضوع الدراسة.

1-2 الإطار النظري:

يستخدم المعلمون أساليب متنوعة في تقييم أداء طلبتهم، مثل الملاحظة المباشرة، والواجبات المنزلية، غير أن أكثرها استخدامًا الاختبارات التحصيلية التي يعدها المعلم، وهي ما تزال الأداة الرئيسة التي يعتمد عليها في تقويم الطلبة في مدارسنا، رغم الانتقادات اللاذعة التي وجهت لها، ويرجع ذلك إلى أسباب متباينة، يتعلق بعضها بثقافتنا عن التقويم، ويرتبط البعض الآخر بمعطيات السياق الذي نمارس فيه التعليم والتعلم وإمكانياته، وعلى أية حال فإن سعينا لتطوير ثقافتنا ومهاراتنا في مجال تقويم الطلبة يستدعي أن نتوقف قليلًا لنناقش كيف نحسن استخدام الاختبارات التحصيلية في تقويم الطلبة.

أشار ميخائيل (2016) أن مسالة تحسين هذه الاختبارات ورفع فاعليتها وتحديثها شكلاً ومضموناً تكتسب أهمية خاصة في ظروف الثورة العلمية والتقنية، ومع التوسع الهائل في حجم المعارف العلمية الذي يشهده عصرنا، إذ بات من الضروري إعداد الإنسان الجديد القادر على استيعاب منجزات العلم والتقنية المتطورة باستمرار (ص125).

1-1-2 بناء الاختبارات التحصيلية:

ذكر ميخائيل (2016) أن المقصود باختبارات المعلم الصفية تلك الاختبارات التي يعدها المعلم عادة لأغراض الاستعمال الصفّي، وتطبق في أثناء سير عملية التعلم والتعليم، وفي انتهاء هذه العملية. وتنطوي هذه الاختبارات على أهمية قصوى؛ نظرًا لأنها تشغل الحيز الأكبر في عملية تقويم الطالب. ومن المعلوم أن الاختبارات التحصيلية تعاني من ضعف التخطيط وربما غيابه كليًا، وقليلًا ما تخضع بنود هذه الاختبارات للتحليل المنطقي، ونادرًا ما تخضع للتحليل الإحصائي أو لا تخضع له على الإطلاق. ولعل السبب في ذلك هو عدم إلمام المعلمين بصورة كافية بنظرية القياس المعاصرة وممارساته المتقدمة، واعتقاد الكثير منهم أن معرفتهم الجيدة للمادة العلمية يمكن أن تؤهلهم للقياس بصورة تلقائية (ص 128 - 127).

لذا يرى الباحثون أنه من الخطأ الاستهانة بعملية إعداد الاختبارات التحصيلية، والنظر إليها كأنها مهمة إضافية أو ثانوية؛ بحجة أن التدريس، والذي يتمثل بإعطاء المعلومات المقررة وشرحها من خلال محتوى معين، يعد بمثابة المهمة الأساسية للمعلم. فالتدريس والتقويم وجهان لعملة واحدة متكاملة، والتقويم الفعال هو عنصر متمم للتعليم الفعال ودليل عليه.

ترتكز عملية القياس والتقويم الصفّي على مجموعة من الأسس والمبادئ التي لا بد من مراعاتها عند بناء الاختبارات الصفّية. وانطلاقاً من تلك الأسس والمبادئ تسير عملية بناء الاختبار الصفّي وفق خطوات محددة، من أهمها: التخطيط للاختبار، وكتابة البنود الاختبارية، وإخضاعها للتحليل المنطقي والإحصائي . ومن المؤكد أن الوقوف عند هذه الأسس والمبادئ، وكذلك المراحل والخطوات الأساسية في عملية بناء الاختبار ودراساتها بصورة متأنية، يمكن أن تحقق فائدة قصوى للمعلم، وقد تكون بمثابة دليل استرشادي وعملي في نشاطه التقويمي الصفّي. وقد ذكر هذه الأسس والمبادئ مراد وسليمان (2002)، وأوجزها الباحثون في النقاط الآتية:

1. إن عملية بناء الاختبار يجب أن تأخذ بالحسبان استعماله والغرض الخاص منه.
2. إن اختيار شكل البنود (أو الأسئلة) يتحدد بطبيعة الأهداف ونواتج التعلم المقيسة.
3. يجب وضع البنود الاختبارية بحيث تكون بمثابة عينة ممثلة لمحتوى المادة ونواتج التعلم الخاصة المقيسة.
4. يجب أن يكون مستوى صعوبة البنود الاختبارية ملائماً.
5. يجب وضع البنود الاختبارية بحيث لا تؤثر العوامل الجانبية أو الداخلية في أداء المفحوص، وتمنعه من اظهار مستواه الحقيقي في التحصيل.

6. يجب وضع الاختبار بحيث يسهم بتحسين العملية التعليمية -التعليمية (ص36).

• 2-1-2 مواصفات الاختبار التحصيلي الجيد: (علام، 2009) .

1. يجب أن يقيس نواتج تعليمية محددة، تكون متسقة مع الأهداف التدريسية.
2. أن يغطي عينة من النواتج التعليمية والمادة الدراسية المتضمنة في التدريس.
3. أن يحتوي على نوعية الأسئلة التي تكون أكثر ملاءمة من غيرها لقياس الناتج التعليمي المرغوب.
4. أن يصاغ بحيث يتناسب والغايات التي ستستخدم النتائج فيها.
5. أن يهدف إلى تحسين مستوى تعلم الطلاب.
6. سلامة الصياغة ووضوح المفردات.
7. موضوعية وضع الدرجات عليه (ص 97).

وعلى هذا الأساس فإن إعداد اختبار تحصيلي جيد يتطلب التخطيط الجيد، ويتمثل العنصر الرئيس فيه بتحديد ما يراد قياسه، ووصفه وصفاً سلوكياً واضحاً؛ لتصبح أسئلة الاختبار من النوع الذي تستطيع أن

تستثير السلوك المرغوب فيه، وقد اتفقت الأدبيات التربوية على تحديد خطوات بناء الاختبارات التحصيلية في مجال القياس والتقويم، والتي تشكل الكفايات الأساسية للمعلم في بناء الاختبارات.

• خطوات بناء الاختبار التحصيلي: (مخائيل، 2016).

- تحديد الغرض من الاختبار: الاختبارات الصفية يمكن أن تلي عددًا من الأغراض، منها:
- الحكم على إتقان معرفة أو مهارات أساسية معينة.
- ترتيب الطلاب حسب تحصيلهم للأهداف التربوية.
- تشخيص صعوبات التعلم.
- تقويم الطريقة التعليمية.
- تحديد فعالية المنهاج. (ص، 133).
- تحديد الأهداف التعليمية:

إن الخطوة الأصعب والأهم في مرحلة التخطيط لعملية بناء الاختبار هي تحديد الأهداف التعليمية، فبدون أهداف واضحة ومحددة لا يدري المعلم ماذا يقيس، وقد يلجأ إلى الطريق الأسهل، ويقتصر على أسئلة الاستدعاء البسيط، مهملاً بذلك المستويات الأعلى للتعلم. وما من شك في أن الأهداف التي تشكو من العمومية والغموض يصعب الاسترشاد بها في عملية التقويم، ومن هنا لابد من صياغة الأهداف بعبارات واضحة ومحددة، والتعبير عنها بصورة نواتج سلوكية قابلة للملاحظة والقياس. ويؤكد علماء القياس من أمثال جرونلند ومهرنر؛ أن إخضاع الأهداف التعليمية للقياس يتطلب السير بالخطوتين الآتيتين:

- صياغة الأهداف التعليمية العامة بلغة نواتج التعلم المتوقعة.
- وضع قائمة بعينة من نماذج السلوك الخاصة، التي يجب على الطالب أن يظهرها عندما ينجز الهدف.
- تحديد المحتوى:

إن تحديد المحتوى الذي سيشمله الاختبار هو أمر مهم، ولا سيما حين يكون الغرض من الاختبار هو تقويم ما تعلمه الطالب في المادة الدراسية أو في جزء منها. ويرى ثورندايك وهاجن الوارد في ميخائيل (2016) "أن للمحتوى أهمية خاصة لأنه الوسيط الذي تتحقق من خلاله الأهداف كعمليات" (ص. 153). وتتطلب عملية تحديد المحتوى بيان العناصر والمجالات الرئيسة والفرعية لهذا المحتوى مع تحديد الأوزان النسبية لكل منها، وذلك على ضوء أهميته، والزمن المخصص لتدريسه، ومن ثم تخصيص عدد من الأسئلة أو البنود لكل مجال رئيس أو فرعي استنادًا إلى ذلك.

• بناء جدول المواصفات:

بعد تحديد الأهداف التعليمية وعناصر المحتوى الذي سيشمله الاختبار لابد من تنظيمها جميعًا في جدول مواصفات الاختبار. والغرض من هذا الجدول هو ربط الأهداف التعليمية مباشرة بعناصر المحتوى الدراسي، وتحديد عدد البنود الخاصة بكل هدف. ويفيد جدول المواصفات في إعطاء كل هدف الوزن الذي يستحقه

بنظر واضع الاختبار. ويعد تبعاً لذلك أداة فعالة لتأسيس صدق محتوى الاختبار من خلال إلزام واضع الاختبار بتوزيع أسئلته على مختلف أجزاء المحتوى وعناصره من جهة، وعلى جميع الأهداف التعليمية المتصلة بهذا المحتوى من جهة أخرى. وأشارت بروخارت ونيثكو (2012) أن جدول المواصفات يعد الأداة المعتادة لتعريف مجال اختبارات مسح التحصيل المقننة في دليل الاستخدام، ويحتوي هذا الجدول على الوحدات العامة للمحتوى والمهارات المراد تقييمها. ويصف الجدول نسبة المهام (المفردات) لكل خلية تجمع بين المحتوى والمهارات. وتعد نسبة المهام في كل خلية قياساً تقريبياً للوزن، الذي تضيفه إلى الدرجة الكلية للطلاب (ص. 55).

• اختيار نوع أسئلة الاختبار:

يوصف السؤال في الإطار التعليمي بأنه كل عبارة تنطوي على مطالبة المعلم الطلاب بإجابة ترتبط بهدف تعليمي مقرر، وفي التربية يقال: "الإجابة نصف المعرفة". وهناك أشكال وأنواع عدة من الأسئلة التي يمكن استخدامها في الاختبارات الصفية، ويمكن تصنيف هذه الأنواع إلى صنفين رئيسين، هما: الأسئلة المقالية أو الإنشائية، التي تتطلب عادة إجابة طويلة مفصلة، والأسئلة أو البنود الموضوعية من نوع صواب - خطأ أو الاختيار من متعدد أو المطابقة أو تعبئة الفراغات. وما من شك في أن اختيار النوع الملائم من البنود يعتمد إلى حد كبير على الهدف المراد قياسه، ويتعين على المعلم نفسه أن يحدد هذا النوع بما يتلاءم مع الهدف من جهة، وطبيعة المحتوى من جهة أخرى. ومن المعلوم أن بعض البنود أو الأسئلة أكثر ملاءمة من بعضها الآخر لقياس أهداف معينة. (ميخائيل، 2016، ص 137).

• ترتيب أسئلة الاختبار:

عند صياغة فقرات الاختبار بصورتها النهائية يتم ترتيبها؛ لذلك على المعلم أن يختار التنظيم المناسب لتحقيق أهداف الاختبار التحصيلي، وهناك أمور عدة يمكن أخذها بعين الاعتبار عند ترتيب الأسئلة، وهي:

- حسب الشكل (وضع كل نوع من أنواع الأسئلة المستخدمة بعضها مع بعض).
- حسب المحتوى (تسلسل الفقرات في السؤال الواحد تسلسلاً منطقيًا لمحتوى المادة الدراسية).
- مستوى الصعوبة (تدرج الأسئلة في المجموعة الواحدة من السهل إلى الصعب).
- مستوى الأهداف (وضع الفقرات التي تقيس مستوى معينًا من الأهداف بشكل متسلسل، مع إمكانية الملاحظة أن مستوى الأهداف قد يستخدم لتدرج الفقرات بناء على صعوبتها) (ملحم، 2002، ص 221).

• صياغة تعليمات الاختبارات:

تمثل التعليمات إرشادات مهمة توجه التلميذ وترشده إلى كيفية الاستجابة لفقرات الاختبار، حيث أوجزها علام (2009) في الآتي:

- أن تكون كلمات التعليمات مفهومة وبمبسطة وبجمل قصيرة (تنظيم الورقة، الخط، اللغة).

- أن تكون متسلسلة على شكل نقاط وواضحة.
- عدم وضع افتراض أن التلاميذ يعرفون طريقة الإجابة استناداً إلى خبرة سابقة، بل يفترض أنهم يؤدون الاختبار لأول مرة.
- وعليه فإن صياغة التعليمات بصورة واضحة ومفهومة تؤدي دوراً كبيراً في تقليل أسئلة التلاميذ واستفساراتهم حول الاختبار.

• إخراج الاختبار وطابعته:

- لإعداد اختبار تحصيلي جيد هناك مجموعة من الإرشادات المهمة، والتي يحتاجها المعلم لإخراج الاختبار في صورته النهائية، يوجزها الباحثون في النقاط الآتية :
- مراعاة السلامة اللغوية في صياغة الأسئلة، والابتعاد عن العبارات القابلة للتأويل.
- أن يكون السؤال المحدد غير مركب.
- أن يكون كل سؤال مستقلاً بذاته، ولا تعد الإجابة عنه شرطاً للإجابة عن سؤال يليه.
- أن يخلو السؤال من العبارة المؤدية للإجابة.
- تقسيم التعليمات المناسبة قبل الشروع في الاختبار.
- أن تكون أسئلة الاختبار مناسبة للزمن المخصص لها.
- أن تكون الطباعة واضحة وخالية من الأخطاء المطبعية والإملائية، مع ترك مسافة كافية بين الفقرات.
- (ملحم، 225، 2002).

• تجريب الاختبار:

- يطلق على التجربة الأولية للاختبار " التجريب الاستطلاعي"، ويتم بتطبيق الاختبار على عينة صغيرة من الطلاب بهدف التعرف على مدى وضوح التعليمات والأسئلة، ومدى مناسبتها لمستوى التلاميذ بشكل عام، والزمن اللازم للإجابة عنه، وبعد ذلك تجرى التعديلات اللازمة.
- ويشير ميخائيل (2016) إلى أن الاعتماد على نتائج اختبارات لم يتم تجريب أسئلتها يؤدي إلى ضعف مستواها من حيث الصدق والثبات، وبالتالي عدم مقدرة تلك الاختبارات على تحقيق أغراضها (ص، 163).

• تحليل فقرات الاختبار:

- تعد عملية تحليل مفردات الاختبار التحصيلي من العمليات الأساسية التي يمكن أن يستخدمها المعلم في فحص مدى جودتها وفعاليتها وتحديد؛ إذ تختلف طرق التحليل باختلاف نوع الأسئلة (مقالية، موضوعية). والهدف من تحليل الفقرات هو تحديد درجة صعوبة كل مفردة (معامل الصعوبة) وإمكانية تمييزها بين المستويات التحصيلية المختلفة للطلبة (معامل التمييز)، وتحليل المشتتات في فقرات الاختبار المتعدد (فعالية البدائل). (علام، 2009، ص254).

• تطبيق الاختبار:

تتطلب عملية تطبيق الاختبار توفير الظروف الفيزيائية والنفسية المناسبة، إذ ينخفض قلق الاختبار قبل أو عند دخول التلميذ قاعة الامتحان، وعند بلوغ التلميذ درجة عالية من القلق يؤدي إلى انخفاض مستوى أدائه في الامتحان.

• تصحيح الاختبار:

يرى ملحم (2002) أن تصحيح الاختبار يتوقف على نوع الاختبار المستخدم، وعلى الإجراءات التي اتخذت لأغراض التصحيح، وينبغي على واضع الأسئلة كتابة الإجابة النموذجية والإجابات المتوقعة والمقبولة، وتوزيع العلامات المستحقة عليها، وبيان الإجابات غير المقبولة، وقد يكون التصحيح يدوياً أو آلياً، وعند التصحيح يراعى ما يأتي:

- مناقشة دليل التصحيح قبل البدء بعملية التصحيح.
- التزام المصححين جميعهم بدليل التصحيح.
- تعميم كل قرار أو إجراء يتم اتخاذه على المصححين جميعهم عند حدوث تعديل على الإجابة أو وجود إجابة بديلة أخرى (ص، 225).

• دراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة موضوع مهارات بناء الاختبارات التحصيلية، وتم التركيز على الدراسات التي أجريت في الثانويات، مرتبة من الأحدث فالأقدم.

دراسة أحمد (2020)، وهدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج تدريبي في إكساب أعضاء هيئة التدريس بجامعة ورقلة بالجزائر مهارات تصميم الاختبارات التحصيلية، وقد استخدمت الباحثة المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (45) من أعضاء هيئة التدريس في كليتي الآداب والعلوم، وقد تم استخدام البرنامج التدريبي، وبناء قائمة بمهارات تصميم الاختبارات التحصيلية، وزعت في أربع مهارات فرعية (مهارات خاصة بأسئلة الاختبارات بصفة عامة، مهارات خاصة بالأسئلة المقالية، مهارات خاصة بالأسئلة الموضوعية، مهارات خاصة بإخراج الورقة الاختبارية)، وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد العينة في التقييم القبلي ودرجاتهم في التقييم البعدي في الأبعاد الأربعة والدرجة الكلية على أداة تقييم مهارات تصميم الاختبارات التحصيلية في اتجاه التقييم البعدي، ولا توجد فروق دالة إحصائية في متوسطات درجات أفراد العينة في التقييم البعدي والتقييم التبعي في الأبعاد الأربعة والدرجة الكلية للمهارات وذلك بعد مرور شهرين من تنفيذ البرنامج.

دراسة محمد (2020)، وهدفت إلى معرفة مدى استخدام أساتذة التعليم الثانوي للمعايير العلمية في بناء الاختبارات التحصيلية مرجعية المحك وقياسها لمختلف المستويات المعرفية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، على عينة تكونت من (130) من أساتذة التعليم الثانوي بولاية تيارت بالجزائر، وقد تم

إعداد قائمة بالمعايير العلمية لتقوم الاختبارات التحصيلية من إعداد الباحث وتحليل (23) اختبارًا تحصيليًا من المواد العلمية والأدبية، وتوصلت النتائج إلى وجود ضعف في اهتمام الأساتذة بمعايير بناء الاختبارات في الجانب المتعلق بتحديد الهدف من الاختبار، وكذلك في تحليل المحتوى، وعدم الاعتماد على جدول المواصفات، كما أن الأساتذة يركزون على الأسئلة المقالية في إعداد الاختبارات التحصيلية.

دراسة Abu Foudeh (2020)، وهدفت إلى بناء برنامج تدريبي قائم على معايير الجودة بالاختبارات التحصيلية، والتحقق من فاعليته في تحسين كفاءة أعضاء هيئة التدريس في إجراء الاختبارات في جامعة الشرق الأوسط في الأردن، وقد استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، وتكونت عينة الدراسة من (70) من أعضاء هيئة التدريس الذين تم اختيارهم بطريقة عشوائية من كليات مختلفة، وقد تم استخدام البرنامج التدريبي وأداة تقييم تضمنت (58) عنصرًا موزعة على خمسة أبعاد، وتوصلت نتائج الدراسة إلى فعالية البرنامج التجريبي، كما أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير التخصص، وأوصت الدراسة بتبني البرنامج التدريبي، وكذلك الاستفادة من قائمة معايير الجودة في تقييم الاختبارات التحصيلية.

دراسة عدائكة وآخرين (2018)، وهدفت إلى التعرف على مستوى معرفة أساتذة الثانوية لكفايات إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة في ضوء أدوارهم الجديدة، وقد تم استخدام المنهج الوصفي الاستكشافي، وتكونت عينة الدراسة من (232) أستاذًا وأستاذة في ثانوية ولاية الوادي وسط الجزائر، وقد تم استخدام مقياس مكون من (15) فقرة، ممثلة في ثلاثة محاور (التخطيط - الإعداد والتقنيين - التحليل والتركيب)، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الدرجة الكلية لمستوى معرفة أستاذ التعليم الثانوي لكفايات إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة في ضوء أدوارهم الجديدة كانت منخفضة، ومن حيث المحاور الثلاثة فقد كانت في محور التخطيط عالية، في حين كانت منخفضة في محور الإعداد والتقنيين ومحور التحليل والتركيب.

دراسة جعفرور وآخرين (2018)، وهدفت إلى تحديد الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للمحتوى، وتكونت عينة الدراسة من (70) اختبارًا تحصيليًا لمادة اللغة العربية وآدابها للبكالوريا التجريبية شعبة أداب وفلسفة للعام الدراسي 2012 / 2013م بثانويات الوادي - وسط الجزائر، واستخدم الباحثون الوثائق والمقابلة أدوات للدراسة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة تتمثل في مؤشر (معامل السهولة والصعوبة - القدرة على التمييز - الصدق - الثبات - الجودة).

دراسة قارة (2018)، وهدفت إلى بناء اختبار تشخيصي مرجعي لقياس كفايات معلمي المرحلة الابتدائية في بناء الاختبارات التحصيلية الموضوعية ببلدة طولقة ولاية بسكرة، بالجزائر، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، واختيرت عينة عشوائية قوامها (140) من المعلمين والمعلمات. قامت الباحثة ببناء اختبار تشخيصي مرجعي الحك، وأسفرت النتائج إلى أن الاختبار التشخيصي الذي تم بناؤه يتمتع بدرجات

عالية من الصدق والثبات وبمعاملات صعوبة وتمييز جيدة، كما توصلت الباحثة إلى انخفاض درجة إتقان عينة الدراسة لكفايات بناء الاختبارات التحصيلية الموضوعية بناء على الاختيار التشخيصي مرجعي المحك. دراسة قنوعة وفوحمة (2017)، وهدفت إلى معرفة مدى استعمال أساتذة التعليم المتوسط لجدول المواصفات في بناء الاختبارات التحصيلية، وتكونت عينة الدراسة من (67) أستاذًا من أساتذة التعليم المتوسط، وقد تم استخدام أداة استبيان لجمع البيانات التي وزعت على العينة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن أساتذة التعليم المتوسط يعرفون استعمال جدول المواصفات بنسبة (76.12%) ويطبقونه عند بناء الاختبارات التحصيلية بنسبة (73.3%)، وتعد نسبة غير مقبولة اعتبارًا للسياسة التربوية التي تلزمهم بذلك، وأن نسبة (100%) من الأساتذة يراعون الأهمية النسبية لمحتوى الدروس عند وضع الأسئلة، أما بالنسبة لمراعاة الأهداف التعليمية المعرفية فإن (98.51%) يراعون الأهداف المعرفية الدنيا، وبنسبة أقل (91.04%) يراعون الأهداف التعليمية العليا، أما الاختبار في شكل حل مشكلة فكانت نسبتهم أقل بكثير إذ بلغت (58.21%)، أما فيما يخص الأهداف الوجدانية والأهداف الحس حركية فكانت نسبتهم متدنية جدًا فقد بلغت على التوالي (43.28%) (37.31%).

دراسة الفرجات (2015)، وهدفت إلى معرفة مدى كفايات معلمي المدارس الحكومية الثانوية التابعة لمديرية التربية والتعليم بمحافظة العقبة بالأردن في بناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير الاختبار الجيد، وتكونت عينة الدراسة من (315) معلمًا ومعلمة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية العنقودية، وقد تم استخدام اختبار تحصيلي واستبانة مسح للحاجات التدريبية تحوي أسئلة مفتوحة للمعلمين في مجال الاختبارات والمقاييس، كما تم الاعتماد على قائمة معايير الكفاءة لتحديد درجة ممارسة المعلمين لكفايات بناء الاختبارات التحصيلية كما هي في الواقع، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن درجة معرفة المعلمين بمجال بناء الاختبارات كانت متوسطة، وأن درجة ممارسة المعلمين للكفايات المتعلقة ببناء الاختبارات التحصيلية كانت متدنية.

دراسة الزبون (2013)، وهدفت إلى معرفة مدى كفاءة معلمي المدارس الحكومية الثانوية التابعة لإدارة التربية والتعليم بالطائف بالسعودية في بناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير الاختبار الجيد، وتكونت عينة الدراسة من (280) معلمًا تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وقد تم استخدام اختبار تحصيلي في مجال الاختبارات والمقاييس، واستبانة مسح للحاجات التدريبية للمعلمين في مجال الاختبارات والمقاييس، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن درجة معرفة المعلمين في مجال الاختبارات المقاييس كانت متدنية، ودرجة ممارسة المعلمين للكفايات المتعلقة ببناء الاختبارات التحصيلية كانت بدرجة متوسطة، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية تبعًا لمتغير المؤهل

العلمي لصالح المعلمين الحاصلين على المؤهل الأعلى، ومتغير الدورات التدريبية لصالح المعلمين الحاصلين على دورات تدريبية، وفي متغير دراسة مساق الاختبارات والمقاييس لصالح المعلمين الذين مارسوا مادة الاختبارات والمقاييس ومادة التقويم التربوي. كما بينت النتائج أن درجة المعوقات التي تحول دون بناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير الاختبار الجيد كانت متوسطة .

دراسة أبو جراد (2011)، هدفت إلى التعرف على مدى التزام المعلمين بتحليل نتائج الاختبارات التحصيلية وعلاقته باتجاهاتهم نحوها، وتكونت عينة الدراسة من (249) معلمًا ومعلمة من معلمي المرحلة الأساسية الدنيا التابعة لمديرية التربية والتعليم في غزة، فلسطين، وقد استخدم الباحث مقياس اتجاهات المعلمين نحو الاختبارات المدرسية ومقياس الممارسات الإحصائية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن التزام المعلمين بتحليل نتائج الاختبارات التحصيلية التي يعدونها إلى ضعف واضح في ممارستهم لها، وبلغ معامل ارتباط بيرسون بين درجات المعلمين على مقياس الاتجاهات ودرجاتهم على مقياس الممارسات الإحصائية (0.42)، وهي دالة إحصائيًا، واتجاهات معلمي المرحلة الأساسية نحو الاختبارات المدرسية سالبة مما انعكس على ممارستهم نحو تحليل نتائج الاختبارات، كما أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير المعلم أو خبرته أو التفاعل بينها.

1-2-2 التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال ما تم عرضه من دراسات سابقة تبين الآتي:

- اتفقت جميع الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية على اختيار المنهج الوصفي ما عدا دراسة أحمد (2020) ودراسة Abu Foud (2020) إذ استخدمتا المنهج شبه التجريبي.
- اتفقت غالب الدراسات السابقة في عينة الدراسة ماعدا دراسة أحمد (2020)، ودراسة (2020) Abu Foudeh حيث تمثلت العينة من هيئة التدريس بالجامعة عينة للدراسة. في حين استخدمت دراسة قارة (2018) معلمي المدرسة الابتدائية الدنيا عينة للدراسة.
- اختلفت نتائج بعض الدراسات السابقة في النتائج مع الدراسة الحالية إذ أثبتت بعض الدراسات انخفاضًا وضعفًا في مستوى معرفة والتزام المعلمين ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات أو وفق معايير الاختبار الجيد، مثل دراسة محمد (2020)، ودراسة جحراب وآخرين (2018)، ودراسة الزبون (2013)، ودراسة ابو جراد (2011) في حين أثبتت بعض الدراسات الأخرى وجودها بدرجة متوسطة مثل دراسة قنوعة وفوحمة (2017)، ودراسة الفرجات (2015)؛ في حين أثبتت الدراسة الحالية وجودها بدرجة عالية .

الفصل الثالث

إجراءات الدراسة

3-1 منهج الدراسة:

استخدم الباحثون المنهج الوصفي المسحي بوصفه مناسباً لتزويد الباحثين بمعلومات لتحقيق أهداف الدراسة.

3-2 مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ثانويتي المكلا النموذجية في محافظة حضرموت الساحل، وعددهم (48) معلماً ومعلمة للعام الدراسي 2020 / 2021م. نتيجة لصغر هذا المجتمع تقرر أخذ المجتمع كاملاً، وبذلك أصبحت عينة الدراسة هي نفسها مجتمع الدراسة، والجدول رقم (1) يبين وصفاً لمجتمع الدراسة تبعاً لمتغيراتها المستقلة

جدول رقم (1) يبين خصائص مجتمع الدراسة تبعاً لمتغيراتها المستقلة

البيانات	المجتمع	الفئة	العدد	النسبة المئوية
التخصص	44	علمي	22	39.6 %
		أدبي	22	39.6 %
الخبرة	44	15	20	41.7 %
		16 - 25	13	27.1 %
		26 - 35	11	22.9 %
الجنس	44	أنثى	25	52.1 %
		ذكر	19	39.6 %

3-3 أداة الدراسة:

لما كانت الدراسة الحالية تهدف إلى معرفة مستوى معلمي الثانوية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفقاً لجدول المواصفات، لذلك تم استخدام أداة الاستبانة من إعداد الباحثين للإجابة عن أسئلة الدراسة، وتكونت الاستبانة من جزئين، هما: بيانات عامة، وتشمل: (جنس المعلم، الخبرة، التخصص)، ومواصفات بناء الاختبارات التحصيلية وفقاً لجدول المواصفات في ثلاثة محاور (تحديد الغرض من الاختبار، تحديد الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية، تحديد الوزن النسبي).

3-3-1 الصدق الظاهري:

تم التحقق من صدق الأداة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص، وعددهم (7) بإبداء ملاحظات عليها، وإضافة بعض الفقرات وحذفها وكانت عدد فقرات الأداة في صورتها الأولية (42) فقرة، وبعد تعديلها أصبحت الأداة بصورتها النهائية (35) فقرة، توزعت على المحاور الآتية:

محور تحديد الغرض من الاختبار (8) فقرات، ومحور تحديد الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية (11) فقرة، ومحور تحديد الوزن النسبي (16) فقرة، وفق مقياس ثلاثي متدرج بدرجة عالية (3)، ومتوسطة (2)، ومنخفضة (1).

2-3-3 صدق الاتساق الداخلي (البنائي):

لمعرفة صدق الاتساق الداخلي تم حساب معاملات ارتباط درجة كل فقرة مع الدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، فقد تراوحت معاملات ارتباط فقرات المحور الأول مع الدرجة الكلية للمحور ما بين (0.450 – 0.710)، وهي معاملات دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، وتراوحت معاملات ارتباط فقرات المحور الثاني مع الدرجة الكلية للمحور ما بين (0.363 – 0.606)، وهي معاملات دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، والمحور الثالث تراوحت معاملات فقرات المحور مع الدرجة الكلية للمحور ما بين (0.326 – 0.547)، وهي معاملات دالة عند مستوى الدلالة (0.05)، وهذا يشير إلى تمتع الاستبانة بصدق داخلي معقول .

3-3-3 ثبات الأداة:

للتأكد من ثبات أداة قياس الدراسة تم احتساب معامل ثبات التجانس باستخدام معادلة كرونباخ الفا (Cronbach Alpha) الذي بلغ (0.85)، وهذا يدل على أن الأداة تتصف بالثبات بما يحقق أغراض الدراسة، ويجعل التحليل الإحصائي سليماً ومقبولاً.

4-3 المعالجات الإحصائية:

استعان الباحثون لغرض معالجة نتائج الدراسة ببرنامج الحقيبة الإحصائية في العلوم الاجتماعية (SPSS) الإصدار (23)، وطبقت الوسائل الإحصائية الوصفية والاستدلالية الآتية: المتوسطات الحسابية، والانحراف المعياري.

- التكرارات النسب المئوية.
- معامل كرونباخ الفا (Cronbach Alpha) للتحقق من ثبات أداة القياس.
- اختبار T.test .
- تحليل التباين الأحادي (ANOVA).

الفصل الرابع

تحليل نتائج الدراسة ومناقشتها:

1-4 نتائج الإجابة عن أسئلة الدراسة:

من خلال استجابات أفراد العينة وتقديراتهم لكل عبارات الاستبانة تم حساب مدى المتوسط لمعرفة درجة تحقق العبارة والحكم عليها، وهو (2). وبقسمة المدى على مستويات تقدير درجة الحاجة الذي يساوي (3) كان نتائج القسمة (0.80) - وهو يمثل طول الفئة، وبذلك أصبح المعيار للحكم (الجدول رقم (2)).

جدول رقم (2) يبين معيار الحكم على درجة تحقق العبارات لتقدير عينة الدراسة

م	المتوسط	النسبة	درجة التحقق
1	3 - 2.34	78 - 100%	عالية
2	2.33 - 1.67	56 - 77%	متوسطة
3	1.66 - 1	2 - 55%	منخفضة

نتيجة السؤال الأول الذي ينص على:

ما مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات بمحاضرة حضرموت الساحل ؟

وللإجابة عن السؤال تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل محور ولكل فقرة من فقرات المحور، كما في جدول رقم (3) .

جدول رقم (3) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحاور

المحاور	الترتيب	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
تحديد الغرض من الاختبار	1	83.33 %	2.50	1.80951
تحديد الأهداف التعليمية	2	79 %	2.37	3.92928
تحديد الوزن النسبي	3	76 %	2.30	5.67416
الكل		79 %	2.37	9.38385

نلاحظ من الجدول (3) أن النسبة المئوية الكلية لتقدير مجتمع الدراسة على أداة الدراسة (79 %) بدرجة عالية ظاهرياً غير أنها غير مقبولة؛ لأنه من المفروض أن تكون نسبة معرفة معلمي مدارس ثانوية المكلا النموذجية أعلى من (90 %)، ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن الثانوية النموذجية لها معايير في اختبار من يقوم بعملية التعليم لديهم، وأن يكونوا على مستوى عالٍ جداً من المعرفة ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات، ومن حيث الترتيب فقد أتى محور الغرض من الاختبار في المرتبة الأولى بنسبة (83.33 %)، ومتوسط حسابي (2.50)، وانحراف معياري (1.80951). وجاء في المرتبة الثانية محور تحديد الأهداف التعليمية للمادة الدراسية بنسبة (79 %)، ومتوسط حسابي (79)، وانحراف معياري (3.92928). وجاء في المرتبة الأخيرة محور الوزن النسبي بنسبة (76 %)، ومتوسط حسابي (2.30)، وانحراف معياري (5.67416) بدرجة متوسطة. ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن معرفتهم بتحديد الوزن النسبي جاءت من خلال دراسة مساق القياس والتقويم التربوي أثناء الدراسة الأكاديمية، فقد أسهمت هذه الخلفية العلمية بشكل كبير في حصوله على درجة متوسطة، أما وجود محور تحديد الغرض من الاختبار في

المرتبة الأولى فيمكن أن يعزى ذلك إلى أن المعلم يركز على أن الغرض من الاختبار هو قياس التحصيل المعرفي دون الاهتمام لأي أغراض أخرى للاختبارات التحصيلية.

جدول رقم (4) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الأول (تحديد الغرض من الاختبار)

رقم الفقرة	الفقرة	المرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة المعرفة
1	أصمم الاختبار لغرض معرفة تحصيل الطلبة في المادة الدراسية بعد الانتهاء من تدريسها	1	2.8636	0.34714	عالية
2	أضع اختباراً لقياس نقاط القوة والضعف لدى الطلاب	2	2.8409	0.42826	عالية
3	أضع الاختبار لقياس مدى استعداد الطلاب لتعلم موضوع جديد	8	2.1818	0.75553	متوسطة
4	أضع اختباراً لإثارة الدافعية لدى الطلبة للتعلم	4	2.6136	0.49254	عالية
5	أصمم الاختبار بهدف تحيل الطلبة ومدى تقدم الطلبة	3	2.6818	0.47116	عالية
6	أصمم اختباراً يعبر عن الأهداف المعرفية التي يجب أن تقاس	5	2.4318	0.62497	عالية
7	أضع اختباراً لقياس المستويات الدنيا في المجال المعرفي (التذكر، الفهم، التطبيق)	6	2.2500	0.68624	متوسطة
8	أضع اختباراً لقياس المستويات العليا في المجال المعرفي (التحليل، التركيب، التقويم)	7	2.2045	0.66750	متوسطة

نلاحظ من الجدول (4) أن الفقرات التي تنص على (أصمم الاختبار لغرض معرفة تحصيل الطلبة في المادة الدراسية بعد الانتهاء من تدريسها - أضع اختباراً لقياس نقاط القوة والضعف لدى الطلاب - أصمم الاختبار بهدف تحيل الطلبة ومدى تقدم الطلبة) جاءت في المرتبة (1، 2، 3) على التوالي. والفقرات التي تنص على (أضع اختباراً لقياس المستويات الدنيا في المجال المعرفي (التذكر، الفهم، التطبيق) - أضع اختباراً لقياس المستويات العليا في المجال المعرفي (التحليل، التركيب، التقويم) - أضع الاختبار لقياس مدى استعداد الطلاب لتعلم موضوع جديد) جاءت في المرتبة (6، 7، 8) على التوالي. ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن هناك أهدافاً كثيرة لتحديد الغرض من الاختبارات التحصيلية، غير أن معرفة المعلم بالغرض من الاختبار كانت معرفة تقليدية، تعتمد على الحفظ والتذكر ومعرفة نقاط الضعف والقوة أكثر من تحديد أهداف تقع ضمن قياس المستويات العليا للأهداف المعرفية التعليمية، وهي تتوافق - تماماً - مع دراسة محمد (2020)، وقنوعه وفوحمة (2017)؛ فقد أسفرتا عن النتيجة نفسها، وهي تركيز المعلمين على المستويات الدنيا بنسبة عالية في حين كانت مراعاة الأهداف في المستويات العليا كانت نسبتها أقل من الأولى. واتفقت - أيضاً -

هذه النتيجة مع دراسة الفرجات (2015) فقد بلغ مستوى المعرفة لدى الكادر التدريسي في مجال الاختبارات درجة متوسطة .

جدول رقم (5) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الثاني (تحديد الأهداف التعليمية)

رقم الفقرة	الفقرة	المرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة المعرفة
1	أصنف الأهداف في مستوى الفهم مستخدماً الأفعال المناسبة	1	2.61	0.57933	عالية
2	أكتب أهداف تصف السلوك القابل للملاحظة	7	2.36	0.53226	عالية
3	أكتب أهدافاً بسيطة وغير مركبة (تتعلق بسلوك واحد)	10	2.07	0.72810	متوسطة
4	أكتب أهدافاً تصف قدرات المتعلم	2	2.59	0.62201	عالية
5	أكتب أهدافاً تصف أداء المتعلم	3	2.52	0.69846	عالية
6	أضع أهدافاً في مستوى التطبيق مستخدماً الأفعال المناسبة	5	2.41	0.62201	عالية
7	أصوغ أهدافاً في مستوى التحليل مستخدماً الأفعال المناسبة	9	2.18	0.58161	متوسطة
8	أصنف أهدافاً واقعية	6	2.39	0.57933	عالية
9	أصوغ أهدافاً في مستوى التقويم مستخدماً الأفعال المناسبة	4	2.45	0.62708	عالية
10	أضع أهدافاً في مستوى التركيب مستخدماً الأفعال المناسبة	8	2.20	0.59375	متوسطة
11	أضع أهدافاً في مستوى التذكر مستخدماً الأفعال المناسبة	7	2.36	0.65026	عالية

نلاحظ من الجدول (5) أن الفقرات التي تنص على (أصنف الأهداف في مستوى الفهم مستخدماً الأفعال المناسبة - أكتب أهدافاً تصف قدرات المتعلم - أكتب أهدافاً تصف أداء المتعلم) جاءت في المرتبة (1، 2، 3)، والفقرات التي تنص على (أضع أهدافاً في مستوى التركيب مستخدماً الأفعال المناسبة - أصوغ أهدافاً في مستوى التحليل مستخدماً الأفعال المناسبة - أكتب أهدافاً بسيطة وغير مركبة (تتعلق بسلوك واحد)) جاءت في المرتبة (8، 9، 10) على التوالي، ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى أن وضع أهداف في المستويات الدنيا أسهل من وضعها في المستويات العليا، وأيضاً قلة معرفة المعلمين بالأفعال المناسبة المستخدمة في كتابة الأهداف الخاصة بالمستويات المعرفية، وخاصة في مجال التحليل والتركيب، وتركيزهم على الأهداف القابلة للملاحظة. وهي تتوافق - تماماً - مع دراسة كلٍّ من محمد (2020) وقنوعه وفحومة (2017) كما أشرنا آنفاً. وتوافقت مع دراسة كلٍّ من الفرجات (2015) والزيون (2013) في مستوى المعرفة لدى المعلمين إذ كانت متوسطة.

جدول رقم (6) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الثالث (تحديد الوزن النسبي)

رقم الفقرة	الفقرة	المرتبة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة المعرفة
1	أحدد عدد الحصص لتدريس الوحدة	2	2.66	0.56828	عالية
2	أحدد عدد الحصص لكل موضوع دراسي من موضوعات الوحدة	1	2.75	0.57567	عالية
3	أحدد عدد الأهداف للوحدة الدراسية	9	2.20	0.82348	متوسطة
4	أحسب الوزن النسبي لكل موضوع حسب أهميته	11	2.09	0.80169	متوسطة
5	أحدد الوزن النسبي حسب عدد الصفحات	13	1.70	0.63170	متوسطة
6	أضع الوزن النسبي للأهداف التعليمية	4	2.52	3.23849	عالية
7	أضع عدد الأسئلة في مجال التذكر	6	2.32	0.63878	متوسطة
8	أضع عدد الأسئلة في مجال الفهم	5	2.36	0.65026	عالية
9	أضع عدد الأسئلة في مجال التطبيق	8	2.27	0.62370	متوسطة
10	أضع عدد الأسئلة في مجال التحليل	11	2.09	0.60302	متوسطة
11	أضع عدد الأسئلة في مجال التركيب	12	2.02	0.54936	متوسطة
12	أضع عدد الأسئلة في مجال التقويم	7	2.29	0.70148	متوسطة
13	أحسب درجة الاختبار لكل مستوى من مستويات الأهداف حسب مواضيع الوحدة	10	2.18	0.72409	متوسطة
14	أحدد العدد الكلي لأسئلة الاختبار في ضوء الزمن المتاح	3	2.61	0.65471	عالية
15	أحدد العدد الكلي لأسئلة الاختبار وفق نوع الأسئلة (مقالية، موضوعية)	4	2.52	0.59018	عالية
16	أحدد عدد الأسئلة لكل موضوع من موضوعات المادة الدراسية في كل مستوى من مستويات الأهداف	8	2.27	0.69428	متوسطة

نلاحظ من الجدول (6) أن الفقرات التي تنص على (أحدد عدد الحصص لكل موضوع دراسي من موضوعات الوحدة - أحدد عدد الحصص لتدريس الوحدة - أحدد العدد الكلي لأسئلة الاختبار في ضوء الزمن المتاح) المرتبة (1، 2، 3) على التوالي، والفقرات التي تنص على (أحسب الوزن النسبي لكل موضوع حسب أهميته - وأحسب عدد الصفحات - أضع عدد الأسئلة في مجال التركيب - أحدد الوزن النسبي حسب عدد الصفحات) جاءت في المرتبة (11، 12، 13) وأظهرت هذه النتيجة أن عملية توزيع المواضيع حسب أهميتها لا يهتم به في عملية إعداد الاختبار، وهو ما يؤثر على شمولية الاختبار للموضوعات والصفحات، وتعد هي ميزة خاصة لتقنية جدول الموصفات، الذي يعمل على التوازن بين أهمية الموضوع من حيث عدد الحصص مساحته داخل أسئلة الاختبار، وهذا يبرز لنا بوضوح ضعف الممارسة الفعلية لجدول

المواصفات عند صياغة أسئلة الاختبار، وهو ما يتوافق مع دراسة العرجان ودراسة الزبون (2013)، إذ جاءت درجة الممارسة فيهما متدنية. أظهرت لنا - أيضًا - أن المعلمين يواجهون صعوبة في إعداد الأسئلة في المستويات العليا: (التحليل والتركيب والتقويم) وهو ما يتوافق مع دراسة محمد التي أظهرت تركيز المعلمين على الأسئلة المقالية والتحصيلية في الجانب المعرفي.

إجابة السؤال الذي ينص على الآتي:

هل يوجد فرق دال إحصائيًا عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات يعزى لمتغيرات الدراسة (التخصص، الخبرة، الجنس) ؟
جدول رقم (7) يبين نتائج اختبار (T.TEST) لمعرفة دلالة الفرق في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية تبعًا لمتغير: التخصص (علمي، أدبي)

المحاور	متغير التخصص	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة T.test	الدلالة	ملاحظات
الأول	علمي	22	19.8636	1.78073	0.746	0.920	غير دالة
	أدبي	22	20.2727	1.85631			
الثاني	علمي	22	25.1818	3.64674	1.685	0.575	غير دالة
	أدبي	22	27.1364	4.03904			
الثالث	علمي	22	35.7727	6.03112	0.1313	0.982	غير دالة
	أدبي	22	38.0000	5.19157			
الكل	علمي	22	80.8182	8.97953	1.655	0.894	غير دالة
	أدبي	22	85.4019	9.41457			

نلاحظ من الجدول (7) أنه لا توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية ببناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات يعزى لمتغير التخصص (علمي، أدبي) بشكل عام أو في المحاور الفرعية لأداة الدراسة.

جدول رقم (8) يبين تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لمعرفة دلالة الفرق في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية تبعًا لمتغير (الخبرة)

المحاور	متغير الخبرة	مجموع المربعات	درجة الحرية	مربع المتوسط	ف	الدلالة
الأول	1-15	1.941	2	0.970	0.286	غير دالة
	16-25	138.855	41	3.387		
	26-35	140.795	43			
الثاني	1-15	21.597	2	10.798	0.0.689	غير دالة
	16-25	642.290	41	15.666		

			43	663.886	26-35	
غير دالة	1.733	53.959	2	107.919	1-15	الثالث
		31.134	41	1276.513	16-25	
			43	1384.432	26-35	
غير دالة	1.428	123.307	2	246.615	1-15	الكل
		86.337	41	3539.817	16-25	
			43	3786.432	26-35	

نلاحظ من الجدول (8) أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في

مستوى معرفة معلمو الثانوية النموذجية تبعاً لمتغير الخبرة .

جدول رقم (9) يبين نتائج اختبار (T.TEST) لمعرفة دلالة الفرق في مستوى معرفة معلمي الثانوية النموذجية تبعاً لمتغير الجنس: (ذكر وأنثى)

المحور	العدد	متغير الجنس	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة T.tese	الدلالة	ملاحظات
الأول	25	انثى	20.4400	1.78139	1.591	0.980	غير دالة
	19	ذكر	19.5789	1.77375	1.592		
الثاني	25	انثى	26.8400	4.08942	1.330	0.798	غير دالة
	19	ذكر	25.2632	3.61850	1.353		
الثالث	25	انثى	37.3200	4.89660	0.577	0.378	غير دالة
	19	ذكر	36.3158	6.65877	0.553		
الكلية	25	انثى	84.6000	9.16060	1.212	0.618	غير دالة
	19	ذكر	81.1579	9.55838	1.205		

نلاحظ من الجدول (9) أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) في

مستوى معرفة معلمو الثانوية النموذجية تبعاً لمتغير الجنس.

4-2 خلاصة النتائج : تلخص نتائج الدراسة في:

- أن مستوى معرفة معلمي ثانويات المكلا النموذجية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات (عالية) في محور تحديد الغرض من الاختبار، ومحور تحديد الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية. في حين أن مستوى المعرفة لديهم في محور تحديد الوزن النسبي كانت (متوسطة).
- يوجد لدى معلمي ثانويات المكلا النموذجية حسب وجهة نظرهم مستوى معرفة (عالية) في محور تحديد الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية، في حين يوجد لديهم مستوى معرفة (متوسطة) في مجال صياغة الأهداف في المستويات العليا: (التطبيق والتحليل، والتركيب والتقويم).

- يوجد لدى معلمي ثانويات المكلا النموذجة حسب وجهة نظرهم مستوى معرفة عالية في محور تحديد الوزن النسبي في الفقرات الآتية: (أحدد عدد الحصص لكل موضوع دراسي من موضوعات الوحدة - أحدد عدد الحصص لتدريس الوحدة - أحدد العدد الكلي لأسئلة الاختبار في ضوء الزمن المتاح)، في حين يوجد لديهم مستوى معرفة (متوسطة) في فقرات أحسب الوزن النسبي لكل موضوع حسب أهميته - أضع عدد الأسئلة في مجال التركيب - أحدد الوزن النسبي حسب عدد الصفحات).
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدى معلمي ثانوية المكلا النموذجية تعزى لمتغيرات التخصص والخبرة والجنس، مما يشير إلى وجود اتفاق عام في تقديرات ووجهات نظر مجتمع الدراسة.

4-3 التوصيات:

- الاهتمام بتقنية جدول المواصفات وحث المعلمين وتشجيعهم على تطبيقها في المدرسة عند بناء أسئلة الاختبارات التحصيلية.
- إجراء دورات تدريبية لمعلمي مدارس ثانوية المكلا النموذجية حول كيفية تحديد الوزن النسبي للموضوعات الدراسية وكيفية وتوزيعها على أسئلة الاختبارات التحصيلية.
- إجراء دورات تدريبية لمعلمي ثانوية المكلا النموذجية حول كيفية كتابة الأهداف التعليمية لموضوع المادة الدراسية في مجال المستويات المعرفية العليا: (التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم).
- تنفيذ برامج تدريبية وتوعوية لمعلمي المدارس الثانوية النموذجية عن أهمية الاختبارات التحصيلية، وتوضيح الغرض من هذه الاختبارات، وضرورة استخدام الطرق الحديثة في تقويم الطلبة لما لها من فائدة في تحسين العملية التعليمية .
- ضرورة معالجة كل المعوقات التي تعوق ممارسة المعلم لكفاياته في إعداد الاختبارات، وخاصة استخدام تقنية جدول المواصفات، وضع السبل والحلول لمعالجتها.

4-4 المقترحات:

- إجراء دراسة حول مستوى معرفة معلمي المدارس الثانوية الحكومية بمهارات بناء الاختبارات التحصيلية وفق جدول المواصفات.
- إجراء دراسة حول مدى تطبيق معلمي المدارس الحكومية ببناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير جودة الاختبار الجيد.
- إجراء دراسة حول مدى كفاءة معلمي المدارس الثانوية في إعداد الاختبارات التحصيلية في مجال مستويات بلوم للأهداف المعرفية (التذكر، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم).

المراجع

- أبو جراد، حمدي يونس. (2011). مدى التزام المعلمين بتحليل نتائج الاختبارات التحصيلية وعلاقته باتجاهاتهم نحوها [بحث منشور]، مجلة جامعة الأزهر سلسلة العلوم الانسانية. (2) 13 .
- أحمد، سميرة علي عبد الوارث. (2020). فاعلية استخدام برنامج تدريبي في اكساب أعضاء هيئة التدريس مهارات تصميم الاختبارات التحصيلية [بحث منشور] رسالة الخليج العربي 96-159، شعبة شبكة المعلومات العربية التربوية مجلة جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر. 1072 – 1055 (33) .
- بروخارت ونيتكو. (2012). التقييم التربوي للطلبة . ترجمة علي بن عبد الخالق القرني وآخرون، مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض، المملكة العربية السعودية.
- جعفور، ربيعة وعدائكة، دينا و موسى، يمينه . (2018) . الاحتياجات التدريبية لأساتذة اللغة العربية في مجال كفاية بناء الاختبارات التحصيلية الجيدة [بحث منشور] مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي 284 – 301 (28) .
- الزبون، حابس سعد . (2013) مدى كفاءة معلمي المدارس الحكومية التابعة لإدارة التربية والتعليم في بناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير الاختبار الجيد [بحث منشور .] مجلة كلية التربية جامعة بور سعيد، (14).
- شحاتة، حسن و النجار، زينب . (2003) . معجم المصطلحات التربوية والنفسية . الدار المصرية اللبنانية.
- عدائكة، دنيا وجنحرا، محمد عرفات وجعفرور، ربيعة (2018) . مستوى معرفة اساتذة الثانوي لكفايات إعداد الاختبارات التحصيلية الجيدة في ضوء ادوارهم الجديدة [بحث منشور]
- علام، صلاح الدين محمود . (2009). القياس والتقويم التربوي في العملية التدريسية. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- علي، محمد السيد .(2011). موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الفرجات، هشام عقيلة علي . (2015) . مدى كفاءة معلمي المدارس الحكومية الثانوية التابعة لمديرية التربية والتعليم بمحافظة العقبة في بناء الاختبارات التحصيلية وفق معايير الاختبار الجيد [بحث منشور] مجلة كلية التربية جامعة الأزهر .
- ع 164، الجزء الثاني، ص. 600 – 567
- قارة، مريم .(2018). بناء اختبار تشخيصي مرجعي المحك لقياس كفايات المعلمين في بناء الاختبارات التحصيلية الموضوعية (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- قنوعة، عبد اللطيف وفوحمة، خالد . (2017) . معرفة مدى استعمال اساتذة التعليم المتوسط لجدول المواصفات في بناء الاختبارات التحصيلية (دراسة ميدانية) [بحث منشور .] مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع . ع 1، ص 185 – 170 .
- مارزانو وتوث. (2014) التقويم الفعال للمعلم . ترجمة بلال الجيوسي. مكتب التربية لدول الخليج العربي، الرياض، السعودية.
- محمد، علي . (2020) . مدى استخدام أساتذة التعليم الثانوي للمعايير العلمية في بناء الاختبارات التحصيلية مرجعية المحك [بحث منشور] مجلة ميلان للبحوث والدراسات 174-193 (2) 6 .
- مخائيل، امطانيوس نايف . (2016). بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية وتقنياتها، الاعصار للنشر والتوزيع.
- مراد، صلاح أحمد وسليمان، أمين علي . (2002) . الاختبارات والمقاييس في العلوم النفسية والتربوية خطوات إعدادها وخصائصها . دار الكتاب الحديث.
- ملحم، سامي محمد .(2002). القياس والتقويم في القياس والتربية وعلم النفس. ط، 2 دار المسيرة للنشر والتوزيع.

Abu Foudeh , Basel Khamis Salem .(2020) . A Training Program Based on The Quality Standards of Achievement Tests to Improve the Competence of Teaching Staff in Constructing Tests at Middle East University in Jordan , 8 (4),1212-1217.

**The level of Secondary School Teachers' Knowledge of the Skills of Constructing Achievement Tests According to the Specification Table
(An Exploratory Study at Mukalla Model High Schools
in Hadhramout Governorate /Coast)**

Dr Salim Ahmad Bawadi, Lina Jafar Bonamy, Nawal Mahfood Bani

Abstract:

The study aimed to identify the level of knowledge of model secondary school teachers in the skills of constructing achievement tests according to a specification table ، and to identify the differences in the level of knowledge between the axes of the study according to the variable (specialization، experience، gender) in Hadhramout Governorate- coast. The descriptive method was used to achieve the objectives of the study، a questionnaire was used after verifying its validity and reliability، consisting of (35) items distributed on the three axes (the purpose of the test، the educational objectives، the relative weight). The study population was (48) male and female teachers of the model secondary school in Hadhramout Governorate (Coast). The study reached the following results: The level of knowledge of model secondary school teachers in the skills of building achievement tests according to the specification table is high in all three axes of the study tool، (determining the relative weight، determining the educational objectives of the subject of the study، determining the purpose of the test) respectively. There were no statistically significant differences due to the study variables: (specialization، experience، gender).

Keywords: building achievement tests، specification table، model secondary school

استقصاء الأخطاء الشائعة في النطق المتعلقة بالأصوات الساكنة لدى الطلبة اليمنيين في المرحلة الأولى الجامعية

عبدالرحمن سعيد جعول
ماجستير في اللغويات التطبيقية
كلية التربية عتق، جامعة شبوة

محمد حسن عبدالصمد
ماجستير في اللغويات التطبيقية
كلية التربية عتق، جامعة شبوة

محمد سالم مسرور
أستاذ اللغويات المشارك
كلية التربية عتق، جامعة شبوة

الملخص:

استقصت الدراسة الحالية الأخطاء الشائعة في النطق، المتعلقة بالأصوات الساكنة عند ثلاثة وثلاثين من طلبة السنة الأولى ، في قسم اللغة الإنجليزية، بكلية التربية - شبوة ، في جامعة عدن. وقد تبنت الدراسة نظرية كوردر، إطاراً عاماً لتفسير مشكلات النطق في اللغة الإنجليزية عند الطلاب اليمنيين الذين شملتهم الدراسة، إذ تم تجميع البيانات عن طريق مقابلة مسجلة لمهنتين من نموذج لابوف وهما قائمة من الكلمات وقطعة للقراءة. إضافة إلى ذلك كانت هناك بيانات داعمة وتكميلية تم الحصول عليها من معلمي اللغة الإنجليزية في الكلية نفسها، وذلك عبر استبيان قام به الباحثون. وقد أظهرت هذه الدراسة أن المشاركين واجهوا الكثير من الصعوبات في نطق الأصوات الساكنة الإنجليزية الأربعة والعشرين، ولا سيما الأصوات التي لا وجود لها في لغتهم الأم (العربية) مثل /p/ ، /ʒ/ ، /dʒ/ و /v/. كما تم تصنيف الأخطاء التي خلصت إليها الدراسة على ستة عشر نوعاً، هي: استبدال صوت بآخر، نطق الأصوات الصامتة، الاستبدال الناتج عنه كلمة مختلفة شكلاً ومعنى، إضافة صوت في وسط الكلمة، استبدال /l/ المفخمة بـ /l/ المرفقة ، والعكس ، إدراج صوت علة بين ساكنين، استبدال الصوت الصائت بغير الصائت، والعكس ، استبدال صوت انفجاري بآخر احتكاكي ، نطق /r/ بوضوح حال الوقف ، إضافة صوت في بداية الكلمة ، حذف الأصوات ، استبدال /t/ بـ /d/ ، مبادلة موقع صوت بموقع صوت آخر في الكلمة نفسها ، إضافة صوت إلى آخر الكلمة.

الكلمات المفتاحية: النطق ، الأصوات الساكنة ، تعلم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية.

Labov, W. (1968). *A study of the nonstandard English of Negro and Puerto Rican speakers in New York City: Phonological and grammatical analysis*. Volume I NY: USA Columbia University Press.

Laver, J. (1994). *Principles of phonetics*. Cambridge: CUP.

Lin, C. L. (2014). Understanding pronunciation variations facing ESL students. *International Journal of Humanities and Social Science*, 4 (5), 16-20.

Morley, J. (1991). The pronunciation component in teaching English to speakers of other languages. *TESOL Quarterly*, 25(3), 481-520.

Nunan, D. (2003). *Practical English language teaching*. US. NY McGraw-Hill.

Richards, J. & Schmidt, R.(2002). *Longman dictionary of language teaching and applied linguistics* (3rd ed.). Pearson Education Limited: Longman.

Saville, M. R. & Troike, R. C. (1971). *A handbook of bilingual education. Teachers of English to speakers of other languages*, Washington, D.C.

Seidlhofer, B. (2001). Pronunciation. In Carter, R. & Nunan, D. (Eds.), *The Cambridge guide to teaching English to speakers of other languages*. (pp. 56-65). Cambridge, United Kingdom: Cambridge University Press.

Trask, R.L. (1996) *A dictionary of phonetics and phonology*. Routledge London.

References:

- Abdulsamad, M. H. (2020) *Investigating the common errors in pronunciation pertaining to consonants among the first year undergraduates, at the department of English, faculty of education - Shabwah, university of Aden*. (Unpublished Master's thesis). University of Aden. Yemen
- Adult Migrant English Program Research Centre. (2002). *What is pronunciation?*. AMEP Research Center.
- Al-Saidat E. M. (2010). Phonological analysis of English phonotactics: A case study of Arab learners of English. *The Buckingham Journal of Language and Linguistics*, 3, 121-134
- Al-Shuaibi, A. (2009). *Phonological analysis of English phonotactics of syllable initial and final consonant clusters by Yemeni speakers of English* (Master's thesis). University Science Malaysia (USM), Penang State, Malaysia.
- Charity, H. & Mallinson, C. (2011). *Understanding English language variation in U.S. schools*. New York, NY: Teachers College Press.
- Corder, S. P. (1981). *Error analysis and interlanguage*. Oxford: Oxford University Press.
- Creswell, J. (2012) *Educational research: Planning, conducting, and evaluating quantitative and qualitative research* (4th ed). Upper Saddle River, NJ: Merrill/Prentice Hall.
- Crystal, D. 2008. *A dictionary of linguistics and phonetics* (6th ed). Oxford, UK: Blackwell Publishers.
- Derwing, T. M. (2003). What do ESL students say about their accents? *Canadian Modern Language Review*, 59(4), 547–566.
- Derwing, T.M. (2008). Curriculum issues in teaching pronunciation to second language learners. In J.G. Hansen Edwards & M. L. Zampini (eds.), *Phonology and second language acquisition*. Studies in Bilingualism. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 347-369.
- Ellis, R. (1994). *The study of second language acquisition*. Oxford: Oxford University Press.
- Gilakjani, A. P. & Ahmadi, M. R. (2011). Why is pronunciation so difficult to learn? *English Language Teaching*, 4(3), 74-83.
- Gilakjani, A. P. (2011). A study on the situation of pronunciation instruction in ESL/EFL classrooms, *Journal of Studies in Education*, 1(1), 15.
- Harmer, J. (2005). *The Practice of English language teaching* (3rd ed). Harlow: Longman.
- Hjølsum, Elsa í (2011), *Faroese-accented English: A Study on the production of consonants* (Master's thesis). Copenhagen Business School, Copenhagen, Denmark.
- Isaacs, T. (2008). Towards defining a valid assessment criterion of pronunciation proficiency in non-native English-speaking graduate students. *Canadian Modern Language Review*, 64 (4), 555-580.
- Johansson, S. (1978). Studies of error gravity: Native reactions to errors produced by Swedish learners of English. *Linguistic Society of America*, 59(4), 940-941.

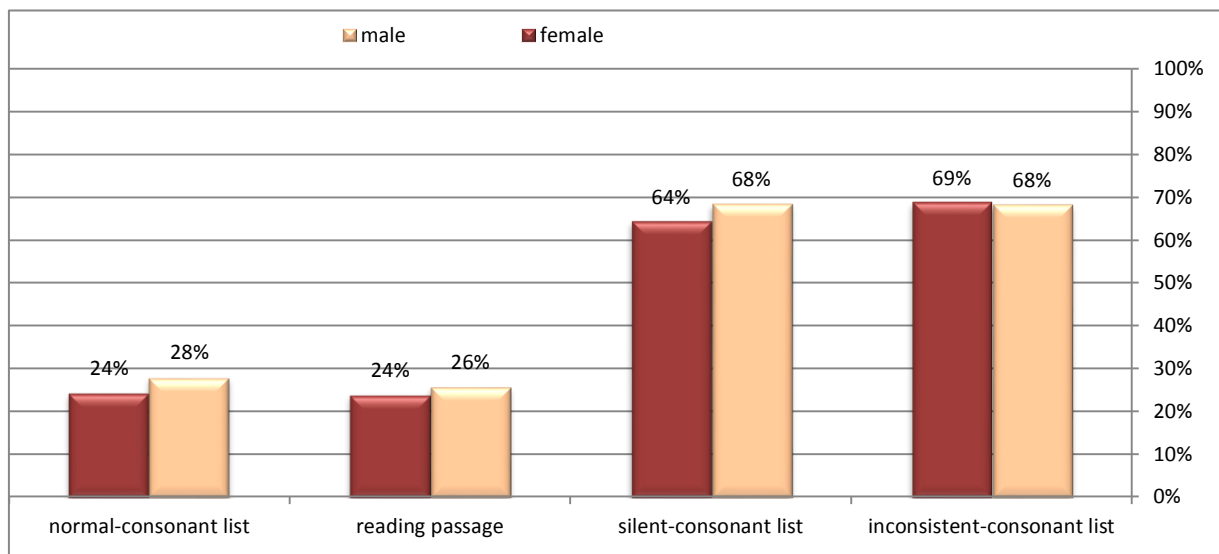


Figure 1: Percentage of errors according to tasks and participants' gender

This study also investigated teachers' perspectives on students' pronunciation errors. Twenty teachers from the college under investigation were asked to fill in a semi-structured questionnaire. Among the reasons they think stand behind students' errors in pronunciation were: inconsistency of sounds between English and Arabic, students' insufficient knowledge of sounds' symbols of English, and short time allotted to teach pronunciation. For proper remedies, they listed many solutions like: listening to native speakers through different channels of learning like radio, TV, YouTube, etc.; practicing language in campus; increasing the time allocated to teach pronunciation; and establishing audio laboratories.

Conclusion

This study aimed at investigating the common pronunciation errors made by Yemeni EFL learners. It revealed that learners tend to make pronunciation errors in sounds that are not found in their MT more than they do in sounds similar in both their MT and the TL. Those errors were of different types like: substitution, commutation and metathesis. The study showed also that there is no significant difference between male students and female students with regard to pronunciation errors. In addition, teachers stated their opinions, in addition to their suggestions for the solutions, on the causes of these students' erroneous pronunciation.

As long as this study was conducted to investigate the common errors in pronunciation pertaining to consonants among the first year undergraduates, at the Department of English, Faculty of Education - Shabwah, University of Aden, and has found that there are numerous errors that reach 93% in pronouncing some English consonant sounds, there is an exigency for a similar study pertaining to common errors in vowels even in the same context.

This study stood on the threshold of fossilization. Therefore, there must be a similar study to be implemented in the same context to find out which of these errors will persist and which of them will melt away after learners' sufficient exposure to the correct pronunciation.

Table 2
Distribution of errors according to their type

Type of error	No. Of errors	Overall percent age	Examples		
			Sound	Correct pronunciation	Erroneous pronunciation
Substitution	958	55.22%	/p/ for /b/	pen /pen/	/ben/
Pronouncing a silent	223	12.85%	/k/	knee /ni:/	/kni:/
Commutation	184	10.61%	/f/ for /v/	van /væn/	/fæn/
Epenthesis	62	3.57%	adding /de/	grudges /grʌdʒɪs/	/grʌdedʒɪs/
Develarization	61	3.52%	/ɹ/ for /r/	newhill /nju:ɦɪl/	/nju:ɦɪl/
Anaptyxis	39	2.25%	inserting /i/	soldier /səʊldʒə/	/səʊlidər/
Devoicing	39	2.25%	/z/ as /s/	muisik /'mju:zɪk/	/'mju:sɪk/
Spirantization	37	2.13%	/k/ into /ʃ/	archive /'ɑ:kɑrv/	/ɑ:ʃɪf/
Velarization	33	1.90%	/ɹ/ for /r/	light /laɪt/	/laɪt/
Trilling	33	1.90%	displaying /r/	care /keə/	/keər/
Prothesis	31	1.79%	adding /iks/	xerox /zɪərɒks/	/ɪksɪərɒks/
Voicing	28	1.61%	/s/ as /z/	use(n) /ju:s/	/ju:z/
Elision	3	0.17%	leaving out /h/	behind /br'haɪnd/	/br'aɪnd/
Flapping	2	0.12%	/t/ by /d/	button /'bʌtn/	/'bʌdn/
Metathesis	1	0.06%	/ʃ/ for /t/	Hatchman /'hætʃmæn/	/'hæʃtmæn/
Paragoge	1	0.06%	adding /r/	chocolate /'tʃɒklət/	/'tʃɒklətr/
Total	1735	100%			

As for the second research question, table 3 shows the analysis of the final results using the SPSS particularly the t-test for equality of means shows that the two tailed significant values for both the male students and female students are well above the prescribed significant number (0.05). Therefore, research question two can be answered by stating that there is no statistically significant difference between male and female students with respect to errors in pronunciation of English consonant sounds. See histogram 1, for the percentage of pronunciation errors of male and female students.

Table 3
The differences of errors frequencies between male and female students

	Levene's Test for Equality of Variances		t-test for Equality of Means						
	F	Sig.	t	Df	Sig. (2-tailed)	MD	SE D	95% CI	
								LL	UL
Equal variances assumed	2.789	0.105	0.784	31	0.44	0.027	0.03	-0.04	0.10
Equal variances not assumed			1.141	20.66	0.27	0.027	0.02	-0.02	0.08

Figure 1 also shows the percentage of errors made by male students and female students. It pictures the difference between them in the four different tasks that they were asked to do during the study. These tasks are: normal-consonant list, reading passage, silent-consonant list, and inconsistent-consonant list.

After detailed analysis, the errors made by the participants were classified into different types. Substitution was the type with the highest number of errors; 958 error with a percentage of more than 55% from the total number of errors. The participants made this type of error in many sounds like: /p, ʒ, v, and ð/. The second most common type was the pronunciation of silent sounds like: /p, k, w, and m/. In a total of 223 utterances (12.85%), the participants pronounced a sound which is always silent in correct pronunciation. Commutation was third in the list with a total number of 184 errors (10.61%) which were found in sounds like: /b, f, t, and ʃ/. (See table 2).

If we look at the bottom of this table, we will find the metathesis and paragoge are the least common types of errors made by the participants, only one error (0.06%) was reported for each one of these two types. Flapping and elision were next with only two errors (0.12%) and three errors (0.17%) respectively. Table 2 summarizes the distribution of all reported errors according to their types. It is worth noting here that this table shows only sample examples for all of these types. (For a more detailed account see Abdulsamad, 2020). Here are brief definitions of the categories of these errors:

Substitution: "A term used in linguistics to refer to the process or result of replacing one item by another at a particular place in a structure" (Crystal, 2008, p.463).

Anaptyxis: inserting a vowel between two sounds (Trask, 1996, p. 24).

Commutation: replacing a sound by another sound that yields another word or morpheme (Trask, 1996, p.80).

Devoicing: "any phonological process in which a segment which is historically or underlyingly voiced loses its voicing" (Trask, 1996, p.110)

Voicing: "any phonological process in which a formerly or underlyingly segment becomes voiced" (Trask, 1996, p.110)

Elision: leaving out of sound(s) during speech. For example, in rapid speech in English, the word *suppose* is often pronounced as /spəʊz/ (Richards & Schmidt, 2002, p.176).

Flapping: replacing /t/ by /d/. It occurs in many varieties of English and American pronunciation, but the use of 'flapping' in this sense is inaccurate and should be avoided (Trask, 1996, p.351)

Intrusion: adding a segment into a word without etymological justification. It is divided into three kinds; **Prothesis:** adding a segment to the beginning of a word,

Epenthesis: adding a segment to the middle of a word, and **Paragoge:** adding a segment to the end of a word. (Trask, 1996, p.256)

Metathesis: swabbing the positions between two sounds in the word, e.g. /flim/ for /film/ *film*. It sometimes occurs in the speech of language learners, but it may also occur with native speakers. When a metathesized form becomes commonly and regularly used by most native speakers of a language, it may lead to a change in the word. For example, Modern English *bird* developed by metathesis from Old English *brid* "young bird" (Richard & Schmidt, 2002, pp.329-330).

Spirantization: converting a plosive into a fricative (Trask, 1996, p.332).

Trilling: pronouncing /r/ clearly in case of pausing. It happens when the active articulator (the blade or the tip of the tongue) vibrates against the alveolar ridge (Laver, 1994, p.219).

Velarization: distorting clear /l/ by dark /ɫ/, **Develarization:** distorting dark /ɫ/ by clear /l/ (Laver, 1994, p.325).

Pronunciation of the silent sounds: uttering the sound despite of its silence.

collection of samples of learner's language, b) identification of the errors, c) description of the errors, d) explanation of the errors, and e) evaluation of the errors.

The study followed the practice of many researchers who excluded the fifth step because it constitutes a separate issue (Ellis, 1994, p. 48), selecting only the first four steps of this theory to deal with the students' pronunciation errors with no need for evaluating them. A systematic method was used to go through these steps and clarify how they were applied in relation to the purpose of this study. This method is basically based on the sociolinguistic model, developed by William Labov (1968), which employed four different tasks that the participant has to go through completely or partly. These tasks are:

1. Word list reading
2. Passage reading
3. Spontaneous speech
4. Minimal pairs reading

The current study used only the first two steps of the Labovian model for the purpose of collecting data of the study.

Data Collection Instruments

The most two instruments typically used by researchers are the interview and the questionnaire (Creswell, 2012, p. 382). Therefore, the researcher has selected these two data collection instruments for the current study.

Results and discussion

Analysis process has shown that the total number of words uttered by the participants while doing the required tasks is 5247 among which there are 1735 erroneous utterances. As can be seen in table 1, the most erroneous utterances are linked to English sounds that have no exact equivalents in Arabic; namely: /p/, /ʒ/, /dʒ/, and /v/. Conversely, sounds that are similar in both languages, like: /m/, /t/, /d/, and /w/, are likely to be much less problematic. This is attributed to the familiarity factor. In other words, when learners are familiar with a particular sound in their MT, they find it easy to pronounce a similar sound in the TL. And the rarer the sound is in the MT, the more problematic it is when learners encounter it in other languages.

Table 1

The number of errors with percentage in the four tasks for all consonant sounds.

No	Sound	No. of errors	No. of uttered words	%	No	Sound	No. of errors	No. of uttered words	%
1	/p/	214	231	93%	13	/ʃ/	73	264	28%
2	/ʒ/	112	132	85%	14	/s/	80	297	27%
3	/dʒ/	149	198	75%	15	/z/	67	264	25%
4	/v/	148	198	75%	16	/tʃ/	60	264	23%
5	/l/	114	231	49%	17	/f/	59	297	20%
6	/g/	86	198	43%	18	/r/	33	198	17%
7	/ŋ/	55	132	42%	19	/b/	34	231	15%
8	/θ/	78	198	39%	20	/n/	31	231	13%
9	/j/	50	132	38%	21	/m/	29	231	13%
10	/k/	111	330	34%	22	/t/	14	231	6%
11	/ð/	67	198	34%	23	/d/	9	198	5%
12	/h/	59	198	30%	24	/w/	3	165	2%
Total no. of uttered words					Total no. of errors				
5247					1735				

Nunan (2003) also described pronunciation as more than mere enunciation of individual consonants and vowels but includes widespread proportions of spoken language, such as speed of speech, pausing patterns, intonation, and even the use of body expressions as a complementary tool for illustrating the message, (p. 126).

Although the majority of EFL learners seek to speak native-like English (Derwing, 2003, p. 551; Gilakjani & Ahmadi, 2011, p.76), many of English language learners (ELLs) encounter acute difficulties in learning and performing English pronunciation as it is (Gilakjani, 2011, p.2). In order to accomplish successful communication with native speakers, it is necessary to master intelligible pronunciation (Morley, 1991, p. 488). Intelligibility assists EFL students to reach the required success. On the contrary, poor proficiency of English pronunciation influences the communicative competence development which is recommended for establishing the communicative channel between speakers and listeners. It is more grievous that many L2 learners still display insufficient proficiency in pronunciation even if they have learned English courses, or even they may resort to imitating native speakers (Lin, 2014, p.16). In fact, it is understandable that EFL students utilize a nonstandard variety of English that might negatively affect their acquisition because they are not familiar with standardized English (Charity & Mallinson, 2011, p.1). Consequently, helping EFL students to acquire standardized English must begin with understanding pronunciation variations that EFL students obtain while acquiring English (Lin, 2014, p. 16).

The importance of pronunciation

One of the most important factors to ensure effective communication is a good pronunciation, without which communication is hard or even impossible. Having good knowledge of grammar and lexis is important, but a good pronunciation is essential and can even cover gaps in other aspects of language such as grammar (Harmer, 2005, p.183). Seidlhofer (2001) confirmed the importance of having good and clear pronunciation in that it plays a significant role in our personal and social lives; the way we speak reflects our identities, and indicates our association with particular community, (p.56). In addition, it is obvious that pronunciation which does not disturb the listeners' ears and yet can be understood easily by any ordinary person is called *intelligible pronunciation* (Isaac, 2008, p. 557).

Methodology

Participants

Two different groups of participants took part in this study. The first group consisted of thirty-three students who had been conveniently selected to participate in this study; twenty-six of them were male students and only seven were female students. The second group of participants consisted of twenty teachers from the college of Education - Shabwah, University of Aden. Nineteen of them were male teachers and only one participant was a female teacher.

Research Design

This study is designed by the use of a mixed methods approach that combines both qualitative and quantitative data to investigate the common pronunciation errors pertaining to consonants made by Yemini EFL undergraduates in the first level, Department of English, Faculty of Education - Shabwah, University of Aden during the first semester of the Academic Year 2018/2019. It adopted and adapted the Corder's (1981) theory that has recently been expanded and explained by Ellis (1994) as a framework. The first four steps of this theory were adopted for the study since they present persuasive interpretation for the learners' language and provide methodology to investigate their errors (Ellis, 1994, p. 48). Pit Corder suggested the following five steps to deal with learners' language: a)

Unfortunately, Yemeni EFL learners find a lot of challenges and difficulties to pronounce some English words correctly. Since the researchers have been teachers at the Department of English, Faculty of Education - Shabwah, University of Aden, they have encountered a lot of students who have many errors in pronunciation especially in consonants, some of which persist for the whole bachelor stage in spite of endeavours for correction. Therefore, the researchers believe that these pronunciation errors pose a problem that is worth investigation.

Errors in consonants have been the focus of many works in the literature. For example, Al-Saidat (2010) investigated errors in cluster consonants made by Jordanian university students. He defined, analysed, and attributed these errors to different factors, such as the influence of the MT on the process of declusterization. Similarly, Hjøllum (2011) studied the phonological problems of consonants made by Faroe Islands inhabitants; he summed up three areas of errors which are (phonemic, allophonic, and distributional errors). Moreover, Al-Shuaibi (2009) pointed out some processes involved in the pronunciation of initial clusters, namely, reduction, substitution and deletion. However, the literature lacks the studies that investigate these problems in depth in Yemeni context in general and at the Faculty of Education - Shabwah, University of Aden in particular. This lack makes it difficult for both Yemeni learners and teachers in the intended college to deal with these errors and eradicate them. Therefore, the researchers strongly believe that investigating this problem in Yemeni EFL context is one of the urgent exigencies. To this end, the study aims at answering the following questions: a) What are the common pronunciation errors pertaining to consonants made by Yemeni EFL first level undergraduates? b) To what extent there is a difference between consonant pronunciation errors made by male students and female students? and c) What are the perspectives of the instructors of English at the Department of English, Faculty of Education – Shabwah, on their learners' errors in the pronunciation of consonants?

Literature review

Learners are liable to make errors during their learning marathon. They are part of their learning process, therefore the researchers and linguists should respect them because they are not something to be escaped from, but they are inevitable features of learning process for every L2 learner during the IL stage (Ellis, 1994, p.70). In relation to phonological errors, Johansson (1978) found that the errors pertaining to mispronouncing consonants in isolated words registered higher rate than the mingled words in texts and connected speech. Mispronunciation of consonant was also judged more seriously by natives than vowel errors, (p.940). On the other hand, Johansson (1978) confirmed that the non-segmental errors (prosody) should be taken into account more than segmental. He also assured that foreign-accented speech is more sensitive to be distorted. Moreover foreigners can understand foreigners' speech better than native speech, possibly because it seems dilatory, (p.940).

Definition of pronunciation

According to Adult Migrant English Program Research Centre [AMEP] (2002), pronunciation is the production of sounds that the speaker uses to transmit and convey the meaning. It includes segmental and supra-segmental aspects of a language. Segmental features are speech sounds of a particular language and it is important for learners to know accurately how those sounds are uttered. They also have to know the supra-segmental features of the language, such as stress, intonation, and voice quality. These features are distinctive. Therefore they can change the meaning. Consequently, when they are not well mastered, they lead to mispronunciation and subsequently misunderstanding which in turn lead to misinterpretation, (p.1)

Investigating the Common Errors in Pronunciation Pertaining to Consonants among Yemeni EFL Undergraduates

Dr. Mohammed S. Masroor
Assoc. Prof., of linguistics
Ataq Faculty of Education
University of Shabwa, Yemen

Mohammed H. Abdulsamad
MA in applied linguistics
Ataq Faculty of Education
University of Shabwa, Yemen

Abdulrahman S. Ja'wal
MA in applied linguistics
Ataq Faculty of Education
University of Shabwa, Yemen

Abstract

The current study investigated the common errors in pronunciation pertaining to consonants among thirty-three first year undergraduates, at the Department of English, Faculty of Education - Shabwah, University of Aden. It adopted Corder's theory as a frame work to account for the pronunciation problems of Yemeni EFL learners under investigation. The data were collected using the two tasks of Labovian model (word list task and passage reading task) by means of recorded sessions. There are also supportive and complementary data which have been obtained from the teachers through a semi-structured questionnaire. This study manifested that the participants encountered huge difficulties in pronouncing the twenty-four English consonants particularly the sounds that do not exist in their mother tongue such as /p/, /z/, /dʒ/, and /v/. The phonological errors revealed by the study have been classified into sixteen types: substitution, pronunciation of silent sounds, commutation, epenthesis, velarization and de velarization, anaptyxis, voicing and devoicing, spirantization, trilling, prosthesis, elision, flapping, metathesis, and paragoge.

Keywords: pronunciation, consonants, EFL

Introduction:

Many second / foreign language learners encounter challenges and difficulties in significant language branches including pronunciation intelligibility problems that need special instructional attention (Morley, 1991, p. 492). Yemeni EFL learners do not represent an exception; they face many problems in their pronunciation performance, which can be attributed to their mother tongue (MT) intervention, on the one hand, and English phonological Phonotactics, on the other hand (Al-Shuaibi, 2009, p. 227).

Common pronunciation errors especially those pertaining to consonants made by Arab students learning English are inescapable due to discrepancy in the phonemic systems of the two languages. According to Saville and Troike (1971), the phonemic system of a language acts as a kind of filter through which the native speaker hears the sounds of another language, assigns it to the nearest equivalent phoneme in the MT, (p. 34). Problems of pronunciation can be attributed to different factors such as the nationality of the instructors, lack of real use of the language, lack of materials and equipments, lack of corrective feedback, lack of effective correctness, inconsistency between L1 and L2 rules, and the number of sounds in each language. In addition, students learn English only through formal instructions, and they do not use English outside the classroom. Moreover, we should not forget the age factor which plays a significant role in pronunciation problems, where they officially start learning English as L2 in the basic schools in the age of fourteen. In addition, the level of absenteeism in oral language classes is also very high, and the lack of practice in spoken English may well lead them to fall in errors, nevertheless, teachers and learners have to cope with such problems and do their best to achieve their objectives (Derwing, 2008, p.349-351).

مراجعة تأثيرات ظروف بئر النفط في حسابات فارق الضغط لسائل الحفر

د. سالم عبيد باعارمة

د. عامر بدر بن مرضاح

د. مازن أحمد مهيري

قسم الهندسة البترولية، كلية الهندسة و البترول، جامعة حضرموت

الملخص:

تؤدي هيدروليكا البئر المصممة بشكل جيد دورًا حيويًا ومهمًا في عملية حفر آبار النفط، وأهم مكونات هيدروليكا البئر تشمل التنبؤ بضغط تدوير سائل الحفر، وكثافة سائل الحفر المكافئة في أثناء التدوير. هذه التنبؤات تصبح ملحة وأكثر أهمية في عمليات الحفر المعقدة التي تشمل الحفر الأفقي، والحفر الممتد لمسافات طويلة، والحفر في أعالي البحار، وحفر الآبار التي تتسم بأقطار صغيرة، إذ يصاحب هذه العمليات الكثير من الصعوبات في الغالب بسبب الفارق الكبير بين ضغط سائل الطبقة وضغط كسرها وصعوبة المحافظة على ضغط سائل الحفر بين هذين الضغطين. لذلك تبدو الحاجة هنا ملحة جدًا لأن تكون التنبؤات لضغط تدوير سائل الحفر دقيقة جدًا لتجنب مشاكل الحفر المصاحبة. إن طرق التنبؤ الحالية غير دقيقة وتفتقر للمصداقية إذ إن كثيرًا من ظروف البئر يتم إهمالها بغرض التيسير، مما يعوق الحصول على تنبؤات دقيقة. إن الهدف الرئيس لهذه الورقة هو تسليط الضوء على تأثيرات هذه الظروف، التي عادة ما تهمل في أثناء إجراء حسابات التنبؤ بضغط تدوير سائل الحفر وبخاصة في حالة سائل الحفر غير الانضغاطية.

الكلمات المفتاحية: سائل الحفر، فقدان الضغط في الفراغ الحلقي، أداة ربط أنابيب الحفر، حيود أنابيب الحفر، دوران أنابيب الحفر، تجمعات نواتج الحفر.

61. Metzner, A.B. and Reed, J.C., 1955. Flow of non-Newtonian Fluids-Correlation of the Laminar, Transition and Turbulent Flow Regions. *AIChE J.* (1955) 1, No. 4, pp. 434-40.
62. Gatlin, C., 1960. Petroleum Engineering – Drilling and Completion. Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, N.J., chapter 7, pp. 94 – 107.
63. Lamb, H., 1945. Hydrodynamics. 6th Edition, Dover Publications, New York City.
64. Crittendon, B.C., 1959. The Mechanics of Design and Interpretation of Hydraulic Fracture Treatments. Paper SPE 1106-G presented at the 33rd Annual Fall Meeting of the Society of Petroleum Engineers at Houston, Texas, October 5-8, 1958. Also in *J. of Petroleum Technology*, pp. 21-29, October, 1959. DOI: 10.2118/1106-G.
65. Langlinais, J.P., Bourgoyne, A.T., and Holden, W.R., 1985. Frictional Pressure Losses for Annular Flow of Drilling Mud and Mud-Gas Mixtures. *Trans. AIME*, 107,142–151.
66. Jensen, T.B., and Sharma, M.P., 1987. Study of Friction Factor and Equivalent Diameter Correlations for Annular Flow of Non-Newtonian Drilling Fluids. *Trans.AIME*, 109, 200–205.
67. Demirdal, B. and Cunha, J.C., 2007. Investigation of Effect of Equivalent Diameter Definitions on Determination of Pressure Losses of Non-Newtonian Fluids in Annuli. Paper presented at the Petroleum Society's 8th Canadian International Petroleum Conference (58th Annual Technical Meeting), Calgary, Alberta, Canada, June 12-14.
68. Anifowoshe, O. and Osisanya, S.O., 2012. The Effect of Equivalent Diameter Definitions on Frictional Pressure Loss Estimation in an Annulus with Pipe Rotation. Paper SPE 151176 presented at the SPE Deepwater and Completions Conference and Exhibition held in Galveston, Texas, 20-21 June. DOI: 10.2118/151176-MS.
69. Xiang, Y. and Liu, G., 2012. Impact of Cuttings Concentration on ECD during Drilling. Paper presented at the 2012 AADE Fluids Technical Conference and Exhibition held at the Hilton Houston North Hotel, Houston, Texas, April 10-11, 2012.
70. Harris, O.O. and Osisanya, S.O., 2005. Evaluation of Equivalent Circulation Density of Drilling Fluids Under High-Pressure/High-Temperature Conditions. SPE 97018 paper presented at the 2005 Annual Technical Conference and Exhibition held in Dallas, Texas, 9-12 October 2005. DOI: 10.2118/97018-MS.
71. Rommetveit, R. and Bjorkevoll, K.S., 1997. Temperature and Pressure Effects on Drilling Fluid Rheology and ECD in Very Deep Well. Paper SPE/IADC 39282 presented at the 1997 SPE/IADC Middle East Drilling Technology Conference held in Bahrain, 23-25 November 1997. DOI: 10.2118/39282-MS.
72. Guracy, K.O., Akin, S. and Gucuyener, I.H., 2019. Experimental Investigation of the Effect of Temperature on Friction Pressure Loss of Polymeric Drilling Fluid through Vertical Concentric Annulus. Proceedings of the 44th Workshop on Geothermal Reservoir Engineering, Stanford University, Stanford, California, February 11-13, 2019.
73. Patel, A. and Chaudhari, R., 2014. Optimization of Well Hydraulics for Riserless Deepwater Drilling Operations under High Temperature and High Pressure Environment. Paper SPE 172304-MS, presented at SPE annual Caspian technical conference and exhibition, 12–14 November, Astana, Kazakhstan. DOI:10.2118/172304- MS.

41. Adams, N.J., 1985. Drilling Engineering – A Complete Well Planning Approach. PennWell Publishing Company. p. 678 -700.
42. Bourgoyne, Jr A.T., Millheim, K.K., Chenevert, M.E., Young, Jr F.S., 1986. Applied drilling engineering, SPE Textbook Series Vol. 1, ISBN: 978-1-55563-001-0, chapter 4.
43. Moore P.L. (1986). "Drilling Practices Manual." 2nd Edition, PennWell Publishing Company, chapter 7, pp.247 - 267.
44. Bourgoyne, Jr A.T., Millheim, K.K. Chenevert, M.E., Young, Jr F.S., 1991. Applied drilling engineering, SPE Textbook Series Vol. 2, ISBN: 978-1-55563-001-0.
45. Carden, R.S., Grace, R.D., and Shursen, J.L., 2004. Drilling Practice. Chapter 6, Petroskills, LLC, an OGC Company, Tulsa, Oklahoma.
46. Guo, B. and Li, G., 2011. Applied Drilling Circulation Systems – Hydraulics, Calculations and Methods. Gulf Professional Publishing – an imprint of Elsevier.
47. Hossain, M.E. and Al-Mejed, A.A., 2015. Fundamentals of Sustainable Drilling Engineering. Scrivener Publishing LLC, 100 Cummings Center, Suite 541J, Beverly, MA 01915-6106. ISBN 978-0-470-87817-0.
48. Colebrook, C.F., 1938. Turbulent Flow in Pipes, with Particular Reference to the Transition Region between the Smooth and Rough Pipe Laws. *J.Inst. Civil Engs.*, London., *JICE* 11:133-139.
49. Offor, U.H. and Alabi, S.B., 2016. Artificial Neural Network Model for Friction Factor Prediction. *Journal of Materials Science and Chemical Engineering*, 4, 77-83. DOI: 10.4236/msce.2016.47011.
50. Haaland, S.E. 1983. Simple explicit equation for friction factor. *J Hydraul Div Am Soc Civ Eng.* 102, 674-677.
51. Moody, L.F., 1947. An Approximate Formula for Pipe Friction Factors. *Trans ASME* 69, 1005-1006.
52. Zamora, M., Roy, S., and Slater, K., 2005. Comparing a basic set of drilling fluid pressure loss relationships to flow-loop and field data. AADE National Technical Conference and Exhibition.
53. Churchill, S.W., 1973. Empirical Expressions for the Shear Stress in Turbulent Flow in Commercial Pipe. *AIChE J*, 19, 375-376.
54. Asker, M., Turgut, O.E., and Coban, M.T., 2014. A Review of Non Iterative Friction Factor Correlations for the Calculation of Pressure Drop in Pipes. *Bitlis Eren Univ Journal of Science and Technology*, 4(1), 1-8, June 2014.
55. Chen, N.H., 1979. An Explicit Equation for Friction Factor in Pipe. *Ind. Eng. Chem Fund*, 18, 96-297.
56. Muzzo, L.E., Matoba, G.K. and Ribeiro, L.F., 2021. Uncertainty of Pipe Flow Friction Factor Equations. *Mecaics Research Communication*, 116, 103764. DOI: 10.1016/j.mechrescom.2021.103764.
57. Dodge, D.G. and Metzner, A.B., 1959. Turbulent Flow of Non-Newtonian Systems." *AIChE J*, 5 No2, 189 – 204. DOI: 10.1002/aic.690050214.
58. Dosunmu, I.D. and Shah, S.N., 2013. Evaluation of Friction Factor Correlations and Equivalent Diameter Definitions for Pipe and Annular Flow of Non-Newtonian Fluids. *Journal of Petroleum Science and Engineering*, 109, 80-86. DOI: 10.1016/j.petrol.2013.02.007.
59. Schuh, F.J. 1964. Computer Makes Surge-Pressure Calculations Useful. *Oil and Gas J* (3 Aug 1964) 96-104.
60. API, American Petroleum Institute (1995). "Recommended Practice on the Rheology and Hydraulics of Oil-Well Drilling Fluids." 4th edition, (June 1995).

27. Ward, C. and Andreassen, E., 1998. Pressure-While-Drilling Data Improve Reservoir Drilling Performance. *J. SPE Drill and Completion* **13** (1): 19-24. SPE-37588-PA. DOI: 10.2118/37588-PA.
28. Green, M.D., Thomesen, C.R., Wolfson, L., and Bern, P.A., 1999. An Integrated Solution of Extended Drilling Problems in the Niakuk Field, Alaska: Part II Hydraulics, Cuttings Transport and PWD. Paper SPE 56564, presented at the Annual Conference and Technical Exhibition, Houston, Texas, 3-6 October. DOI: 10.2118/56564-MS.
29. Hemphill, T., Ravi, K., Bern, P., and Rojas, J.C., 2008. A Simplified Method for Prediction of ECD Increase with Drillpipe Rotation. Paper SPE 115378, presented at the SPE Annual Technical Conference and Exhibition, Denver, Colorado, USA, 21-24 September. DOI: 10.2118/115378-MS.
30. Ahmed, R., Enfis, M., Miftah-El-Kheir, H., Laget, M. and Saasen, A., 2010. The Effect of Drillstring Rotation on Equivalent Circulation Density: Modeling and Analysis of Field Measurements. Paper SPE 135587, presented at the SPE Annual Technical Conference and Exhibition, Florence, Italy, 19–22 September. DOI:10.2118/135587-MS.
31. Ooms, G., Buserscentrum, J.M. and Kampman-Reinhartz, B.E., 1999. Influence of Drillpipe Rotation and Eccentricity on Pressre Drop over Borehole during Drilling. Paper SPE 56638- MS, presented at the 1999 SPE Annual Technical Conference and Exhibition held in Houston, Texas, 3-6 October 1999. DOI: 10.2118/56638-MS.
32. Hemphill, T. and Ravi, K., 2005. Calculation of drill pipe rotation effects on axial flow: an engineering approach. Paper SPE 97158-MS, presented at SPE annual technical conference and exhibition, 9–12 October, Dallas, Texas. DOI: 10.2118/97158- MS.
33. Kummen, H.T. and Wold, A.A., 2015. The Effect of Cuttings on Annular Pressure Loss. M.Sc. thesis, NTN-Trondheim, Norwegian University of Science and Technology.
34. Hacıislamoglu, M. and Langlinais, J., 1990. Non-Newtonian Flow in Eccentric Annuli. *Journal of Energy Resources* **112** (3): 163-169.
35. Wang, H., Su, Y., Bai, Y., and Gao, Z., 2000. Experimental Study of Slim-hole Annular Pressure Loss and its Field Applications. Paper IADC/SPE 59265, presented at the 100 IADC/SPE Drilling Conference, New Orleans, Louisiana, 23-25 February. DOI:10.2118/59265-MS.
36. Silva, M.A. and Shah, S.N., 2000. Friction Pressure Correlations of Newtonian and Non-Newtonian Fluids through Concentric and Eccentric Annuli. Paper SPE 60720, presented at the SPE/ICOTA Coiled Tubing Roundtable, Houston, TX, 5-6 April. DOI: 10.2118/60720-MS.
37. Ahmed, R. and Miska, S., 2008. Experimental Study and Modeling of Yield Power-Law Fluid Flow in Annuli with Drillpipe Rotation. Paper SPE 112604, presented at the SPE/IADC Drilling Conference, Orlando, Florida, 4-6 March. DOI: 10.2118/112604-MS.
38. Rabia, H., 1985. Oilwell drilling engineering. Published by Graham and Trotman, Principles and Practices, chapter 5.
39. Blasius, H. 1913. Das Aehnlichkeitsgesetz bei Reibungsvorgangen in Flussigkeiten. *VDL Forsch*, 131–137.
40. Moore, P.L., 1974. Drilling Practices Manual. Petroleum Publishing Co., chapter 7, pp. 205 – 226.

13. Muherei, M.A., 2003. Cuttings Transport in Horizontal and Highly Deviated Wellbores. M.Sc thesis, University Teknologi Malaysia (UTM), Johor, Malaysia.
14. Muherei, M.A., Basaleh., S.S. and Bamaga, M.A., 2015. Hole Cleaning in Horizontal and Highly Deviated Wellbores Drilled with Coiled Tubing: Drillpipe Rotation Drawback Is It Significant?. *International Research Journal of Engineering and Technology (IRJET)*, 2(9), 2280-2286.
15. Hemphill, T. and Ravi, K., 2006. Pipe Rotation and Hole Cleaning in an Eccentric Annulus. - IADC-SPE-99150, paper presented at the IADC/SPE Drilling Conference held in Miami, Florida, USA, 21-23 February 2006. DOI: 10.2118/99150.
16. Hansen, S.A., Rommetveit, R., Sterri, N., Aas, B., and Merlo, A., 1999. A New Hydraulic Model for Slim Hole Drilling Applications. Paper SPE 57579, presented at the SPE/IADC Middle East Drilling Technology Conference, Abu Dhabi, United Arab Emirates, 8-10 November. DOI: 10.2118/57579-MS.
17. Roy, S. and Zamora, M., 2006. Annular Flow-Loop Studies of Non-Newtonian Reservoir Drilling Fluids. Paper AADE-06-DF-HO-03, presented at the AADE Fluids Conference, Houston, Texas, 11-12 April.
18. Hansen, S.A. and Sterri, N., 1995. Drill Pipe Rotation Effects on Frictional Pressure Losses in Slim Annuli. Paper SPE 30488, presented at the SPE Annual Technical Conference and Exhibition, Dallas Texas, 22-25 October. DOI: 10.2118/30488-MS.
19. Ozbayoglu, M. and Sorgun, M., 2009. Frictional Pressure Loss Estimation of Non-Newtonian Fluids in Realistic Annulus with Pipe Rotation. Paper SPE 2009-042, presented at the Canadian International Petroleum Conference, Calgary, Alberta, 16-18 June. DOI: 10.2118/2009-042.
20. Ozbayoglu, M. and Sorgun, M., 2010. Frictional Pressure Loss Estimation of Water-Based Drilling Fluids at Horizontal and Inclined Drilling with Pipe Rotation and Presence of Cuttings. Paper SPE 127300, presented at SPE Oil and Gas India Conference and Exhibition held in Mumbai, India, 20-22 January 2010. DOI: 10.2118/127300.
21. Ooms, G.,M Burgerscentram, J.M., Kampman-Reinhartz, B.G., 1996. Influence of Drillpipe Rotation and Eccentricity on Pressure Drop over Borehole during Drilling. *Eur. J. Mech.* 5(1996) 695.
22. Wei, X., Miska, S.Z., Takach, N.E., Bern, P. and Kenny, P., 1998. The Effect of Drillpipe Rotation on Annular Frictional Pressure Loss. *Journal of Energy Resources Technology*, Vol. 120. P. 61.
23. Charlez, P., Easton, M., and Morrice, G., 1998. Validation of Advanced Hydraulic Modeling Using PWD Data. Paper OTC 8804, presented at the Offshore Technology Conference, Houston, Texas, 4-7 May. DOI: 10.4043/8804-MS.
24. Isambourg, P., Bertin, D., and Branghetto, M., 1998. Field Hydraulic Tests Improve HPHT Drilling Safety and Performance. Paper SPE 49115, presented at the Annual Conference and Technical Exhibition, New Orleans, Louisiana, 27-30 September. DOI: 10.2118/49115-MS. Also in *J. SPE Drilling and Completion*, December 1999, 219-227.
25. Delwiche, R.A., Lejeune, M., Mawet, P., and Vighetto, R., 1992. Slimhole Drilling Hydraulics. Paper SPE 24596, presented at the SPE Annual Conference and Technical Exhibition, Washington, D.C., 4-7 October. DOI: 10.2118/24596-MS.
26. Marken, C.D., He, X. and Saasen, A., 1992. The Influence of Drilling Conditions on Annular Pressure Losses. Paper SPE 24598, presented at the SPE Annual Technical Conference and Exhibition, Washington, D.C, 4-7 October. DOI: 10.2118/24598-MS.

of penetration is too high, or during drilling highly deviated wellbore, cuttings may accumulate in the annulus causing pressure build up.

- Different friction factor correlations for turbulent flow are in practice use which may rise the questions about which is the most accurate.
- Several simplified hydraulic diameters are used to approximate annular flow. Pressure loss predictions are affected by the used equivalent diameter definition.

10. References

1. McCann, R.C., Quigley, M.S., Zamora, M., and Slater, K.S., 1995. Effects of High Speed Rotation on Pressure Losses in Narrow annuli. *J. SPE Drilling and Completion* **10** (2): 96-103. SPE-26343-PA. DOI: 10.2118/26343-PA.
2. Bode, D.J., Noffke, R.B., and Nickens, H.V., 1991. Well-Control Methods and Practices in Small-Diameter Wellbores. *J. Pet Tech* **43** (11): 1380-1386. SPE-19526-PA. DOI: 10.2118/19526-PA.
3. Hacıislamoglu, M. and Cartalos, U., 1994. Practical Pressure Loss Predictions in Realistic Annular Geometries. SPE 28304-MS, presented at SPE annual technical conference and exhibition, 25–28 September, New Orleans, Louisiana. DOI: 10.2118/28304- MS.
4. Zamora, M. and Growcock, F., 2010. The Top 10 Myths, Misconceptions and Mysteries in Rheology and Hydraulics. Paper presented at the 2010 AADE Fluids Conference and Exhibition held at the Hilton Houston North, Houston, Texas, April 6-7, 2010, AADE-10-DF-HO-40.
5. Maglione, R. and Robotti, G., 1996. Field Rheological Parameters Improve Stand Pipe Pressure Prediction While Drilling. Paper SPE 36099-MS presented at the SPE Latin America/Caribbean Petroleum Engineering Conference, Port-of-Spain, Trinidad, April 1996. DOI: 10.2118/36099-MS.
6. White W.W., Zamora M., and Svoboda, C.F., 1996. Downhole measurements of synthetic based drilling fluid in offshore well quantify dynamic pressure and temperature distributions. SPE 35057-MS, Presented at IADC/SPE Drilling Conference, 12–15 March, New Orleans, Louisiana. Vol. 12 (3), p. 149. DOI: 10.2118/35057-MS.
7. Jeong, Y. and Shah, S., 2004. Analysis of Tool Joint Effects for Accurate Friction Pressure Loss Calculations. Paper SPE 87182, presented at the IADC/SPE Drilling Conference, Dallas, Texas, 2-4 March. DOI: 10.2118/87182-MS.
8. Ochoa, M.V., 2006. Analysis of Drilling Fluids Rheology and Tool Joint Effect to Reduce Errors in Hydraulics Calculations. PhD dissertation, Texas A&M U., College Station, Texas.
9. Ashena, R., Hekmatinia, A., Ghalambor, A., Aadnoy, B., Enget, C. and Rasouli, V., 2021. Improving Drilling Hydraulics Estimations - A Case Study. *Journal of Petroleum Exploration and Production Technology* (2021)11:2763-2776. DOI: 10.1007/s13202-021-01203-4.
10. Hemphill, T., Bern, P., Rojas, J.C., and Ravi, K., 2007. Field Validation of Drillpipe Rotation Effects on Equivalent Circulating Density. Paper SPE 110470, presented at the SPE Annual Conference and Technical Exhibition, Anaheim, California, 11- 14 November. DOI: 10.2118/110470-MS.
11. Enfis, M.S., 2011. The Effects of Tool-Joint on Annular Pressure Loss. Msc thesis, Mewbourne School of Petroleum and Geological Engineering, Norman, Oklahoma.
12. Saasen, A., 2014. Annular Frictional Pressure Losses During Drilling – Predicting the Effect of Drillstring Rotation. *Journal of Energy Resources Technology*, Vol. 136, pp. 1-5.

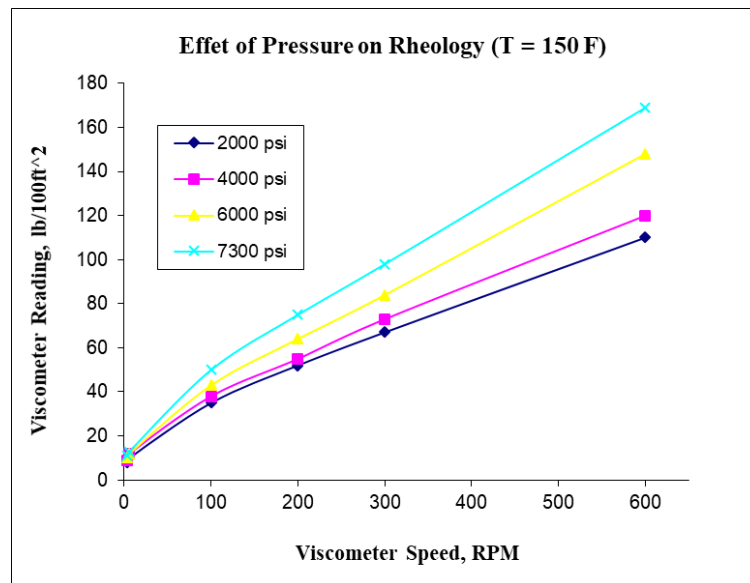


Figure 6: Effect of Pressure on SBM rheology - reproduced from [6]

Lately, Guracy et al. [72] experimentally investigated the effect of temperature on friction pressure loss through vertical concentric annulus using water and polymer based drilling fluid. The effect of temperature on consistency index "K" of PL model and yield point "YP" of BP model were more dominant than the effect of temperature on flow behaviour index "n" of PL model. Similar results have been reported earlier by White et al. [6]. The apparent viscosity decreased exponentially with increasing temperature and this decrease was more obvious in low shear rate values. Temperature also affect flow regime as earlier regime transition was observed with increasing temperature. Result of HPHT rheology experiments show that the effect of temperature is much larger than the effect of pressure particularly for water based muds [71, 73]. For oil-based muds in vertical wells the effect of temperature and pressure cancel out each other [9, 71].

Based on simulations that were performed by Hariss and Osisanya [70], results show that "the effect of temperature and pressure on the volumetric and rheological behaviour of drilling fluids play an important role in the bottom-hole pressure that will occur in deep hot wells. Generally, higher geothermal gradients lead to lower bottom-hole pressure and the inlet pipe temperature does not have a significant effect on the bottom-hole pressure. Higher circulation rates result in lower bottom-hole temperature and higher bottom-hole pressure. This is because the drilling fluid spends less time in the wellbore to absorb heat and thus undergoes a lesser degree of thermal expansion". These effects are not considered in normal hydraulic calculations and are considered a source of error, particularly in HPHT wells [9]. In order to accurately estimate the fluid density and frictional pressure loss in the wellbore, it is thus necessary to evaluate the temperature profile in the wellbore over time. And this require analysing the flow of heat in the wellbore.

9. Conclusion

- Pressure drop relations most commonly used are based on a number of simplifying assumptions, such as concentric annular and circular sections, non-rotating drillstring, isothermal conditions in the borehole and steady state axial flow. These assumptions are not valid in real life.
- Pipe eccentricity, pipe rotation, high temperature, tool-joint, cuttings accumulations, pipe roughness can have significant effect on frictional pressure loss. Transportation and accumulation of cuttings cause an additional pressure loss in the well. If the rate

8. Effect of Temperature and Pressure

Drilling fluids are complex heterogeneous mixtures of various types of base fluids and chemical additives that must remain stable over a range of temperature and pressure. It is often assumed that drilling fluid properties are constant throughout the duration of drilling activities. This assumption is quite wrong in cases where there is a large variation in pressure and temperature conditions [70]. As the fluid flows in the wellbore, it absorbs heat from the formation, causing a rise in temperature. The temperature in the formation at an adequate distance from the wellbore is undisturbed and maintains the natural geothermal gradient. Increase in temperature will cause changes in the volumetric and rheological behaviour of the fluid. The fluid within the drillpipe receives heat from the annulus via convection on the inner and outer walls of the drillpipe and conduction through the drillpipe itself. There is also heat flow in and out of the differential elements within the drillpipe and annulus due to the bulk fluid flow. Temperature in the drillpipe and annulus are equal at the bottom of the hole [70].

During drilling operations, the drilling fluid is subjected to its own hydrostatic pressure and formation temperature. Drilling fluid rheological properties are typically measured at ambient pressure and temperature. These properties as well as the drilling fluid density are used in hydraulic calculations. In many cases the rheological variations with temperature are small, particularly for shallow wells as the temperature changes are not so large. Furthermore, many wells have a large window between pore pressure and fracture pressure, so errors in estimation of annular pressure loss have no dangerous consequences for well integrity and kick probability [71]. However, these properties are affected by the high temperatures and pressure sustained in real deep-well environments. The pressure and temperature differences between the hole and the surface are considerable, particularly in high pressure and high temperature wells (HPHT) and at low circulation rates [70]. Reliable prediction of equivalent circulation density (ECD) in HPHT wells require the use of pressure and temperature dependent rheology and density. These can be obtained directly from laboratory measurements at HPHT conditions of actual mud system, or from a model that is developed based on data from similar mud systems.

Higher well temperature lowers the drilling fluid density and affect its rheology. White et al. [6] performed downhole measurement of synthetic-based mud (SBM) in an offshore well. Results show sensitivity of the SBM rheology and density to temperature and pressure. High temperature conditions cause the drilling fluid to expand thermally, accordingly density and rheology decrease (Figure 5). While greater bottom hole pressure causes slight fluid compression and increases mud density and rheology (Figure 6). These are two opposing effects and failure to take such effects into account can lead to errors in the estimation of bottom hole pressure [9, 70].

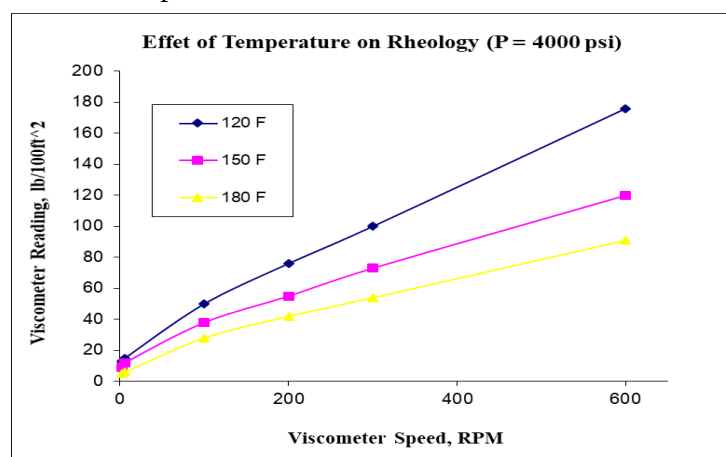


Figure 5: Effect of temperature on SBM rheology - reproduced from [6]

$$D_{Pet Eng} = \sqrt[5]{(D_h^2 + D_p^2)^2 \times (D_h^2 - D_p^2)^3} \dots\dots\dots \text{Eq. 23}$$

$$D_{Meter-Bird} = D_h(1 - K)\phi; \phi = \frac{1}{1-K^2} \left[(1 + K^2) - \frac{1-K^2}{\ln(1/K)} \right]; K = D_p/D_h \dots\dots\dots \text{Eq. 24}$$

$$D_{Reed-Pilehvari} = \frac{D_h - D_p}{G}; G = \left(\frac{1+Z}{2} \right) \frac{[n(3-Z)+1]}{[n(4-Z)]} \dots\dots\dots \text{Eq. 25}$$

$$Z = 1 - \left[1 - \left(D_p/D_h \right)^Y \right]^{1/Y}; Y = 0.37n^{-0.14}$$

$$D_{Jones-Leung} = \phi D_e \dots\dots\dots \text{Eq. 26}$$

7. Effect of Cuttings Accumulations

Cuttings are generated by the bit are transported by the drilling fluid along the annulus. This affect the drilling fluid density and causes greater annular pressure losses than calculated. Furthermore, solid content increases the PV of BP fluids which included in pressure loss equations for BP fluids. Greater rate of penetrations, lower carrying capacity of the mud and inefficient solid control resulted in a higher concentration of these solids in the annulus and a greater effect on mud density and rheology. Cuttings accumulation are dominant at highly deviated wellbores. These cuttings are found as stationary or moving beds at the lower side of the wellbore [13-14]. Cuttings bedding causes a reduction in hydraulic diameter and flow area and increases the friction pressure loss. Therefore, in real drilling conditions the annular pressure loss will be affected by cuttings content as well as the other factors.

Equivalent circulation densities (ECD) are normally predicted using the hydrostatic pressure and frictional pressure drop in annulus, without considering the cuttings concentration in the annulus. This could lead to under estimations of ECD values. Correct ECD are predicted if cuttings concentrations together with slip velocity of cuttings are taking into consideration particularly for vertical and near vertical annuli [69]. Figure 4 shows equivalent circulation densities with and without cuttings. Kummen and Wold [33] studied the correlation between rapid alterations in cuttings concentration and the corresponding change in pressure loss, using standpipe pressure as pressure indicator. Drilling data were collected from two wells in the North Sea. A correlation between change in rate of penetration (ROP) and the response in standpipe pressure was found. However, calculations indicate that the change in pressure loss cannot be solely be explained by cuttings bedding, viscosity and density changes or weight of suspended cuttings in wellbore.

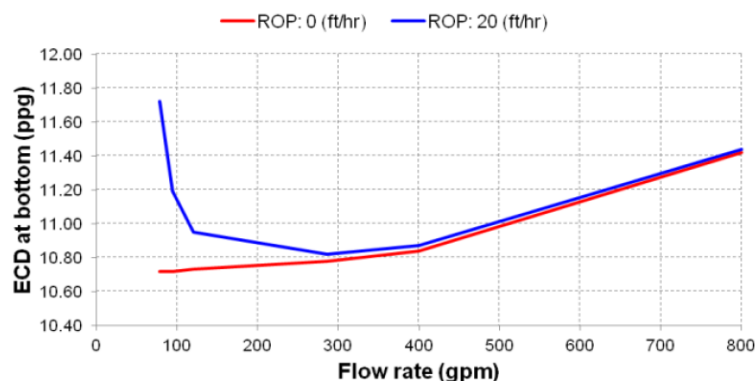


Figure 4: ECD at bottom hole with/without cuttings [69]

Where: A_{ann} is the cross sectional area of the annulus; P_{wet} is the wetted perimeter of the annulus; D_h is the inner diameter of the wellbore; D_p is the outer diameter of the drillpipe.

Several other hydraulic diameter approximations are found in literature and have been used in practice. One expression for the equivalent diameter is presented by Lamb [63] and shown in equation (Eq. 21) by considering the flow system as shell of fluid having radius r . Another equation was developed empirically by Crittendon and is shown in equation (22) [64]. Langlinais et al. [65] studied the effect of "hydraulic diameter", "slot approximation" and "Crittendon criteria" on pressure losses of Bingham Plastics (BP) and Power Law (PL). Results show that the Crittendon criteria used with BP model gave the most accurate pressure loss prediction for all fluid samples. Jensen and Sharma [66] evaluated different friction factor and equivalent diameter definitions and found that for BP the "hydraulic diameter" used with Chen correlation gave the best fit to experimental pressure loss data. For PL, the "hydraulic diameter" used with the Blasius correlation gave the best estimate. Demirdal and Cunha [67] commenced comparative analysis of pressure losses using the previous four diameter definitions. Annular pressure losses are determined using BP, PL, Dual Power Law (DPL) and Yield Power Law (YPL) rheological models. BP based pressure losses were higher than PL for all the four equivalent diameters used. Narrow Slot and Lamb's equivalent diameter based pressure losses are identical for all rheological models and at the flow rates investigated (200 gpm to 1000 gpm). Furthermore, these two approaches yield pressure losses that are higher than those obtained using the "hydraulic diameter" and the "Crittendon diameter". Dosunmu and Shah [58] showed that the "hydraulic diameter" definition of equivalent diameter for an eccentric annulus provided the best annular definition for friction pressure prediction.

$$D_{Lamb} = \sqrt{D_h^2 + D_p^2 - \frac{D_h^2 - D_p^2}{\ln(D_h/D_p)}} \dots\dots\dots \text{Eq. 21}$$

$$D_{Crittendon} = \frac{\sqrt[4]{D_h^4 - D_p^4 - \frac{(D_h^2 - D_p^2)^2}{\ln(D_h/D_p)}} + \sqrt{D_h^2 - D_p^2}}{2} \dots\dots\dots \text{Eq. 22}$$

There are also less popular equivalent diameters which have been developed either analytically or empirically such as the Petroleum Engineering method (Eq. 23), Meter and Bird (Eq. 24), Reed and Pilehvari (Eq. 25) and Jones and Leung (Eq. 26) definitions [68]. The Petroleum Engineering definition was derived using gas flow equations but gives reasonable values when applied to liquids and often gives effective diameter that is 40% greater than the "hydraulic diameter". Meter and Bird definition is applicable to laminar and turbulent flow of Newtonian fluids in concentric annulus. Reed and Pilehvari definition is a function of annular geometry and rheology of the fluid. The model gives good results for YPL fluids. Jones and Leung definition is the product of the "hydraulic diameter" and a shape factor defined in the Meter and Bird equation. Anifowoshe and Osisanya [68] have investigated the effect of these less popular definitions as well as the most popular ones on pressure loss estimations. They concluded that pressure estimation is significantly affected by the equivalent diameter definition used. The "hydraulic diameter" definition gave the best estimate of pressure loss for PL fluids under laminar flow conditions.

Laminar flow friction factor for pipes and concentric annuli are usually defined in equation (17) while for transitional flow the commonly accepted expression for critical number can be used to approximate the transitional flow friction factor (Eq.18). Equation (17) is first suggested by Metzner and Reed [61] for non-Newtonian pseudo-plastic fluids in laminar flow in smooth pipes

$$\text{Laminar flow: } f_l = \frac{16}{N_{ReG}} \dots\dots\dots \text{Eq. 17}$$

$$\text{Transitional flow: } f_{tr} = \frac{16N_{ReG}}{(3470-1370n)^2} \dots\dots\dots \text{Eq. 18}$$

Where: N_{ReG} is the generalized Reynolds Number defined previously (Eq. 14).

It is clear therefore that different frictional factors will be generated for every single flow rate according to the method selected to predict the turbulent frictional pressure losses. Accordingly, different estimates of turbulent frictional pressure losses are expected.

6. Effect of Simplified Hydraulic Diameter

During annular flow, shear forces will act between the fluid and the outside of the drillpipe and the inside diameter of the wellbore. For concentric annuli, the geometry of conduit can be expressed by the equivalent diameter. Pipe flow equations are extended to annular geometry and the same equations which are used for pipe flow are used to calculate the Fanning friction factor for annulus flow by simply replacing the pipe diameter with an equivalent diameter. Many studies have been undertaken to transform annular flow to pipe flow by developing an effective equivalent diameter.

Several equivalent diameter definitions are proposed, however, two equations are widely used [7, 42]. The first equation (Eq. 19) is based upon the definition of hydraulic radius, which is the ratio of the cross sectional area to the wetted perimeter of the flow channel. The equivalent diameter is equal to four times the hydraulic radius and for concentric annulus it is the difference between the internal diameter of the inner conduit, i.e. $D_{hyd} = (D_h - D_p)$. If there is no inner pipe, $D_p = 0$, the equivalent hydraulic diameter correctly reduces to the inner diameter of the outer pipe, D_h . This definition is adopted by API in its recommended practice RP 13D and used in major drilling text books [38, 40-43, 60, 62]. Bourgoyne et al. argue that the wider use of this definition is probably due to the simplicity of the method rather than a superior accuracy. The second most popular equivalent diameter equation (Eq. 20) used is the slot flow approximation for annulus [42]. The second equivalent diameter equation, $D_{hyd} = 0.816(D_h - D_p)$, is adopted by Society of Petroleum Engineers (SPE). This definition has been found by comparing different friction pressure loss estimation methods by representing annulus as a circular and rectangular slot. Obviously, the annular friction factors calculated with the first definition are higher than those calculated with the second definition. That is why, if everything else is similar, friction pressure losses calculated by methods that adopt the first definition (API for example) will differ from those calculated by methods that adopt the second definition (SPE/Bourgoyne et al. 1986).

$$D_{hyd} = \frac{4 A_{ann}}{P_{wet}} = 4 \frac{\frac{\pi(D_h^2 - D_p^2)}{4}}{\pi(D_h + D_p)} = D_h - D_p \dots\dots\dots \text{Eq. 19}$$

$$D_{slot} = 0.816(D_h - D_p) \dots\dots\dots \text{Eq. 20}$$

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = -2 \log \left[\frac{\epsilon}{3.71D} + \left(\frac{7}{N_{Re}} \right)^{0.9} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 8}$$

$$f = \left[-4 \log \left[\frac{\epsilon}{3.7065} - \frac{5.0452}{N_{Re}} \log \left[\frac{\epsilon^{1.1098}}{2.8257} + \left(\frac{7.149}{N_{Re}} \right)^{0.8981} \right] \right] \right]^{-2} \dots\dots\dots \text{Eq. 9}$$

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = -1.8 \log \left[\left(\frac{\epsilon}{3.7D} \right)^{1.11} + \frac{6.9}{N_{Re}} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 10}$$

For Power-Law fluids, the Colebrook correlation does not give accurate results and the Dodge and Metzner [57] correlation is used instead [42]. Equation (11) depicts Dodge and Metzner correlation. Dodge and Metzner offered an exhaustive experimental and theoretical study on flow of turbulent flow in non-Newtonian in smooth pipes. They extended von Karman's work on turbulent flow friction factors to include the Power -Law fluids. This correlation has found wide application in the oil and gas industry but tends to over predict the frictional pressure loss [42, 58].

$$\sqrt{\frac{1}{f}} = \frac{4}{n_p^{0.75}} \log \left[N_{Re} f^{\left(1 - \frac{n_p}{2}\right)} \right] - \frac{0.395}{n_p^{1.2}} - \dots\dots\dots \text{Eq. 11}$$

In practice it would be extremely difficult to routinely measure pipe wall roughness while the pipe is in service [38]. However, drilling fluids are relatively viscos and the Reynolds number seldom exceeds 100,000. Also for most wellbore geometries, the relative roughness is usually less than 0.0004 [42]. For smooth pipe and Reynolds number range of 2100 to 100,000, a straight-line approximation on a log-log plot of of the Colebrook function is made possible. This approximation is first presented by Blasius [39] and is given by equation (12).

$$f = \frac{0.0791}{N_{Re}^{0.25}} \dots\dots\dots \text{Eq. 12}$$

Because of this, most researchers use empirical relations to calculate the friction factor. Moore, Adams, Rabia, Bourgoyne et al. and Carden et al. [38, 40-42, 45] treat the turbulent flow of PL and Bingham Plastics (BP) similarly. However, resulting turbulent flow equations are slightly different because they used different relationships between friction factor and Reynolds number. Moore used a different linear relationship between the friction factor and the Reynolds number ($f = 0.046/Re^{0.2}$) than those used by Adams, Bourgoyne et al. ($f = 0.0791/Re^{0.25}$) and Rabia ($f = 0.057/Re^{0.2}$). Similarly, Carden et al. used different linear relationships ($f = 0.0458/Re^{0.19}$ & $f = 0.058/Re^{0.22}$). The Blasius form of the turbulent-flow friction factor for non-Newtonian fluids is a function of Reynolds number N_{Re} (Eq. 13 and Eq. 14) and the PL rheological parameter " n_p ". The expressions for "a" (Eq. 15) and "b" (Eq. 16) are based on curve fits of data taken on PL fluids [52, 59]. API [60] adopted these values to be used in the Blasius equation for turbulent flow friction factor estimations in API RP 13D recommended practice.

$$f_t = \frac{a}{N_{Rep}^b} \dots\dots\dots \text{Eq. 13}$$

$$N_{ReG} = \frac{\rho V^2}{19.36 \tau_w}; N_{Rep} = \frac{928 \rho D V_p}{\mu_{ep}} \dots\dots\dots \text{Eq. 14}$$

$$a = \frac{\log n_p + 3.93}{50} \dots\dots\dots \text{Eq. 15}$$

$$b = \frac{1.75 - \log n_p}{7} \dots\dots\dots \text{Eq. 16}$$

Colebrook equation is a referential standard for its estimation of friction factor [49]. This equation, though accurate, is an implicit equation. This means friction factor appears both inside and outside the log term of Colebrook's equation. The friction factor hence, is either solved by numerical/iterative solution or one finds " f " from a graph. A plot of friction factor against Reynolds number on log-log paper is called Moody/Fanning/Stanton chart [42].

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = -4 \log \left[0.269 \frac{\epsilon}{D} + \frac{1.255}{N_{Re} \sqrt{f}} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 2}$$

Where: f is the friction factor; ϵ/D is the relative roughness; ϵ is the equivalent sand-grain roughness; D is the hydraulic diameter of the pipe; N_{Re} is the Reynolds number.

Colebrook and White provided another implicit equation which have been widely accepted (Eq. 3) by combining the Prandtl's formula (Eq. 4) for the smooth pipes and von Karman's formula for the fully rough regime (Eq. 5) [50]. However, many explicit equations have been proposed so far, but they are either not accurate, or they are accurate but not simple.

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = -2 \log \left[\frac{\epsilon}{3.7D} + \frac{2.51}{N_{Re} \sqrt{f}} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 3}$$

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = 2 \log \left[\frac{N_{Re} \sqrt{f}}{2.51} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 4}$$

$$\frac{1}{\sqrt{f}} = \log \left[\frac{3.7D}{\epsilon} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 5}$$

One simple form of explicit equations found in drilling literature is the modified Moody [51] friction-factor. This equation provides a broader perspective in that laminar, transitional, and turbulent regimes are easily identified and compared regardless of geometry [52]. The original Moody correlation was developed in 1947 and is valid for all ranges of the Reynolds numbers and the relative roughness. Moody original friction factor relationship is shown in equation (6). The Modified friction factor uses a roughness of 0.00001 can be expressed as in equation (7).

$$f_t = 5.5 \times 10^{-3} \left[1 + \left(2 \times 10^4 \frac{\epsilon}{D} + \frac{10^6}{N_{Rep}} \right)^{1/3} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 6}$$

$$f_t = 0.001375 \left[1 + \left(2 \times 10^4 \frac{0.00001}{D} + \frac{10^6}{N_{Rep}} \right)^{1/3} \right] \dots\dots\dots \text{Eq. 7}$$

Another explicit equation is the Churchill equation (Eq. 8) first proposed by Churchill [53] in 1973. This equation is valid only for the turbulent regime [54]. Chen's [55] correlation (Eq. 9) is also an explicit form of Colebrook-White equation and give similar accuracy to the Colebrook-White equation that was employed for generating the friction factor chart widely used in the petroleum industry [46]. Haaland [50] explicit equation (Eq. 10) is also used in drilling industry. Haaland equation is one of the fastest and accurate correlation among the other correlations [56]. The application range as the Colebrook equation: $0 < \epsilon/D < 0.05$ by $3000 < N_{RE} < 10^8$.

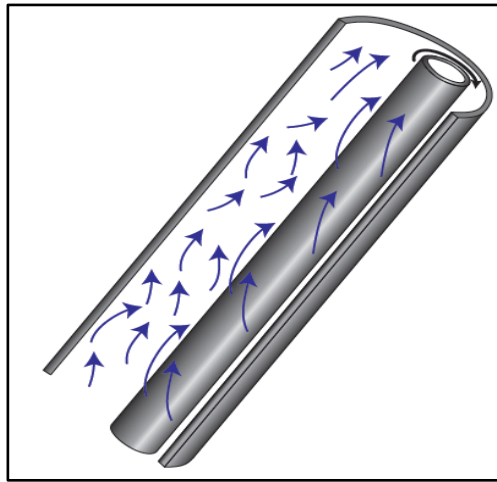


Figure (3): Drillstring eccentricity [33]

Several experimental studies on hydraulics of eccentric annuli have been conducted [3, 16–18, 34–37]. Reported results show decrease in the pressure loss as eccentricity increases. Pressure losses in the range of 18 to 40% less than that of the concentric annulus were reported [36]. Eccentricity can reduce the annular pressure losses significantly as much as 40%, while dependence on fluid rheology and diameter ratio is less pronounced [34]. The effect of eccentricity on fully developed laminar flow of a Newtonian fluid through an annulus without inner cylinder rotation is to produce a flow in which the peak velocity increases progressively with azimuthal location from the narrowest to widest part of the annulus [31]. If the inner cylinder rotates effects of eccentricity vanish and significant increases due to pipe rotation in eccentric narrow annuli were reported.

5. Effect of Pipe Roughness

The effect of pipe roughness can be neglected under laminar flow condition but it is significant in turbulent flow. Friction losses are higher in rough pipes for both Newtonian and non-Newtonian fluids [7]. However because of the chaotic nature and eddies during turbulent flow, it is extremely difficult to arrive at an exact analytical method for determining pressure losses in turbulent flow [38]. Therefore, simplification of friction factor equation becomes necessary. One common form of these simplifications is the use of the Blasius equation [39]. This equation ignores pipe roughness and is applicable only for the calculation of pressure drop in smooth pipes. However, drillpipes are sometimes rather old and have rough interior surfaces [9]. This equation depends only on the Reynolds number and has been used by many textbooks [38, 40–47]. Different researchers use different coefficients for the equation which therefore, represent a considerable source of error during pressure loss estimations in turbulent flow [6].

The equation for the pressure losses in turbulent flow of a Newtonian fluid in pipe is known as the Fanning Equation (Eq. 1) and the friction factor " f " defined by this equation is called the Fanning friction factor. All the terms in this equation, except for the friction factor, can be determined from the operating parameters. The friction factor in turbulent flow is a function of the Reynolds number and pipe roughness.

$$\frac{dp}{dL} = \frac{4fV^2\rho}{2D} \dots\dots\dots \text{Eq. 1}$$

An empirical correlation (Eq. 2) for the determination of friction factors for fully developed turbulent flow in circular pipes has been presented by Colebrook [48]. The

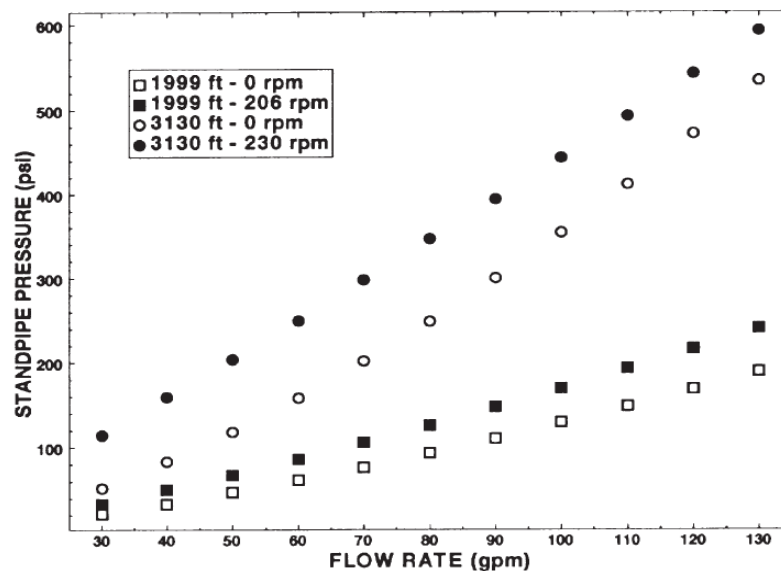


Figure 2: Effect of pipe rotation on standpipe pressure, Pando #1 slim hole well [1]

Wei et al. [20] analysed pressure while drilling data from three extended reach wells drilled in Europe. The annular pressure loss increased by 66% to 147% due to pipe rotation. Furthermore, the effect of drillpipe rotation on increasing ECD is greater in cases when the axial flow is reduced and this effect decreases as the axial flow increases. This effect is more pronounced as the gaps become narrower (increasing D_p/D_h), and can be quite dramatic in slim hole drilling operations [2, 8, 23-30].

Moreover, the effect of drillpipe rotation on annular pressure and ECD has been dealt with theoretically. Computer simulations indicate that the shear-thinning effect induced by pipe rotation on PL fluids results in reduction of annular frictional pressure loss in both concentric and eccentric pipe configurations. The pressure reduction is most significant for concentric pipe configuration [20]. However, Hemphill et al. [27] noticed that the effect of increasing drillpipe rotation speed at a constant annular velocity produced a non-linear increase in ECD. The ratio of the outer diameter of the drillpipe to the internal diameter of the hole or casing (D_p/D_h) was found to be a meaningful modelling parameter instead of eccentricity. This is because, while drilling, drillpipe eccentricity is not known with any level of confidence at any one time. Calculation errors obviously result if the incorrect level of drillpipe eccentricity is used, as this can change the local velocity distribution in the annulus. A potential solution to this problem is to gauge all calculations based on diameter ratios (D_p/D_h) [11, 15, 29-32].

4. Effect of Drillstring Eccentricity

The annular frictional pressure losses of vertical or near vertical well sections differ from the highly inclined and horizontal wellbores. This is because of natural tendency of the drillstring to lay down on the low side of the wellbore due to gravity. This configuration forms eccentric annulus and generally referred to as drillstring eccentricity. Hence, the assumption of a concentric annulus is often not realistic, particularly, for horizontal and highly deviated wellbores. Moreover, the drillstring is elastic and has the possibility to wobble in the hole during rotation. It can be positioned differently in the wellbore cross section at different depths, depending on inclination and hook load [33]. The pressure losses depend on the annulus eccentricity. Moving the drillstring to the wall of the wellbore generates a wider flow channel in part of the annulus which change the direction and acceleration of the annular flow and reduces the frictional pressure losses significantly (Figure 3) [1, 9, 12].

pipe rotation [16-17]. However, Hansen and Sterri [18] results show that for laminar flows when Taylor number is greater than the critical Taylor number (i.e. Taylor number of a flow at the onset of Taylor vortices), the friction pressure loss increases with rotation speed. Otherwise, the pressure loss decreases with increasing pipe rotation speed. Opposite observations has been reported by Ozbayoglu and Sorgun [19-20] particularly at low Reynolds number, annular pressure loss increased as the rotation increases. However, as flow rate increases, the effect of pipe rotation on the annular pressure loss diminishes and eventually becomes negligible.

Based on numerical simulations, Ooms et al. [21] pointed out, that in the case of a concentric drillpipe, rotation does not influence the axial pressure drop for a stationary, fully developed laminar flow of a Newtonian liquid. However, when the drillpipe is placed in an eccentric position, the axial pressure drop increases with increasing rotation speed. These results have been reproduced later on by Wei et al. [22] for non-Newtonian fluids using the full scale Tulsa university drilling research project (TUDRP) flow loop. Wei et al. reported an increase in annular frictional pressure loss with increasing inner pipe rotation, particularly for tests without centralizers. This was in contrary to the result of their theoretical model. This effect was attributed to the drillpipe lateral motion during rotation which creates lateral flow in the annulus and hence the laminar flow is disrupted. Flow tests were run with centralizers to ensure axial rotation of the drillpipe without lateral motion. The results show a reduction in annular frictional pressure loss with increasing pipe rotation. Shear thinning effect and reduction in apparent viscosity of PL fluids are considered the main reason behind this effect. This effect was not dominant in flow tests without centralizers since the shear thinning effect induced by pipe rotation is smaller than the effect of pipe lateral motion. The effect of drillpipe rotation on annular pressure loss is affected by mud properties, flow rate, wellbore geometry, and drillpipe rotary speed.

The increase in annular pressure loss is more pronounced in thin mud with high pipe rotary speed in an eccentric pipe configuration. The TUDRP flow loop is designed to approximate real drilling situation with 41/2-in drillpipe and 8-in transparent acrylic outer pipe with a total length of 85 ft. The tested polymeric fluids have follow the PL model with "n" values range from 0.4228 to 0.7582 and "K" values range from 0.007 to 0.039 lb.sⁿ/ft². Drillpipe rotary speeds range from 0 to 120 revolution per minute (rpm). Eccentricities range from 0 to 0.5 and flow rates range from 150 to 350 gallon per minute (gpm). Laminar flow is maintained in all tests.

A number of field studies have been undertaken for the purpose of evaluating the effect of pipe rotation on annular friction pressure losses. In separate studies conducted at drilling sites in the North Sea [1, 23-24], the effects of drillpipe rotation were studied while circulating and rotating at various rates inside casing (without cuttings), and results were analysed in terms of changes in ECD as calculated from downhole pressure tool data. In general, results show an increase in pressure losses with increasing the rotary speed. Pando #1 slim hole well was drilled by Mobil in the Madre de Dios region of Bolivia. Hydraulic testing of at this well confirmed that standpipe pressure is sensitive to annular geometry, pipe rotation, and fluid properties [1]. Figure 2 shows that standpipe pressure in Pando #1 increased significantly with increase in pipe rotations.

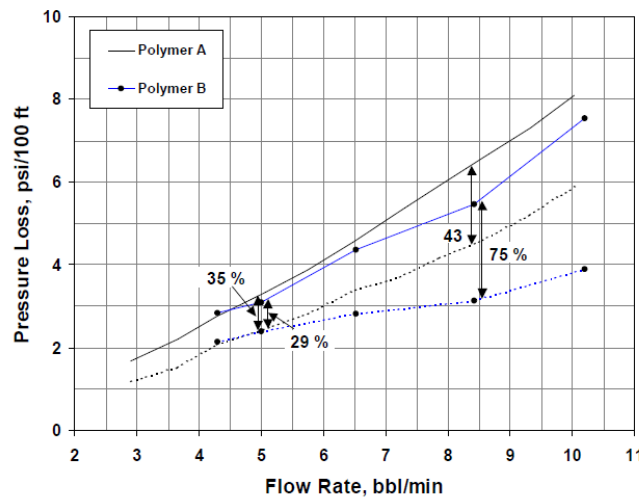


Figure 1: Effect of Tool-Joint on frictional pressure loss [7]

Similarly, Enfis [11] conducted theoretical and experimental work to investigate the hydraulic effects of both rotating and non-rotating tool-joints on annular pressure losses. Annular flow experiments were carried out for different flow rate, fluid rheology, annular geometry, rotation speed of the inner pipe. Experimental results show substantial increase in pressure loss gradient around the tool-joints. The pressure loss increases strongly depending on fluid properties and flow geometries. The overall effect of tool-joint on the annular pressure ranged from 11% to 31%. The contraction and expansion parts of the tool-joint create strong flow disturbances and turbulent flow conditions that cause the pressure loss to increase. The fluid velocity in the narrow annulus of a tool-joint is high and results in increased friction pressure loss. Therefore, ignoring the tool joint effect causes considerable error in pressure loss calculations [6-9, 11-12]

3. Effect of Drillstring Rotation

Pipe rotation is mandatory to rotary drilling as it is responsible for many functions. Generally, drilling community believes that pipe rotation helps hole cleaning particularly in horizontal and highly deviated wellbores [13-15]. However, there has been a lack of studies to describe effect of pipe rotation in frictional pressure loss. Lately, it has been shown that the drillstring rotation affects the pressure loss significantly, particularly, for slim hole, extended reach, horizontal and highly deviated drilling applications. The influence of drillpipe rotation can be substantially depending on rotation speed, fluid properties, flow regimes, diameter ratio and eccentricity. Drillpipe rotation even for fairly small rotation rates, creates unstable flow and promotes transition from laminar to turbulent flow [9, 12]. Saasen [12] argues that turbulences may take place because of pipe rotation, even without axial flow and the transversal motion of the drillstring, creates vortices that destabilize the flow. Consequently, the annular frictional pressure loss is increased even though the drilling fluid becomes thinner because of added shear rate. However, mixed effect of drill pipe rotation has been reported by several studies.

McCann et al. [1] conducted flow experiments in narrow annuli to provide data on the effects of pipe rotation, flow regime, fluid properties and eccentricity on pressure loss in narrow annuli. They concluded that the pressure loss for Power Law (PL) fluids increases with increasing pipe rotation in turbulent flow and decreases with increasing pipe rotation in laminar flow. In line with these observations, other researchers reported reduction of annular pressure loss with the increase in the rotation speed with PL fluids at low flow rates, however, at high flow rates, annular pressure losses increased with the increase in

Rheological models are equations that relate shear stress with shear rate. Drilling fluid models and their derived parameters are used for fluid hydraulics calculations. However, there are issues related to selection of appropriate models, how they are matched to measured data, and how they are used for pressure-loss calculations [4]. The assumptions made, considering the application of these models to represent the flow of a drilling fluid in a drilling well, are: (1) the drilling fluid is incompressible; (2) the rheology of the drilling fluid is constant versus pressure and temperature. Based on these models, expressions to calculate average velocity, Reynolds number and pressure drops, both in circular and annular sections, has been developed. Those expressions have been obtained solving simultaneously the equations of momentum and mass conservation [5]. The assumptions made in developing such expressions are: (1) steady state flow; (2) axial flow; (3) concentric annular and circular sections; (4) annular sections has been considered as a rectangular slot; (5) laminar and turbulent flow are only considered. In reality, none of these assumptions are completely valid, and the resulting system of equations will not perfectly describe the flow of drilling fluids. Recently, several research has been conducted toward removing these assumptions but the additional computational complexity required to remove the assumptions above has not been justified in practice.

Several studies investigated the effect of tool joint restrictions, drillpipe rotation, drillpipe eccentricity and cuttings beds accumulations at the low side of the well on annular frictional pressure losses and equivalent circulation densities as well as the effect of high temperature and pressure on drilling fluid properties. Therefore, a critical review on the effect of such factors on frictional pressure loss of drilling fluid is a mandatory endeavour before incorporating such effects in applied mathematical modelling. In this paper in-depth review of these effects are presented and discussed.

2. Effect of Tool Joint Restrictions

The tool joint is a necessary part to extend the drillpipe. These components are fabricated separately from the pipe body and welded onto the pipe at a manufacturing facility. The tool joint provide high-strength, high pressure threaded connections that are sufficiently robust to survive the heavy duty and extreme loads at the rig. Tool joints have smaller inside diameters than the drillpipe body and larger outside diameter.

The presence of tool joints causes restriction against flow in pipes with contraction and expansion of the fluid as it enters and exits the tool joint [6, 7]. The pressure loss caused by entry into the tool joint is small compared with the exit losses [8]. On the other hand, tool joints have larger outside diameter that changes the annulus geometry between the drillpipe and the casing/hole resulting in strong turbulence and fluid acceleration that generates additional viscous dissipations and pressure losses [9, 8]. This effect is assumed minimal because fluid velocity is so low in the annulus [9].

Jeong and Shah [7] performed tool joint tests with water and polymeric fluids to investigate the effect of tool joint on the annular friction pressure. It was found that the effect of the tool joint on the annular friction pressure was significant. This effect resulted in 29% increase in friction pressure at 5 bbl/min and up to 75% increase at 8.5 bbl/min for the flow of fluid in 5 1/2-in - 2 1/2-in annulus (Figure 1). Smaller pressure losses were reported by Hemphill et al. [10] where the results show that the tool-joint can increase the annular loss up to 12%.

A Review of Effects of Oil-Well Parameters in Estimating Annular Pressure Losses

Mazen Ahmed Muherei^{1*}

Amer Badr BinMerdhah^{2*}

Salim O. Baarimah^{3*}

^{*1,2,3}*Department of Petroleum Engineering, Hadhramout University,*

ABSTRACT:

Good hydraulics plays a vital role in the drilling of oil wells. Important aspects of drilling hydraulics include prediction of downhole circulating pressures and equivalent circulation densities. Such predictions become more essential as drilling operations complicated. Horizontal, extended reach, slim hole and deep offshore drilling pose extra difficulties for safe drilling operations because of the narrower window between formation pore/fracture pressures. Demand for excellent predictions of annular frictional pressure losses and equivalent circulation densities become ever greater. Unfortunately current pressure loss predictions are not accurate and reliable. Many wellbore parameters that are pertinent downhole are ignored in these relations which hamper excellent pressure loss estimations. The main purpose of this paper is to shed the light on the effect of these parameters on annular pressure loss and equivalent circulation densities during drilling with incompressible drilling fluids.

Keywords: Drilling Fluid, Annular Pressure Loss, Tool Joint, Drillpipe Eccentricity, Pipe Rotation, Cuttings Accumulations, Rheology.

1. Introduction

Drilling fluids are generally aimed at many functions during drilling an oil-well. The most common functions are to clean the wellbore bottom from drill-cuttings, removing these cuttings out of wellbore, ensuring the stability of the borehole walls, maintaining bottom hole pressure at higher values than formation pressures, maintaining cuttings in a state of suspension during circulation breaks, cleaning teeth of drilling bits, lubricating drill-bit bearings, supplying energy to several bottom hole assemblies during directional drilling, ensuring high rate of penetrations for cost effective drilling operations. Most of these functions are optimized through hydraulic optimization during well planning.

Annular frictional pressure loss is, however, a complicated phenomenon because it is affected by many factors such as flow rate, flow regime, drilling fluid density/rheology, wellbore geometry (tool joint, drillpipe eccentricity, ratio of drillpipe outside diameter to wellbore diameter), cuttings content, drillpipe roughness, drillpipe rotation, high temperature and high pressure effect on rheology. However, the majority of these effects are not considered in conventional pressure loss calculations and are believed to be the principle reason for imperfect predictions of such calculation methods. These effects are the possible errors of why the current correlations do not give excellent predictions of standpipe pressure, SPP, or equivalent circulation density, ECD.

In conventional drilling, annular pressure loss rarely exceeds 15% of the pump pressure and large errors in calculating annular pressure loss in conventional well occasionally have serious consequences [1]. However, in slim boreholes or in wells with long reach, circulation of the drilling fluid can cause significant frictional pressure drop in the annulus. In a slim hole well, up to 90% of the pump pressure is due to pressure loss in the annulus [1, 2, 3]. This results in an increase in BHP and ECD which may exceed the formation fracture pressure and loss of circulation and creating a potentially dangerous situation due to the resulting loss of hydrostatic head. Hence, accurate predictions of annular pressure loss leads to excellent estimations of the BHP and ECD that prevents kicks and circulations losses.

3. If the author is submitting a paper to the journal for the first time, he /she should provide a brief CV.
4. Abstracts of (100 -150 words) should be presented in Arabic and English.
5. The editor in chief has the right to ask authors to make minor or major corrections on their papers before publication.
6. Authors are informed about the date of receiving their papers and the editorial completes the referee procedures.
7. Authors are informed whether their papers are accepted for publishing or not after the assessment of qualified referees within 3 months of receiving the paper.
8. If referees suggest addition or modification on the paper, it is returned to the author to do them before it is published and to be returned within 2 weeks' time.

Third: General Rules :

1. The papers which are not prepared according to the publication rules and conditions will be rejected and not returned to the author.
2. The journal is not obliged to return the papers to their authors whether these papers are published or not.
3. All the publishing rights belong to the journal. It is not permitted to reprint or quote any part of the journal without a written consent from the editor in chief.
4. The research papers represent only the opinion of their authors and not necessarily the opinion of the journal or the university.
5. Authors who are not of the teaching staff of Al-Rayan university have to pay (20000 YR) twenty thousand Yemeni Riyals for publishing in the journal. These fees should be deposited to Al-Omgry exchange company – account number (254038674). Researches from outside Yemen have to pay (150\$) one hundred and fifty US dollars.
6. Upon apology for non-publication, the fees mentioned in paragraph (5) item (third) above shall not be returned
7. Correspondences and research papers can be mailed and sent to the editor in chief to the following journal address: Al-Rayan Journal for Applied Sciences and Humanities -Al-Ensha'at- Fowa – Mukalla – Hudhramout, Yemen, Phone Number: 009675362940 or to the Email : alrayan-journal@alrayan-university.edu.ye.

General rules for publishing

ISSN: 2708-3659

First : Publishing instructions:

The journal accepts publishing the researches written in Arabic and English, in the Humanities and Applied Sciences according to the following conditions:

1. The research should be original and in accordance with the scientific research methodology.
2. Papers submitted for publication should not have been published previously or being considered for publication elsewhere. If these papers have been accepted elsewhere, they should not be published in the same form without a written consent of the editor in chief.
3. The research should be written in good language and typed on computer using Microsoft Word according to the following typing font and size: Arabic papers (Traditional Arabic) font size (16) with a pace of (1.15) and English (Times New Roman) font size (12) with a space of (1.15) on one side in A4 size paper with 3cm margins in both sides. Submitted papers should not be more than 30 pages consecutively numbered including figures, tables, pictures, appendixes and references. The editor has the right to consider the researches that exceed these limits according to the nature of that research.
4. The research must have an accurate referencing system and follow the following:
 - a. Sources are referred to in the main text through the use of numbers in brackets according to its consecutive numbers and listed at the end of the research in the reference list. It should have the: (Author's surname, date of publication, title of the book or research, the publisher, date of publication,) Journals: (Author's name, title of research, title of the journal, volume number, issue, year and page number)
 - b. All the references cited in the main text are listed at the end according to the research method. References from foreign languages should be listed in a separate list and alphabetically ordered.

Second: Publishing procedures:

1. The researcher should submit a written statement stating that the research is original and not published or submitted to be published to any other scientific institution.
2. Papers should be submitted in original and three copies along with a soft copy saved in a CD. The research cover should contain (the author's name, academic title, address, tel. number and his e-mail) and the receipt of publication fee.

AL-Rayan Journal of Humanities & Applied Sciences
Scientific Biannual & Refereed

General Advisor

Dr. Salim Mohammed Ba-faqeer
President of the University

Editor in Chief

Prof. Dr. Abdullah Saleh. Ba-beair

Editorial Manager

Dr. Salem Abood Ghanem

Editorial Secretary

Dr. Eisa Mubarak Ajrah

Advisory Board

<i>Prof. Yusri Ameen Sami</i>	<i>Suez Canal University</i>	<i>Egypt</i>
<i>Prof. Assad Hamdi Addori</i>	<i>Tikrit University</i>	<i>Iraq</i>
<i>Prof. Mohamed Abdul-Azziz Khalifa</i>	<i>Ain Shams University</i>	<i>Egypt</i>
<i>Prof. Mohamed Abdul-Fatah Mohamed</i>	<i>Ain Shams University</i>	<i>Egypt</i>
<i>Prof. Mahmoud Subaih</i>	<i>Ain Shams University</i>	<i>Egypt</i>
<i>Prof. Abdullah bin Mohamed Al-gurni</i>	<i>Um Algura University</i>	<i>Saudi Arabia</i>
<i>Prof. Khaled Mohamed Aisa</i>	<i>Palestine University</i>	<i>Palestine</i>
<i>Prof. Usam Al- Buhaisi</i>	<i>Palestine University</i>	<i>Palestine</i>
<i>Prof. Abdul-Razag Abu Albasal</i>	<i>Um Algura University</i>	<i>Saudi Arabia</i>
<i>Prof. Khaled Omer Ba-sulaim</i>	<i>Aden University</i>	<i>Yemen</i>
<i>Prof. Abdullah Hussain Al-bar</i>	<i>Hudhramout University</i>	<i>Yemen</i>
<i>Prof. Abdullah Saeed Al-juaidi</i>	<i>Hudhramout University</i>	<i>Yemen</i>
<i>Prof. Abdullah Mohamed Al-Khulani</i>	<i>Hudhramout University</i>	<i>Yemen</i>
<i>Prof. Najat Ahmed Bu-Saba'a</i>	<i>Hudhramout University</i>	<i>Yemen</i>
<i>Assistant Prof. Saeed Mohamed Ba-Naimoo</i>	<i>Hudhramout University</i>	<i>Yemen</i>

The Proofreaders

Dr. Jamal Ramdhan Hedejan

Assistant prof. Abdullah Amer Al-kathiri

=====

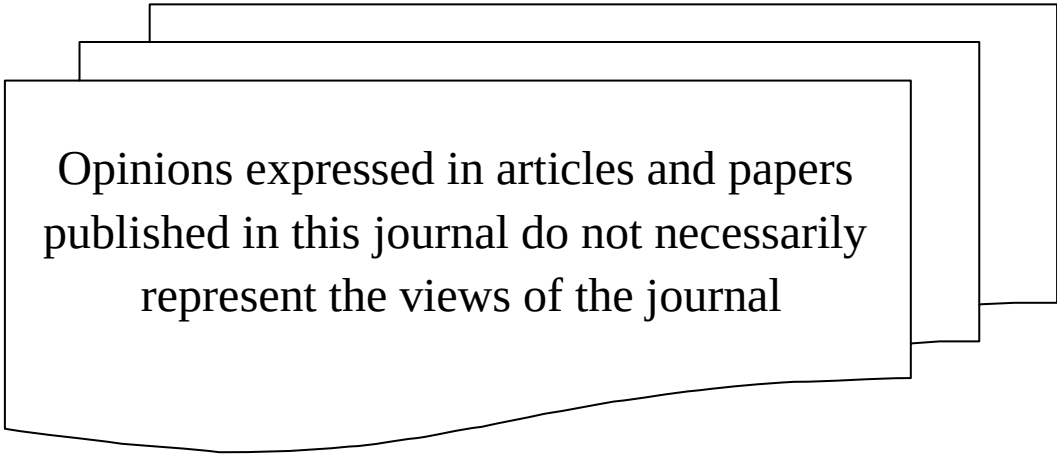
All contributions and queries should be addressed to : Editor in Chief

Address :Al-Ensha'at Fowa – Mukalla – Hudhramout , Yemen

009675362942 Tel: 009675362940 – Fax :

Email : alrayan-journal@alrayan-university.edu.ye

<http://alrayan-university.edu.ye/journal>



Opinions expressed in articles and papers
published in this journal do not necessarily
represent the views of the journal

Our vision:

Taking the leadership of publishing the studies and researches according to the international publishing standards.

Our Mission :

The journal seeks to distribute studies and researches in the various human and applied sciences, following the original methodology of arbitration and scientific publishing to enrich knowledge and serve humanity.

Our Objectives :

- Providing a research facility to serve researchers in various fields of humanities and applied sciences.
- Enriching scientific knowledge, through the spreading of remarkable and refereed researches.
- Providing researchers and scholars with the opportunity to publish research and studies in various fields of humanities and applied sciences.
- Distributing researches and studies that contribute to serve community, solve its problems, and preserve its original values.

Republic of Yemen
AL-Rayan University



AL-Rayan Journal of Humanities & Applied Sciences
Scientific Biannual & Refereed

ISSN: 2708-3659

Volume 5

Issue 1

June . 2022

ISSN: 2708-3659

AL-Rayan Journal



جامعة الريان
AL-RAYAN UNIVERSITY

of Humanities & Applied Sciences

Scientific Biannual & Refereed

Volume 5
Issue 1
Serial No.8

June 2022